المركز الوطني للترجمة
تونس

فريدريتش نيتشه

في جنيالوجيا الأخلاق

ترجمة
فتحي المسكيني



دار سيناترا

في جنيالوجيا الأخلاق

المركز الوطني للترجمة

فريدريتش نيتشه

في جنيالوجيا الأخلاق

كتاب سجاليّ

ترجمه وقدّم له:

فتحي المسكيني

مراجعة :

محمّد محجوب



نيتشه، فريدريتش، **في جنيالوجيا الأخلاق**، تـرجمة المسكيني، فتحي، الحجم: 15.5x24 سم، عدد الصفحات: 235 صفحة، منشورات دار سيناترا - المركز الوطني للترجمة، تونس 2010، سلسلة: **ديوان الفلسفة.**

ر.د.م.ك.: 2 - 39 - 084 - 9973 - 978

الفلسفة الألمانية - فلسفة الأخلاق - ترجمة - نيتشه، فريدريتش - المسكيني، فتحي - محجوب، محمّد.

Friedrich Nietzsche
Jeseits von Gut und Böse
Zur Genealogie der Moral
Deutscher Taschenbuch Verlag Walter de Gruyter

دار سيناترا

© المركز الوطني للترجمة، تونس 2010، ط، 1.

9، نهج المنستيري - 1006 - تونس
الهاتف: 377 567 71 (216+) / الفاكس: 308 567 (216+)
الواب: www.cenatra.nat.tn
البريد الالكتروني: tarjamah@cenatra.nat.tn

مقدّمة الترجمة العربية

"جنيالوجيا الأخلاق" و"الأنوار الجديدة"

«...وها أنا أعود من جديد إلى المشكل الذي يخصّني، إلى المشكل الذي يخصّنا، يا أصدقائي **الذين لا أعرفهم**: أيّ معنى سيكون لوجودنا برمّته، إنْ لم يكن، أنّه في ذات أنفسنا إنّما تبلغ كلّ شاكلة من إرادة الحقيقة إلى الوعي بنفسها **بوصفها مشكلا**؟...»

نيتشه

1 - نيتشه وتأويلية الاقتدار:

كثيرا ما نعثر في كتابات نيتشه على تنبيهات من هذا القبيل: " حتى أقول ذلك في لغتي"[1] أو "حتى أستعمل لغتي الخاصة" [2] أو " متى تكلّمنا في لغتي"[3]... إنّ الأمر يتعلق بضرب طريف من الترجمة: إنّه الترجمة **النشطة**، كضرب من السيرة الذاتية المتعالية للعقل الحرّ. لا نترجم إلاّ بقدر ما نحرّر من المعنى. ولكن ممّاذا؟ - تحت قلم نيتشه كلّ مفهوم بل قل كلّ لفظ هو ثمرة جهد مرير ولكن مقتدر ونضر لنقل اللغة من معجم ردّ الفعل إلى معجم الفعل: من معجم "الكاهن" إلى معجم "المحارب" أو "العقل الحر". في كلّ مرة ينبغي أن ننصت إلى السؤال المتواري تحت قلم نيتشه: كيف نفكّر **قبل** ظهور الكهّان على الأرض؟ كيف نعيد للحيوان البشري قدرته "الحربية" على الحرية البدائية الصلفة المتهوّرة؟ تلك التي أصبحت فجأة في خطر منذ ظهور الكاهن واختراع

1 - **جنيالوجيا الأخلاق**، التصدير § 7.

2 - نفسه، المقالة I، § 2.

3 - نفسه، المقالة II، 18.

معجم "العبودية" (خير وشر، أخلاق، خطيئة، محبة، ثواب، عقاب، واجب، عدالة، ضغينة، ذاكرة، مسؤولية، وعي، ضمير، ذنب، مثل عليا، آلهة، تنسّك، شفقة، ...)، وهو ما يسجّله نيتشه تحت اسم الكاهن اليهودي. كما ينسبه إلى ورثته المسيحيين، وخاصة بولس. وإن كان علينا أن نتساءل عن مغزى غياب الحديث عن المسيح نفسه. كأنّ الأمر في واقع الأمر لا يتعلق إلاّ بالمؤسسة الدينية بما هي في جوهرها مؤسسة القيم المتخفّية وراء كلّ أنواع القيم.

ضدّ أيّ تصوّر أحاديّ الجانب للأخلاق، سواء يردّها إلى "المنفعة"[1] أو إلى "الواجب"[2]، ينبّه نيتشه إلى أنّ القيم لها مصدر متردّم وسحيق القدم، هو ذاك الصراع بين قيم النبلاء وقيم العبيد، بين من يقول "أنا كريم" و"أنت لئيم" ومن يقول "أنا خيّر" و"أنت شرّير"، بين "الروح الحرّة" للمحارب و"الاضطغان" الدفين للكاهن.

كلّ تفكير هو، في تقدير نيتشه، محاربة لصورة الكاهن المختبئة في قاع العقل الإنساني الحالي. ولكن إلى أيّ مدى يمكننا ذلك؟

يقول: «في الحقيقة، للمرء طاقةٌ على كلّ ذلك، متى كان قد وُلد من أجل وجود كمين تحت الأرض ومحارب؛ فشأن المرء أن يعود دوماً من جديد إلى وضَح النور، شأن المرء أن يعيش دوما من جديد ساعته الذهبيّة وأن ينتصر، - ومن ثمّ أن ينتصب هناك، كما وُلد، غَير قابل للانكسار، متوتّرا، متأهّباً للجديد، للأمر الأعسر والأبعد، كما قوسٌ لا تزيدها الشدّة إلاّ انتصاباً» (المقالة الأولى، 12)[3].

التأويل هو فنّ القوس المشدودة التي تعلّم المرء كيف يذهب إلى أبعد من نفسه ويتغلب على حدود نفسه. هو فنّ "التغلب على النفس"، تلك النفس التي ورثها وراثة ولم يشارك في صنعها إلى حدّ الآن، وانقلبت إلى حجر عثرة أمام الطريق إلى هدف أبعد فأبعد.

قال: «أن نفسّر حياتنا الغريزية برمّتها بوصفها تهيئة وتفريعا لشكل أساسي واحد من الإرادة- ألا وهي إرادة الاقتدار، تلك هي أطروحتي **الخاصة**..»[4]

---

1 – نفسه، المقالة I، §§ 1–3.

2 – نفسه، التصدير، § 3، المقالة III، § 25؛ **ما وراء الخير والشر**، §§ 11 و54.

3 – قارن: **ما وراء الخير والشر**، التصدير.

4 – **ما وراء الخير والشر**، § 36.

كلّ كهنوت هو ارتكاس إزاء الحياة، تقنية للسيطرة على إرادة الاقتدار التي تحرّكها وذلك تحت عنوان مريب: "تربيتها" و"تهذيبها"، ولا يعني ذلك في لغة نيتشه سوى "تدجينها" ومعاقبتها من الداخل: بتحميلها "ذنب" كونها "هي" نفسها، أي كونها "حيّة"، ذنب الحياة أو الحياة نفسها بوصفها ذنبا لا يُغتفر. "الحياة" هي كلّ ما وجدنا عليه أنفسنا من حيوانية دفينة، من غرائز ودوافع وحريات ورغبات وآمال وطاقات ولذات وذكاء وحقوق، سابقة على الطبقة "الإنسانية" أو "المؤنسنة" والتي ندعوها "تخلّقا" بأخلاق "أفضل" أو "حسنى" أو "مثلى".

بيد أنّه لا يكفي أن نميّز **مثل** نيتشه بين "أخلاق الأسياد وأخلاق العبيد" حتى نفهم قصده ونمسك برهانه ونجاريه في مغامرته غير المسبوقة. ذلك تمييز كان رائجا حتى بين العبيد. – إنّ الخطير هو ما يقوم به "الكهان"، مهما كان لونهم أو اسمهم أو قومهم أو عصرهم، من صبّ للسمّ في الدسم، وفرضية "التسميم" متواترة تحت قلم نيتشه.

قال في الفقرة 7 من المقالة الأولى: «إنّ الكهّان، كما هو معلوم، هم **أشرّ الأعداء**- ولكن لماذا؟ لأنّهم أكثر الناس عجزا. ومن العجز يتولّد عندهم الكُرْهُ، مرعبًا وموحشاً، روحيّاً ومسموماً كأشدّ ما يكون. لقد كان أشدّ الناس كرها في تاريخ العالم على الدوام كهّاناً، وكان هؤلاء الكارهون أيضا من أشدّ الأرواح مكراً: - فإزاء روح الثأر التي تسكن الكهّان يكاد لا يدخل أيُّ روح آخر في الاعتبار. وما أبلد تاريخ البشر لولا الروح التي تأتّت إليه من العاجزين.»

إنّ العبارة التي تستوقفنا هنا هي: يتولّد الكرهُ عند الكهّان "روحيّاً ومسموماً كأشدّ ما يكون" (ins Geistigste und Giftigste). لا يكفي أن نعلّق هنا على أنّ نيتشه يستثمر التناغم الواقع في الأذن الألمانية بين العبارتين: "الأكثر روحا" و"الأكثر سمّا" يتصاديان. بل الأخطر من ذلك أشواطا هو تنبيه نيتشه المتكرّر إلى هذا الواقع الاصطلاحي المرير: أنّه ليس فقط من الصعب أن نفصل سلّم قيم العبيد عن سلّم قيم الأسياد في تاريخ الأخلاق السائدة إلى حدّ الآن، والتي بنى عليها الحيوان البشري تقويماته الحاسمة لمعنى حياته على الأرض، بل أنّ "المحدثين" قد نجحوا في إنشاء معجم قيمي وسطي، صوري، محايد، تصالحي، "موضوعي" و"كوني"، .. ردم الهوّة بين أخلاق الأسياد وأخلاق العبيد على نحو مخاتل وماكر ومنافق. وحسب نيتشه، يمكن الحكم على كلّ "الأفكار الحديثة" من قبيل المساواة والحس الديمقراطي والواجب والضمير المهني والاحترام... بوصفها

تنويعات متنكّرة علـى المعجم الكهنوتي. وإنّ كانط هو البطل النموذجي عن هذا النجـاح "اللاهوتي" المقنّع. النجاح "اللائكـي" في إقامة كهنوت عقلي بلا طقوس.

أمّا النتيجة الأخلاقية المباشرة لهذا التحوّل المفهومي الخفيّ فهو إنتاج "الإنسان الحديث": هذا الكائن المشوّه الذي لم يعد يستطيع أن يكون لا سيّدا ولا عبدا. في هذه البؤرة "الحديثة" تكوّنت تقويمات سـقيمة وباهتة تدعي أنّها محايدة ونزيهة من قبيل: الحســن والسـيّئ، الجيّد والرديء، النافع والضار، اللائق وغير اللائق، المـشروع وغـير المشروع، ... وهــي كلّها تقويـمات منافقة لأنّها لا تريد الحسـم الأخلاقي في مرتبتها من إرادة الاقتدار: هل تريد السـيادة أم تريد العبودية. مثلا: لا معنى لأنْ نقول عن شــخص ما إنّه سيّء أو إنّه حســن، وإنّه جيّد أو إنّه رديء، مـا لم نربط ذلك بتأويل حيوي نشـط وجسـور لإرادة الحيـاة التي تحدو ذلك الشخص. من أجل ذلك لا يكون الشخص "سيّدا" أو "عبدا" بالمعنى الاجتماعي أو السياسي السائد، بل في معنى إرادة السيادة على معنى الحياة التي يريد أن يخلقها وإرادة العبودية لمعنى مقرّر ومفروض عن الحياة.

لذلــك فـإنّ التقابل لا معنــى له بين الخيّر والحســن أو بين الخـيّر والجيّد أو بـين الشرّير والسـيّئ أو بين الشرّير والــرديء إلا ظاهرا أو في الدرجة فحســب. والتســميم الحديث للروح إنّـما هو متأتّ من هذا النفـاق القيمي: أن نخفّف من وطأة الحكم المسـبق اللاهوتي بواسطة حكم مسبق أخلاقي. وفي واقع الأمر هما سـيّان. إنّ التقابل الحيوي والأصيل هـو ما بين الخيّر (بالمعنى الديني والأخلاقي) وبين "الكريم" أو "الشريف" (بالمعنى الأرسـتقراطي). كما هو الشأن مع الحالة المضادة: بين "الشرّير" و"اللئيم" أو بين الشرّير والخسيس أو بين الشرّير والوضيع.

بيــد أنّه علينا أن نحـترس من أيّ فهم "أخلاقوي" لكتابات نيتشــه: مثلا أن نعتبره معارضا يائسا للأنوار الحديثة أو داعيا خطيرا إلى البربرية أو عدوّا للسامية أو قوميا متعصّبا أو جماعويّا حزينا ضدّ المكاســب الحقوقية للدولة اللبرالية...تلك أفكار مسـبقة أخرى، أو ضروب مريضة من الفضول. - إنّه فقط يمارس "أنوارا جديدة" يدفع بها بعيدا عن أيّ أنوار سابقة، بما فيها تلك التي سمّيت راهنا باسم "الأنوار الجذرية"، وهي ليســت جذرية إلاّ بقدر ما تظنّ أنّ "الإلحاد" الحديث هو الطور الأعلى من كلّ "غريزة حرية". والحال أنّ نيتشه قد فضح حتى الإلحاد نفسه بوصفــه لا يملك توضيحا جذريا حول قيمة الحرية التي يفاخرنا بها. إنّ الإلحاد

لم يكن إلى حدّ الآن إلاّ إيمانا أو"مثالا نُسُكيّاً" مقلوبا (المقالة الثالثة، الفقرة 27): استيلاء صفيقا على مكان الإله الأخلاقي الذي صار شاغرا، في خلط مزر بين "الإنسان الأعلى" (der höhere Mensch)[1]، الذي استولى على الأسماء الحسنى للإله التوحيدي، وبين الإقدام على الذهاب الجسور إلى "ما فوق الإنسان" (der Übermensch)[2]، بوصفه مطلب الحياة الحرة، التي تتمتع بصحة ميتافيزيقية جيدة، والتي لا تطلب أقلّ من هذا: خلق "نمط بشري" من نوع جديد.

يقول في الفقرة 11 من المقالة الأولى، متحدّثا عن "النبلاء"، خالقي قيمهم بأنفسهم:

«- أكان النبلاء روماً أم عرباً، جرماناً أم يابانيين، أكانوا أبطالا هوميريين أم فيكنغ إسكاندينافيين- في هكذا حاجة هُمُ كانوا سواء. الأعراق النبيلة، هي تلك التي تركت مفهومَ "البربريّ" على جميع آثارها، أينما ذهبت؛ (...) "جرأةُ" الأعراق النبيلة، وهي لعمري جرأة مجنونة، عابثة، خاطفة، كما تعبّر عن نفسها، وما لا يُتوقَّع وما لا يُصدَّق في ما تأتي من أفعال جسام – وبريكلس قد خصّ بالذكر ῥαθυμία[3] الأثينيين- عدم اكتراثهم واستخفافهم بالأمن والجسد والحياة والترف، الصفاء المفزع وعمق اللذّة في كلّ دمار، في كلّ استمتاع بالنصر وبالقساوة- كلّ ذلك يُردّ عند **الذين** يألمون إلى صورة "البربريّ"، و"العدوّ الشرّير"...»

علينا أن نأخذ تلك القائمة من الشعوب الأرستقراطية بوصفها ستة أمثلة عن تلك "الدابة" الحرّة القديمة التي رسمت ملامح النموذج الأخلاقي للنبيل في كل أصقاع الأرض التي صنعت تاريخا كبيرا للنوع البشري. – غير أنّه على عكس كلّ ما توحي به نصوص نيتشه من أحكام أخلاقية مسبقة (من قبيل نقده المقذع لليهود، كما في الفقرات 7 و16 من المقالة الأولى أو ملاحظاته على لون هذا الشعب أو نسبه، كما في الفقرة 5 من نفس المقالة...) فإنّ نيتشه ليس معاديا للسامية ولا داعيا للميز العنصري (انظر: المقالة الثانية، الفقرة 12، **ما وراء الخير والشر**، § 251). بل هو يفكّر فيما أبعد من أيّ مركزية عرقية أو قومية أو جماعوية.. ولذلك ليس للمجازات الحيوانية في كتابات نيتشه إلاّ دور تأويلي: فضح "الإنسان الحديث" (الأوروبي ولكن أوروبا في معنى غير جغرافي وإنّما أخلاقي أو حضاري، حيث يشير نيتشه إلى أنّ أوروبا قد أخذت تجتاح الأرض

---

1 – قارن: **حدّث زرادشت قال**. الكتاب الرابع، حديث "عن الإنسان الأعلى".

2 – قارن: **حدّث زرادشت قال**. **الفاتحة**. §§ 3–4.

3 – *rhathymia* – عدم الاهتمام، الاستهتار، اللامبالاة. ولكن أيضا الرخاوة والكسل.

بقيمها) بوصفه أقرب ما يكون إلى حيوان "مدجّن". - ما يريده نيتشه هو إعادة القدرة على الحياة إلى الشعوب الحديثة التي خدعها الكاهن الجديد في ثوب العالم الملحد والمحايد والنزيه. وسلّمها إلى "غول" الأزمنة الجديدة[1]: دولة الإنسان الأخير أو الحيوان "الديمقراطي".

لكنّ كلّ تخريجات نيتشه تأويلية كأعلى ما يكون، ولا تستعمل التاريخ إلاّ تنميطاً أو توضيحا فحسب. بل: ليس من أصالة لأيّ فكر أو تقويم أو تأويل إلاّ بقدر ما يكون صيّادا للأنماط التأسيسية لمعنى مغامرة الحيوان البشري على الأرض. هذا الحيوان "النمطي" بامتياز. ولا يتحدث نيتشه عن "قوميات" جاهزة بل عن "أنماط" بشرية ليس بينها من "تراتب" إلاّ في ميدان القيم، قيم الاقتدار وقيم الحياة (المقالة الأولى، الفقرة 17، هامش).

ثمّة بالفعل، حسب، نيتشه "حرب" قيم بين الأنماط البشرية، وهو ما يعني تحديدا أنّه توجد حرب تأويلية بين الشعوب الكبيرة، بل إنّ نيتشه قد وجد الممثّلين الأكبرين لهذه الحرب في تأويل[2] قيمة القيم التي تحكّمت في معنى وجود الإنسان على الأرض إلى حدّ الآن: «إنّ رمز هذا الصراع، مكتوبا بخطّ ظلّ إلى حدّ الآن مقروءًا على مدى تاريخ البشر برمّته، إنّما اسمه روما ضدّ يهودا، يهودا ضدّ روما» (المقالة الأولى، الفقرة 16).

وإنّ دور الفلسفة هو أن ترصد الدوافع النفسانية المنتجة للتأويلات الأساسية للحياة في شكل سلالم قيم، وذلك من أجل تقويمها بحسب إرادة الاقتدار التي تحدوها.

يقول نيتشه في آخر المقالة الأولى، الفقرة 17: «كلّ العلوم إنّما شأنها منذ الآن أن تهيّئ المهمّة المستقبليّة للفيلسوف: متى فهمنا هكذا مهمّة بأنّ على الفيلسوف أن يحلّ **مشكل القيمة**، أنّ عليه أن يعيّن **تراتب القيم**.»

حسب نيتشه ليس ثمّة "واقع" موضوعي متفق عليه، كما أنّه لا وجود لأيّ "مفاهيم" أو "مقولات" محضة أو بريئة أو جاهزة للعقل السليم. بل الواقع واللغة والمفاهيم هي "أمارات" حيّة عن إرادة اقتدار مخصوصة وشديدة التوقيع: لعبة تأويلات تدور حول زيادة مطّردة للقدرة على الحياة[3].

1 – قارن: **حدّث زرادشت قال**، الكتاب الأول، حديث "عن الصنم الجديد".

2 – عن العلاقة بين التأويل والحرب، قارن: كتاب **الفجر**، الفقرة 84: عن تفسير المسيحيين لآيات التوراة.

3 – را: **ما وراء الخير والشر**، الفقرة 36.

ولذلك لا يملّ نيتشه من تحويل وجهة المصطلحات الميتافيزيقية التقليدية واستخدامها بشكل مجازي ونفساني عالي الطراز[1]. وهو يغيّر دوما من لغته ومصطلحه: ليس هناك اصطلاح نهائي للتفكير، ثمة باستمرار حاجة إلى التأويل والترجمة والتقويم والتحويل المفهومي والأسئلة الجديدة. وعلى ذلك فإنّ نيتشه يحرص على التمييز الحادّ والغاضب بين "التأويل" كغريزة سميوطيقية خاصة بالحيوان البشري بعامة وبين "التأويل الديني" (المقالة الثالثة، الفقرة 20) كمكر لاهوتي "لئيم" يقوم على تحريف النصوص واستعمالها كإرادة اقتدار مريضة لا تقوى على مواجهة الحياة فتعوّضها بضرب متنكّر من "إرادة العدم".

إنّ تأويل نيتشه هو فنّ التمييز بين "المعنى" والحاجة إلى "المعاناة" (المقالة الثالثة، الفقرة 28 والأخيرة) بواسطة ضرب صحّي من "غريزة الحرية". ولذلك هو لا يقصد إلى أقلّ من اختراع غرائز "جديدة" للحياة. وهي ليست جديدة إلاّ في معنى كونها لا تستطيع أن تعمل إلاّ بقدر ما تتخلّص من نمط التقويم الذي ظلّ يسيطر عليها. بهذا المعنى يدافع نيتشه عن "النسيان" بوصفه "قوة" بإمكانها أن تعيد لنا قدرتنا القديمة على "النسيان النشط"، ذاك الذي يعلّمنا أنّ عمل الغرائز موازٍ لعمل المعاني: كلّها تقويمات لإرادة الاقتدار. ومن ثمّة أنّه كما تحتاج الحياة إلى "الالتهام بالجسد" (Einverleibung)، هي تحتاج أيضا إلى "الالتهام بالنفس" (Einverseelung) (المقالة الثانية، الفقرة 1) أي إلى تحويل تفكيرنا إلى ضرب من الاستهلاك الصحّي لدوافعنا النفسية.

إنّ التأويل هو بذلك تمرين في النسيان الأرستقراطي لتلك "الأفكار الثابتة" أو للثوابت التي تفرضها الجماعة على الفرد الحر أو النابتة في شكل سلّم قيم يعمل بوتيرة آلية وينقلب آخر المطاف إلى "مثل عليا نُسُكيّة"، تدرّب النفوس على "التنسّك"، أي على "رياضة" كهنوتية ضدّ الجسد، تقوم على سياسة الذاكرة القادرة على "الوعود" أو "الأفكار التي لا تُمحى" (المقالة الثانية، الفقرة 3)[2].

---

1 – قارن: التصدير، الفقرات 2–3 والمقالة II، الفقرة 1 (عن الوعي أو "الصفحة البيضاء")، أو ما وراء الخير والشر، الفقرة 44 (عن الإرادة الحرة)...

2 – «إنّ التنسّك إنّما ينتمي إلى هذا المضمار: أنّه يجب أن نجعل بعض الأفكار لا تُمحى، حاضرة أينما ولّينا، عصيّة على النسيان، "ثابتة"، وذلك بهدف تنويم النظام العصبي والذهني عبر هذه "الأفكار الثابتة"– وإنّما طرائق الحياة وأشكالها النُسُكيّة وسائلُ من أجل أن نخلّص هذه الأفكار من التنافس مع الأفكار الأخرى جميعاً، من أجل أن نجعلها "لا تُنسى".» (المقالة الثانية، الفقرة 3)

من أجل ذلك فإنّ التفكير الفلسفي هو، حسب نيتشه، فنّ نزع الطابع النُّسُكي عن العقل البشري، وذلك بأن يحرّره من "مثل عليا" نهائية حول معنى وجودنا على الأرض. بالتأكيد على:

«أنّ كلّ حادثة في العالم العضوي هي **غلبةٌ وسيادة**[1] وأنّ كلّ غلبة وسيادة هي بدورها تأويلٌ جديد، وترميم[2]، لديه لابدّ وأن يصبح "المعنى" و"الهدف" السابق مستورا أو ممحوّا تماماً" (المقالة الثانية، الفقرة 12)؛ و" أنّ كلّ الأهداف وكلّ الفوائد إنْ هي إلاّ **أمارات**[3] على هذا أنّ إرادة اقتدار قد صارت كما سيّد مقتدر على شيء أقلّ منه اقتداراً، وختم له من نفسه على معنى وظيفة ما؛ وإنّ التاريخ الكامل لـ"شيء" ما وعضو ما وتقليد ما إنّما يمكن أن يكون على هذا النحو سلسلة علامات[4] متصلة من التأويلات والاستصلاحات الجديدة على الدوام، لا تحتاج أسبابها ذاتها لأنْ تكون في تلازم فيما بينها، بل حَسْبُها على الأرجح إذا اقتضى الحال أن تتتالى على سبيل المصادفة وأن تتناوب...إنّ الشكل لمائعٌ، لكنّ "المعنى" أكثر وأكثر...» (المقالة الثانية، الفقرة 12).

ليس هناك معنى في ذاته. بل كلّ معنى هو "توليفة من المعاني"(المقالة الثانية، الفقرة 13) التي تقود إرادة الحياة في عصر أو ثقافة ما. لكنّ تحرير المعنى من "رياضة" اللامعنى التي انقلبت مع العصور إلى سلّم قيم يعمل بشكل آلي ليست نزهة استطيقية. بل هي، حسب نيتشه، حرب ضدّ المثل الأعلى التنسّكي الذي انتصر على الأرض وصار يعمل بشكل لا واعٍ تماما.

ومثلما أنّ عمل الكاهن في كل ثقافة هو تدجين "الوحش" بالمثل العليا (المقالة الثالثة، الفقرة 15)، والتي وجدت في "رياضة" العدم، أي في فنّ "التنسّك" نموذجها الأرقى، - فإنّ التأويل هو تحرير الوحش: تحرير المعنى من الكاهن. وهو فنّ صعب المراس ولا يأتينا في كل مرة إلاّ بـ"إبانة مؤقتة" (المقالة الثانية، الفقرة 16).

وإنّ علينا أن نقف عند هذا الطابع المؤقت للتأويل. إنّ المؤوّل الأرستقراطي لا يدافع عن أيّ جدار نهائي للمعنى. فإنّ التأويل كضرب من إرادة الاقتدار هو حراسة ومعاشرة وتفكّر طويل (المقالة الثانية، الفقرة 16). وكما أنّ «الدابة

---

1 - *Herrwerden*

2 - ein Zurechtmachen. الترميم عارض على تشوّه تأويلي يصيب إرادة اقتدار جديدة استولت على قيمة قديمة. قارن: ما وراء الخير والشر، الفقرة 14.

3 - Anzeichen

4 - eine Zeichen-Kette

الفلسفية تصبو بغريزتها إلى أقصى ما يمكن من الظروف الملائمة، التي تستطيع من خلالها أن تطلق كلّ قوّتها وأن تبلغ إلى أوج شعورها بالاقتدار» (المقالة الثالثة، الفقرة 7)، كذلك التأويل تحرير للمعنى وإطلاق لقوة الإثبات إلى أقصى ما يمكن من إرادة السؤال عن قيمة الحياة.

ولذلك يحرص نيتشه على الربط بين "مصلحة الحياة نفسها" وبين "معنى" أيّ نوع من التقويم، ومن ثمّ فكلّ موقف "نُسُكيّ"، أي يدرّب النفس على الاستغناء عن دوافع الحياة، هو "تناقض مع النفس" (المقالة الثالثة، الفقرة 11)، وهو تناقض في معنى أنّه يدرّب الحياة على إرادة العدم، من خلال فن "الرجاء" في عالم "آخر".

ولأنّ فنّ الرجاء هو لا يعدو أن يكون "مرضا" أخلاقيا انتصر على منافسيه القدامى، أي على غرائز الحرية القديمة، تلك التي عرفها "الأنا الحيواني السحيق القدم" والذي صاحب الإنسانية في تاريخها الطويل باتجاهنا، - فإنّ التأويل هو بالأساس سلوك طبّي، ولطالما حرص نيتشه على أن يقدّم الأخلاق وكأنّها عدوى (المقالة الثالثة، الفقرة 20).

لذلك هو ينبّه عديد المرات إلى الفرق بين "تربية" الحيوان البشري (Züchtung) وبين "تدجينه" (Zähmung). ومن لا يشعر بالمسافة بين التربية الحيوية والتدجين الحضاري لا يمكنه أن يفهم معنى التأويل لدى نيتشه: إنّه يكتب في تقابل عنيد بين النبيل والوضيع في الأنماط الأخلاقية كما في أصناف المعاني.

إنّ كراهية الحياة مثلا ليس موقفا عبثيا لدى المتنسّكين: بل هو مكر الحياة نفسها، كيف تستعمل الضعفاء للحفاظ على الحياة ذاتها. التأويل هو قراءة في ظاهرة كره الحياة بوصفها جزء من مكر الحياة في البقاء. يقول: «لابدّ أنّ ضرورة من الدرجة الأولى، قد جعلت هذا النوع **المعادي للحياة** ينمو على الدوام ويزدهر، - لابدّ أن تكون هناك **مصلحة ما للحياة نفسها** في أنّ مثل هذا النمط من التناقض مع النفس لا ينقرض» (المقالة الثالثة، الفقرة 11).

ومن ثمّة ليس التأويل لدى نيتشه بحثا عن "المعنى" المختفي في النصوص أو في الظواهر الأخلاقية، بل محاولة الربط بين "المعنى" الذي يعطيه كائن حي لحياته وبين نمط "المعاناة" الذي أقام عليه ذلك المعنى. ولذلك ليس التأويل "دحضا" منطقيا لأيّ "تناقض مع النفس"، بل محاولة لفهمه حسب منطقه الحيوي الخاص، بعيدا عن أيّ منطق آخر، لأنّه سيكون مجرد مكر حيوي متنكّر.

يقول: «إنّ إرادة المرء أن يرى على نحو مغاير[1]ليست تربية أو تهيئة هيّنة للعقل من أجل "موضوعيّة" مرتقبة، - دون أن تُفهَم هذه الأخيرة باعتبارها "حدساً خلوا من أيّ مصلحة" (إذ تكون بذلك تصوّرا باطلا ولا معنى)، بل بوصفها القدرة على أن نملك نَعَمَنا ولاءَنا[2] **تحت سلطتنا** وأن نرفعهما أو نضعهما كما نريد: بحيث يعرف المرء حتى بإزاء **اختلاف**[3] المنظورات والتأويلات الوجدانية كيف يجعلها في خدمة المعرفة.» (المقالة الثالثة، الفقرة 12).

أن نفهم بشــكل مغاير هو موقف تأويلي مضاد لكلّ نمط نُسُكيّ. ويربط نيتشه بين الطابع "المنظوري" للوجود والطابع "التأويلي" لمعانيه المتعددة واللامتناهية (**المعرفـة المرحـة**، الفقرة 374). ثمّـة تأويلات بقدر ما ثمّة "لحظـات" في وجودنا. وكلّ لحظة هي بذاتها تأويل.

ولكن لنحترس مــن "التأمّليين" الذين يعوّلون عــلى "إلحاد" نظري من أجل حــلّ لغز قيمة القيم الأخلاقية لوجودنا على الأرض. إذ ليس الكاهن نمطا دينيا مهددا بالانقراض، بل هو آلة قيم تشكّلت بعد تطوّر أخلاقي سحيق القدم طال كلّ أشــكال الحيوانية النائمة في النوع البشري ولازالت إلى اليوم تأكل كلّ النفـوس. ولذلك فـإنّ النقد "الحديث" الهادف إلى دحــض خطاب الكاهن لا يؤثّر في شيء على سطوته. إنّ هذا النقد نفسه ملوّث بعدوى المثل النّسكيّة، وبهذا المعنى حكم نيتشــه على نجــاح كانط بأنّه نجاح لاهــوتي. إنّ الكاهن لم يعد يتخذ هيئة لاهوتية واضحة، بل صار يســكن كل المثل العليا التي عرفها البشر من الأخلاق إلى الفن ومن الفلسفة إلى العلم.إنّ الكاهن قد تسلّل إلى مخبأ "الحاجة إلى المعنى" التي تؤرق الحيوان البشري: أن تكون لحياته المعذبة معنى. وطالما يفلح الكاهن في توفير المعنى فهو سيستمر في تسميم الحياة وتحويلها إلى تهمة.

نحــن لن نتخلّص من "التأويل الديني" (المقالة الثالثة، الفقرة 20) بل علينا فقط أن نتحرّر منه بتأويل آخر أكثر صحّة. **إنّ الحياة نفسها تأويل**: نزاع غريزي مع المعنى واللامعنى. لكنّ الهدف واحد: «أنْ تبرّر نفســها، أنْ تــبرر ما فيها من "معاناة"» (المقالة الثانية، الفقرة 7). ومن هنا علينا في كل مرة أن نفرّق بين "التأويل" الصحّي وبين "التبرير" الذي يقوم على عدم التمييز بين "المعنى" و"المعاناة".

---

1 - anders-sehn-*wollen*

2 - sein Für und Wider

3 - *Verschiedenheit*

ولذل"ك يميل التأويل الديني إلى الخلط بين التبرير والتأويل، وذلك من خلال الخلط بين الواقع والقيمة، وفي الأخير بين "القطيع" و"الجماعة". وهذا هو حسب نيتشه منبت إرادة "تكوين القطعان" وتكوين "الجماعات" و"الطوائف". إرادة اقتدار متنكّرة ومريضة ترغب في أمر واحد: تدجين الوحش الذي في الحياة الإنسانية من خلال إنتاج الحيوان الأخلاقي الذي يجد راحته من ألم الكيان في أفق معاناة معيّن بوصفه هو أفق المعنى المناسب لحفظ نوعه[1]. وهو قد تعوّد العثور على تلك الراحة "النسكيّة" بقدر ما يستجيب إلى أمر الكاهن النائم فيه: الأمر بضرورة "الامتناع عن التأويل":

يقول نيتشه: «هذا الامتناع عن القيام بأيّ تأويل بعامة (بأيّ عنف أو تعديل أو اختصار أو حذف أو سدّ للثغرات أو اختلاق أو تزييف وسائر ما يدخل في **ماهية** كلّ تأويل)- كلّ ذلك إنّما يعبّر، متى أُخذ في جملته، عن نُسُكيّة[2] الفضيلة، بنفس القدر الذي يعبّر به عنها أيُّ نفي لشهوة الحس (لا يتعلق الأمر في الأساس إلاّ بضرب[3] من هذا النفي)» (المقالة الثالثة، 24)

إنّ الامتناع عن التأويل هو إذن الأمر النسكيّ الأخطر الذي تمارسه الأديان على الإنسان الأخلاقي الذي تحكّم في معنى الوجود على الأرض منذ بضعة آلاف من السنين. والحال أنّ الهدف الحقيقي لهذه الإرادة المريضة هو تدجين "الألم" وتحويله إلى "متعة" عدمية تحت التصرّف. لكنّ ما ينبّهنا إليه نيتشه، وهذا هو دور الفيلسوف في المستقبل، هو تعرية المكر النسكيّ مهما كان مختبئا، وذلك بإثبات العلاقة اللازمة بين المعنى والمعاناة، من حيث "أنّ ما يثير حقّا ضدّ الألم، ليس الألم بحدّ ذاته، بل لا-معنى الألم" (المقالة الثانية، الفقرة 7)، و«أنّ "ألم النفس"[4] ذاته ليس يجب أن يسوغ على العموم بوصفه أمرا واقعا، بل بوصفه تأويلا[5] فحسب (تفسيرا سببيّا[6]) لوقائع لم تُصَغْ إلى حدّ الآن على نحو دقيق: ومن ثمّ بوصفه شيئا لا يزال يتأرجح تماما في الهواء وغير ملزم من الناحية العلمية، - كلمة بدينة، في حقيقة الأمر، أخذت فقط

---

1 - «إنّ **تكوين القطعان** هو، في الصراع ضدّ الانهيار، خطوة عملاقة وضرب من النصر. وإنّما بنشأة الجماعة يتعزّز أيضا عند الفرد نحوٌ جديد من الاهتمام [بنفسه]» (المقالة 3، الفقرة 18)

2 - der Ascetismus

3 - Modus

4 - der seelische Schmerz

5 - Auslegung

6 - Causal-Auslegung

مكان نقطة استفهام نحيلة» (المقالة الثالثة، 16). هل كانت دعوة نيتشه إلى استئناف التأويل ضدّ لا معنى الألم ضربا من التنوير؟

في خريف 1884، فكّر نيتشـه في وضع كتاب لم يكتبه أعطاه هذا العنوان: «"الأنوار" الجديدة. مقدمة إلى فلسـفة العود الأبدي». ولكن إذا كان نيتشـه يعرض عن إنسان الجموع، فأيّ معنى للتنوير؟ - وعلى ذلك علينا أن نسأل: هل كان كتـاب **جنيالوجيا الأخلاق** (بمعية كتاب **ماوراء الخير والشر**) تنفيذا أو تجذيرا شاملا لمهمّة تلك "الأنوار الجديدة"؟

2 - نيتشه والترجمة:

أ - "أخلاق" (die *Moral*) و"أخلاق" (die *Sittlichkeit*)

كان نيتشـه قد عنون الفقرة 9 من الكتـاب الأول من **الفجر** "مفهوم أخلاق العادات والتقاليد" (*Begriff der Sittlichkeit der Sitte*). ووجه الطرافة هنا أنّ نيتشـه ينبّه إلى ضرورة التمييز بين "أخلاق" الإنسـانية كما نعرفها (أخلاق الخير والشر) وبين "أخلاق" الإنسـانية السحيقة القدم، تلك التي لم تعرف من سلطة أخلاقية أخرى غير "العـادات والتقاليد والأعراف" (die Sitte) التي سـنّتها "جماعة" ما لنفسـها. ومن ثمّ فنحن بالنسـبة إلى تلك الإنسـانية القديمة إنّما نعيش، حسـب نيتشـه، في عـصر "غير أخلاقـي تماما" لأنّه "عصر خال تماما من العـادات والتقليد" (in einer sehr unsittlichen Zeit). لم يكـن ثمّـة فاصل بين "سـلطة العادات والأعراف" (die Macht der Sitte) وبين "الشـعور الخلقي" (das Gefühl der Sittlichkeit). وفي العبـارة الألمانية "Sittlichkeit" ثمّة شيء لا يوجـد في اللغات الأخرى (اللّهم إلاّ في اليونانيـة)، ألا وهو الجمع بين معنى "العـادات والتقاليد"(die Sitte) ومعنى "الأخلاق" (Sittlichkeit). ولهذا اختارها نيتشـه بعناية، رغم أنّه يستعمل في عنوان كتابـه "جنيالوجيـا الأخـلاق" لفظـة "die Moral". وفي تقديرنا قـد بان القصد من عنوان الكتاب: إنّ "الجنيالوجيا" تعني الكشـف عن "نشـأة الأخلاق" (die Entstehung der Moral) التـي نعرفهـا، أي التنقيب عن تلك "المصادر" (وليس "الأصول" فإنّ نيتشه ليس "أصوليا" في شيء) السحيقة القدم التي تشكّل في تربتها ذلـك "النمط" الأقـدم من الأخلاق، أي ما سـمّاه نيتشـه "die Sittlichkeit der Sitte"، وذلك قبل أن يقع الانحراف اللاحق الذي "لوّث" الوعي البشري القديم ببثّ عـدوى "الأخلاق" (die Moral) التي نعرفها اليوم، والتي بلغت مع الأخلاق

المسيحية ذروتها، إلاّ أنّه لا يبعد أن تكون قد وجدت في الأخلاق السقراطية والأفلاطونية اليونانية رافدا عميقا لها، وبعامة في أخلاق "الكاهن" مهما كان زيّه أو اسمه أو لغته، "من الهند إلى انجلترا" كما يقول نيتشه ذات مرة ساخرا.

إنّ المغزى العميق هنا هو أنّه: «حيثما لا يوجد عُرفٌ (Herkommen)، ليس ثمّة أخلاق (Sittlichkeit)»، لأنّ "الشعور الخلقي" لا معنى له سوى "طاعة العادات والتقاليد".

لكنّ قصد نيتشه ليس الدفاع عن "أخلاق العادات والتقاليد" ضدّ "أخلاق" الخير والشر، بل هو: أوّلا، التنبيه إلى النسبيّة والهشاشة والتاريخيّة العميقة للقيم الأخلاقية التي نعرفها. وأنّ ما نسمّيها اليوم "غير أخلاقي" (unmoralisch) هو في واقع الأمر لم يكن يعني سوى "خارج عن العادات والتقاليد" (unsittlich) وذلك طيلة فترة سحيقة القدم من تاريخ الإنسانية. ولكن على الخصوص، ثانيا، أنّ علينا أن نتساءل بكلّ اهتمام عمّا تكبّده "الإنسان الحر" في تلك الأزمان القديمة من معاناة بسبب أنّه "**يريد** في كلّ شيء أن يتّبع ذاته وليس أخلاق العادات والتقاليد"، ومن ثمّ ما كانت الإنسانية القديمة تسمّيه "شرّيرا" (böse) إنّما كان مرادفا في واقع الأمر لصفات "الفردي" و"الحر" و"الاتفاقي" و"غير العادي" و"غير المتوقع".. إنّ ما كانت تخاف منه الإنسانية القديمة التي أخذت شكل "الجماعة" التي يحرسها "عُرْفٌ" يعبّر عن سلطته ونفوذه من "أخلاق العادات والتقاليد" هو أن يُقدم "إنسان حر" (أي "غير أخلاقي") على "خلْق أعراف" جديدة، إذ أنّ ذلك إنّما كان حرفة "الكاهن" دون سواه. على "الفرد أن يضحّي بنفسه" من أجل الجماعة، ذلك ما تأمر به "أخلاق العادات والتقاليد". ومن ثمّ تحت سلطة العادات، كلّ أشكال الإبداع تتحوّل ضرورة إلى "ضمير شرّير" (ein böses Gewissen).

ب - "الخيّر والشرّير"، "الكريم واللئيم" *("gut und böse", "gut und schlecht")*

إنّ الألمانية تستعمل هنا لفظة واحدة: "gut" - وهذا أمر ينسحب على الفرنسية (bon) والانجليزية (good) -، للإشارة إلى معنيين يؤكّد نيتشه على تباين **قيمي** جدّ خطير بينهما: أ- معنى أخلاقي وديني تقليدي. ب- معنى "إتيقي" و"استطيقي" مستحدث علينا أن نعثر له على لفظ مناسب. وقد يمكن في العربيّة أن نعوّل على الفرق بين "الخيّر" (بالمعنى الأخلاقي) و"الخَيْر" (بالمعنى الإتيقي)، أي الفرق بين الخيّر -عكس الشرّير- والخَيْر، كما نقول "رجل خَيْرٌ" و"امرأة خَيْرة" - عكس "السَّوء" الذي هو نعت للرجل، إذ نقول "رجل سَوْءٌ"؛ والسوء مأخوذ هنا في معنى

الفساد والهلاك والأفعال المشينة والتي يُستحى منها. وقد استفدنا من هذا الفرق بين "الخيّر" والرجل الخيِّر خاصة في المواضع التي اضطررنا فيها إلى مجاراة نيتشه في تنقيباته الفيلولوجية.

لكنّ وجه الصعوبة يكمن في ترجمة عبارة "gut und schlecht": هي صيغة قد تكون على صلة اصطلاحية بمسألة كلامية عرفها الإسلام الكلاسيكي: **التحسين والتقبيح**. لكنّ مقصد نيتشه مضاد لكل لاهوت متنكّر، مثل ذاك الذي عثر عليه في مفاهيم كانط عن "الخير" و"الواجب" و"الأمر القطعي". كما أنّ "القبيح" مصطلح قد حُوّلت وُجهته في العربية المعاصرة إلى حقل الجماليات، على الرغم من أنّ الفارابي مثلا قد استعمل ثنائية "الجميل والقبيح" في معنى مواز لثنائية "الخير والشر". وقد نرى أنّ بعض المترجمين العرب قد التجئوا إلى حلول أخرى، من قبيل "الطيب والخبيث" و"الحسن والسيّئ" و"الجيّد والرديء"، وربما "الصالح والطالح"... ونحن أيضا أخذنا بها وبغيرها كلّما تعلق الأمر بالأشياء أو بالأفعال، ولكنّنا عرضنا عنها عندما يتعلق الأمر بأنواع البشر أنفسهم أو بالأنماط الأخلاقية.

صحيح أنّه لا مُشاحّة في الأسماء، فإنّ رأس الأمر هو فلسفي هنا وليس لغويا: ألا وهو الالتزام بعدم الخلط في التقويم بين المعجم الأخلاقي-الديني (الخير والشر) الذي ينقده نيتشه وبين شكل التعبير الأرستقراطي الجديد الذي طفق يستحدثه على أساس التمييز الإتيقي بين نماذج الحياة والفصل الاستطيقي بين الأساليب الذوقية، والتفريق القيمي بين الأحكام الأخلاقية والأنماط البشريّة. وكما تشير الفقرة 260 من **ما وراء الخير والشّر**، فإنّ هذه المعاني قد طُبّقت أوّلاً على "البشر" ولم تُطبّق على "الأفعال" إلاّ لاحقا. بيد أنّه لهذا السبب الحاسم، لا تعني عبارة "gut und schlecht" معنى التمييز بين "الحسن والسيئ" أو "الحسن والقبيح" أو "الجيّد والرديء"، من حيث هي توصيفات موضوعية للأفعال الإنسانية أو للأشياء يقوم بها ملاحظ "عالم" ومحايد، بل معنى "الشعور بالمسافة" (المقالة 1، الفقرة 2) الأرستقراطية بين صاحب المنزلة العليا وصاحب المنزلة الدنيا، بين "الكريم واللئيم" و"الشريف والوضيع" و"الحميد والذميم"...، وذلك بمقتضى التمييز الجذري والحادّ بين "أخلاق الأسياد وأخلاق العبيد"[1]. إذ من دون اعتبار هذا النحو من "الشعور بالمسافة" بوصفه المعنى الطوبيقي للتراتب الأرستقراطي وإثبات الفروق والفواصل في خلق القيم، لا يمكننا أن نفلح في فهم مقصد نيتشه

1 – ما وراء الخير والشر، § 260.

من العنوان المزدوج للمقالة الأولى: "خير وشرّ" من جهة، أساسه المساواة الدينية بين الناس، و"كرم ولؤم" أو "شرف وخسّة" من جهة أخرى، تكمن أهمّيته في ترتيب الأنماط البشرية حسب إرادة الاقتدار التي تحرّكها.

ولا يخفى أنّ نيتشه قد أقام نكتة الإشكال في المقالة الأولى من **جنيالوجيا الأخلاق** على تقابل طريف ولكن صارم بين المعجم الأخلاقي والديني (gut und böse)، والتعبير الإتيقي والاستطيقي - (gut und schlecht). - وإذا كان من اليسير أن ننقل الثنائي الأولى بعبارة "الخيّر والشرّير"، فإنّ الثنائي الثاني قد لاقينا منه بعض الصعوبة وتطلّب وجوها من التلطّف، وأوقفنا الأمر في آخر المطاف على استدعاء عبارات مختلفة من قبيل "الشريف والوضيع" أو خاصة "الكريم واللئيم"، الشهيرة في أخلاق الفتوّة عند العرب، على أنّنا لم نغفل أبدا عن أنّ ذلك ليس بالحلّ الوحيد، إذْ وددنا مثلاً أن نقول بدلا عن ذلك "حميد وذميم" أو "عزيز وخسيس"...، إلاّ أنّ العبارة الأولى أشهر. لكنّ مقابلات "schlecht" الوجيهة الأخرى كثيرة: الدنيء، المنحطّ، الشقيّ، البليد، المعيب، الفاسد، الخبيث، النذل، البغيض، ...، وهي على الأغلب مرادفات للفظة "لئيم" أو تجري مجراها. مثلا: وَضُعَ أي لؤم وكان في حسبه انحطاط وخسّة. وهذه كلّها يقولها النبيل على السافل والسيد على العبد...، وليس ذلك في شيء من معاني "السيّئ" أو"الرديء". إذ أنّ هذه على الأغلب تتعلق بالأشياء والأفعال وليس بالأنماط البشرية والأخلاقية نفسها. ويبدو لنا أنّ نيتشه قد استعمل لفظة "Gut" الأرستقراطية في معنى يقارب العبارة "aus gutem Hause" أي "من بيت كريم" أو "من أسرة كريمة"، كما استعمل لفظة "Schlecht" في معنى العبارة "Schlechtigkeit" التي تدلّ على "اللؤم" و"الخبث" و"سوء النفس"، أي معنى "الشرّ" ولكن ليس كما يفهمه الكاهن أو العبد، بل كما يفهمه السيد والعقل الحر.

وثمّة مسوّغ آخر: أنّ نيتشه، مثلما فعل المتنبّي، ذات قصيد، قد قرن بين "اللؤم" و"التمرّد"[1]؛ ووجه الطرافة هنا أنّ قيمة "اللئيم"، مثل قيمة "الكريم"، هي نمط من إرادة الاقتدار وليس وصفا "موضوعيا". لا يتعلق الأمر إذن بمجرّد حكم قيمة أخلاقي على "رداءة" أو "سوء" ما في الأفعال، بل هو تقويم لنمط بشري

1 - جاء في المقالة الأولى: «وإنّما مع اليهود بدأ تمرّد العبيد في الأخلاق: ذاك التمرّد الذي يجرّ وراءه تاريخاً من عشرين قرنا والذي لم يتنحّ اليومَ عن أعيننا إلاّ لهذا السبب فحسب، أنّه - قد انتصر...». وهل نحتاج إلى تبرير آخر لنقرأ المتنبي تحت خيمة نيتشه، في قولته التي صارت مثلاً: **"إذا أنت أكرمت الكريم ملكته++وإنْ أنت أكرمت اللئيم تمرّدا".**

يزعم أنّه "مقياس القيم" بالنسبة إلى الإنسانية. ولذلك هو ليس "شرّيرا" في معنى أنّـه يفعل "الشر" بالمعنى الديني أو الأخلاقي التقليدي، بل هو "لئيم" في معنى أنّه يحترف مكرا أخلاقيا كهنوتيا لترتيب الأنماط البشرية حسـب وصايا الكاهن في صراعه المرير على الأرض ضدّ "الأرواح الحرة".

ج ـ "**الضمير المعذّب**" (*schlechtes Gewissen*)

نحـن هنا أمام دلالـة أخرى جدّ طريفة ولكن متفرّعـة على نحو غير مباشر عن التقابل الأرسـتقراطي بين "gut" و"schlecht". لا يتعلق الأمر بالثنائي المحايد الحديث: "الحسـن والسـيّئ" أو "الجيّـد والرديء"، بل بصيغـة فرعية غير مباشرة مـن الثنائي الأرسـتقراطي: "الكريـم واللئيـم" أو "الشريـف والوضيع". وهو تقابـل ارتكاسي وحزين بين "السـعيد والبائس" أو "المرتـاح والمعذّب" و"النقيّ والشـقيّ"... وعلى وجه الدقّة فإنّ من يشرّع هنا للغة هو النبيل أو السـيد (كما في حالـة "الكريم واللئيم") وليس "العالم" أو الملاحـظ المحايد "الحديث" (كما في حالة "الجيّد والرديء" أو "الحسـن والسـيّئ"). لكنّ الممثّلين الذين يؤدّيان أدوار "الضمـير" هما الكاهن والمريض الأخلاقـي: إنّ الكاهن هو الذي صنع ظاهرة "الضمـير المعـذّب" أو "الضمير الشـقيّ" أو "الضمير الذي يؤنّب نفسـه" وقابلها بظاهـرة "الضمير المرتاح" أو "الضمير السـعيد" أو "الضمير الصـافي السريرة"... ولذلك فإنّ نيتشـه لا يستعمل عبارة " gutes Gewissen" أو عبارة "schlechtes Gewissen" اسـتعمالا موجبا وإثباتيًّا لقيمة نشطة ونبيلة، بل هو يحلّل هذه الأسماء الارتكاسـية ويفكّكها من خلال إعادة تقويمها بشـكل أرسـتقراطي، أي بوضعهـا تحت محكّ التأويل النشـط الـذي يقوم على التفريـق اللطيف بين قيم الاقتدار وقيم الاستكانة، قيم النبلاء وقيم العبيد.

ويبدو لنا أنّ هذه التمييزات الاصطلاحية هي جديدة حتى لدى نيتشـه نفسه، حيث اسـتقرّت على الأغلـب في كتاب **ما وراء الخير والشر**. وذلك رغم أنّها مصطلحات تشـتغل بعدُ في كتبه السـابقة كما عبـارة "böses Gewissen" في كتاب **الفجر** (الفقرة 9) أو التمييز بين "الشريف والوضيع" (Gut und Schlecht) في كتاب **حدّث زرادشت قال** (حديث "الشرور الثلاثة"). ـ وسـبب تحفّظنا هنا هو أنّ نيتشـه قد اسـتعمل، على الأغلب، في كلّ من **الفجر** و**زرادشت** مصطلح "böses Gewissen" وليـس، كـما هو الحـال في **جنيالوجيا الأخـلاق**، مصطلح "schlechtes Gewissen". وهو ما أربك المترجمين (مثلا عند الوصول إلى الفقرة 9

من **الفجر** أو الفقرة 7 من حديث "الألواح القديمة والألواح الجديدة" من كتاب **زرادشت**). وذلك رغم أنّ هذين الكتابين لا يخلوان من استعمال التقابل الذي يهمّنا هنا: "Gut und Böse" و"Gut und Schlecht".

والتفسير الذي نقترحه هو أنّه ربّما مع **ما وراء الخير والشرّ** إنّما نجح نيتشه أخيراً في بلورة سلّم قيم ونمط تقويم بلغ أعلى درجات الاتساق، وصار عندئذ ضروريا إجراء بعض التعديلات المفهومية التي تتماشى مع التقابل الحاد الذي أقامه بين "أخلاق الأسياد وأخلاق العبيد" كما نرى ذلك في الفقرة 260، وصار عندئذ على كلّ المصطلحات التي يفكّر بها منذ 1886 أن تأخذ هذا الشكل التقابلي، وخاصة أن تُصاغ من جديد في المعنى الطوبيقي الطريف لـ"ما وراء": ما وراء الخير والشر، وليس ما وراء السيادة والعبودية. لذلك لم يعد يمكنه أن يقول: "böses Gewissen" بل "schlechtes Gewissen"، لأنّ الذي يتكلّم هنا هو "الروح الحرة" وهي لا تستعمل سوى ألفاظ نشطة، تقويمية وموجبة، وخاصة لأنّها لا تعرف شيئا مثل "الشر". لا يوجد إذن "ضمير شرّير" بل فقط "ضمير معذّب": لأنّ العبد "وضيع" فهو يعاني من "ضمير معذّب"، ورغم ذلك هو يتوهّم دوما أنّ سبب عذابه هو "النبيل" الذي هو رمز "الشر" بالنسبة إليه، النبيل "الشرّير".

د- الـمُثُل النُّسُكيّة، مُثُل التنسّك *(asketische Ideale)*

يعود لفظ "asketisch" (كما في بقية اللغات الأوروبية) إلى أصل يوناني، حيث تعني لفظة "ἀσκητής" : أ- "من يزاول فنّا، من يمارس صناعةً"؛ ب- رياضي، مصارع (ἀσκέω). وتعني عبارة "ἄσκησις": أ- تمرين، أو ممارسة (فن أو صناعة)؛ ب- تمارين رياضية أو نمط حياة خاص بالرياضيين والمصارعين. ومنه "ἀσκητός" الذي يعني: أ- شيء معمول بفنّ وحذق وصناعة؛ ب- شخص متمرّس بفنّ أو صناعة؛ ج- شيء يمكن الحصول عليه بالتمرين والتدريب.

لكنّ هذا المعنى الأصلي (الرياضي أو الذي يصف نمط الحياة القاسية التي تساعد الرياضيين على تحسين قواهم وتصليب أجسامهم وعضلاتهم) للفظة "askêtês" سوف ينسحب تاركا مكانه لمعنى جديد (مسيحي ورهباني وتعبّدي)، حيث سيصبح المقصود (الديني) هو التنسّك والتقشّف. ولم يعد اللفظ متعلقا بحياة "رياضيي" و"أبطال" اليونان بل بتجارب "القدّيسين" و"الشهداء" المسيحيين بوصفهم "عُبّادا" و"نُسّاكا". هذا هو سياق سؤال نيتشه عن دلالة المثل العليا

الجديدة وغير اليونانية: مُثُل التقشّف والتنسّك والرهبنة. وكأنّ نيتشه قد صاغ سؤالين في مصطلح واحد: الأوّل إثباتي: "ما هو معنى المثل الإسكطيقية؟"، أي "ما هو معنى المثل **الرياضية** اليونانية؟". وهو ما تركه نيتشه سؤالا "صامتا". أمّا الثاني فهو: "أيّ معنى للمثل النسكيّة؟"، أي "أيّ معنى لمثل التنسّك المسيحي؟". وهو بالذات السؤال الساخر والنقدي والتأويلي الذي طرحه نيتشه صراحةً وخصص له المقالة الثالثة من **جنيالوجيا الأخلاق**.

كيف نقول ذلك بالعربية؟ - إنّ علينا هنا أن نعثر على عربية "مسيحية" مناسبة وليس "إسلامية" حصرا. وبالتالي علينا أن نميّز عندئذ بين "تنسّك" (مسيحي، هو أقرب إلى **الرهبنة والانتحار الاجتماعي**) وبين "تزهّد" أو "زهد" (إسلامي، هو أقرب إلى **تربية** النفس على "مكارم الأخلاق" بشكل لم يقطع في شيء مع أخلاق الفتوّة البدوية).

نحن نجد بالفعل أنّ العربية تقول "زهد" في معنى رغب عن الشيء وتركه، و"زهد في الدنيا" أي تخلى عنها للعبادة، ومنه "الزهديات" في الشعر. لكنّ "الزهد" لا يستغرق دلالة "التنسّك" المسيحية التي يقصدها نيتشه ويشتغل عليها بوصفها نمطا أخلاقيا ارتكاسيّا تغلغل في المثل العليا للإنسان الأوروبي بعامة. وليس من الصدفة أنّه رغم وجود "مناسك" و"نُسُك" في الإسلام، إلاّ أنّه على وجه الدقة لا يوجد فيه "نسّاك" بل هذه صفة تُركت للإشارة إلى عُبّاد النصارى. ولأنّ العربية تملك تراثا لغويا واسعا فهي "عربيات أديان" متعددة! (عربية وثنية، يهودية، مسيحية، إسلامية، علمانية، ...) فإنّه يجدر بنا أن نأخذ الإشارة إلى المعنى "الأسكيطيقي" (asketisch) في لغة الضاد على ألفاظ (ومعان) شتى، دونما معاندة أو إقصاء، من قبيل لفظة "التنسّك" الثرية معنى واشتقاقا. إنّ سعة صدرها الدلالي لكبير. كما تتوفّر على لفظة "الرياضة" (القريبة من المعنى اليوناني الأصلي)، لاسيّما لدى المتصوّفة: وأصله "راض الدابّة يروضها وطّأها وذلّلها وعلّمها السير"، الذي تحوّل إلى معنى "ملازمة الصلاة والصوم ومحافظة آناء الليل واليوم عن موجبات الإثم واللوم وسد باب النوم والبعد عن صحبة القوم" (كما يقول صاحب **كشّاف اصطلاحات الفنون**).

بقي أن ننبّه إلى أنّ الدين ليس سوى حالة جزئية وخاصة من المثل العليا النّسكية التي تسرّبت حسب نيتشه إلى كلّ من الفن والفلسفة والعلم وحتى إلى الإلحاد نفسه.

هـ-"إرادة الاقتدار" (*ein Macht-Willen* ،*der Wille zur Macht*)

إنّ الفرق بين "القوة" و"الاقتدار" و"السلطة" و"السلطان".. في تأمين معنى "die Macht" لــن يتبيّن لنا ولن تتأكّــد وجاهته إلاّ بقدر ما نأخذ مأخذ الجدّ أنّ اللغة هي تشريع وليست مجرد أداة للاستخدام. إنّها تشريع تارة من صنع "النبلاء" وطورا مــن صنع "الأخسّــاء": في المرة الأولى هــي "اقتدار"، أمّا في المــرة الثانية فهي مجرّد "قــوّة"، وأمّا في المرّات التي لا تتعلق بالنمط البشري بل بأدوات بقائه المدني فِهي "ســلطة" أو "سلطان" أو "شــوكة" أو "عنف"... - ويبدو لنا أنّ نيتشه قد استعمل لفظة "Macht" في مختلف هذه المعاني بحسب المقام الذي يفكّر فيه.

ونحــن نفــترض أنّ صعوبة ترجمة نيتشــه متأتّية من أنّــه يكتب على الأغلب في مصطلحــين تأويليــين متقابلين، ولكن في لغة واحــدة وبألفاظ واحدة. ووجه الطرافة الفلسفية الكامنة في ذلك هي تحديدا: أنّه لا وجود لمضامين نظرية ثابتة أي "ماهوية" وتعريفية أو يقينية أو متفق عليها. لا يعني أيّ لفظ إلاّ بحســب إرادة المعنــى التــي تحرّكه. كلّ معنى هــو تأليف عنيد من معان متنافســة أو متقابلة تعبيرا عن قوى أو دوافع أو غرائز متنافسة على إرادة الحياة. ومن الصعب حقا على المترجــم أن يراقب لغة كاتب ماكر وفنان من طراز رفيع مثل نيتشــه تعوّد أن يحمّل ألفاظه طبقتين متقابلتين من المعنى في كل مرة، بحسب عن "من" يتكلّم. إنّ "Macht" النبيــل "اقتدار" و"إثبات"، في حين أنّ "Macht" الخســيس هي "قوة" و"نفي" و"ارتكاس".

ليس هناك معنى واحدة لمفهوم "إرادة الاقتدار". يقول نيتشــه: "التنسّك هو خدعــة فنّية[1] **للحفاظ** على الحيــاة" (المقالة الثالثة، الفقــرة 13). أنّ كره الحياة أو التناقــض مع النفس بكره الحياة ليس لاشيء بل هو فنّ في البقاء. للضعفاء أيضا إرادة اقتــدار تعمل كقوة حيويــة لكبح جماح رغبة الحيــوان العدمي في تدبير نفسه. لكنّهم لا يفعلون هذا بوسائل صحية بل بوسائل مريضة وارتكاسية.

هناك إله ارتكاسي (إلــه حياة مريضة) كما هناك إله فعّال وموجب (إله حيــاة في صحة كــبرى). الإله الارتكاسي هو الذي يبّشر به الكاهن: ذاك الــذي يؤجّل معركة الحياة إلى آخرة هي وحدها تقضي على خوف الإنســان من موته. قال نيتشه في تحفّظ خاص بالقرن التاسع عشر: "أنا أتكلّم، حتى أكون منصفاً،

---

1 - ein Kunstgriff

عن مناطق الحضارة[1] من الإنســان، عن كلّ أنواع "أوروبــا" التي أخذت تظهر على الأرض" (المقالة الثالثة، الفقرة 14). ولذلك فإنّ ظاهرة مثل "العولمة" لن يمكن أن تظهر في عين نيتشه إلاّ بوصفها حركة عدمية: الإنسان الحديث "الأوروبي" المتعب من نفسه أخذ يفرض ملامحه على بقية الإنسانية.

علينا في كلّ جملة من نيتشه أن نرى التقابل بين لغة الكاهن ولغة الفيلسوف: لغة "التدجين" (تحويل الإنسان إلى حيوان أخلاقي) ولغة "التربية" الحرة (خلق نوع بــشري جديد). وإذا كان الكاهن نمطا ارتكاســيا فهو في نفس الوقت نمط بشري يعمل بمقتضى إرادة اقتدار معينة وذات فعالية عالية. إنّ الارتكاس نفسه نوع مريض من إرادة الاقتدار.

3 - هذه الترجمة:

كتب نيتشــه كتاب **في جنيالوجيا الأخــلاق** (*Zur Genealogie der Moral*) في جويليــة 1887 ونشره بنفســه في مطلع نوفمبر من نفس الســنة في دار ناومان[2] في ليبزيغ، وراجع النص بمعيّة صديقه بيتر غاســت[3]. وقــد تضمّن عنوان الكتاب أمرين آخرين: عنوانا صغيرا يصفه بأنّه "كتاب ســجالي" (eine Streitschrift)، وإشارة في أسفل الغلاف تقول: "مُضافاً إلى **ما وراء الخير والشر** المنشور مؤخّرا تتمّةً وإيضاحاً"[4].

وقــد عرفت أعمال نيتشــه في عمومهــا، منذ انقطاعه عــن الكتابة في العشرية الأخــيرة من حياته بدءً من 1890، طبعات كاملة عديدة نذكر منها مثلا تلك

1 - Culturgebieten

2 - *Zur Genealogie der Moral*, Eine Streitschrift; C. G. Naumann, Leipzig 1887.

3 - Peter Gast

4 - " Dem letztveröffentlichten "Jenseits von Gut und Böse" zur Ergänzung und Verdeutlichung beigegeben."

- إنّ المغزى من هذه الإشارة ينبغي أن نفتّش عنه، على الأغلب، في الفقرة 8 والأخيرة من التصدير، حيث يفترض نيتشه أنّ المرء قد قرأ كتاباته السابقة حتى يفهمه في كل مرة. وهو قد أثبت بنفسه في الفقرة 4 من التصدير لائحة في بعض الشذرات والفقرات من مؤلّفاته السابقة، التي تفترضها وتقتضيها مقالات كتاب جنيالوجيا الأخلاق.

التي ظهرت سنة 1894[1] و1933[2] و1954[3]. - لكنّ النشرة المعتمدة اليوم بين الباحثين هي تلك التي أعدّها المحقّقــان الإيطاليان جيورجيو كوللي ومازينو مونتيناري تحت عنوان "**أعمال. نشرة كاملة نقدية**"[4]، ثمّ أعيد نشرها في "طبعة منقّحة" في بعض المــواد مع تخفيف في الجهاز النقدي، تحــت عنوان آخر هو "**الأعمال الكاملة. نشرة الدراســات النقدية**"[5] (وهي تســمية إجرائية للتمييز عن النشرات السابقة فحسب) تضمّ خمسة عشر مجلدا، وتقع **جنيالوجيا الأخلاق** في الخامس منها إلى جانب **ما وراء الخير والشر**[6]. - لكنّ أعمال نيتشــه قد صارت اليوم متاحة على شبكة الانترنيت، في صيغ رقمية متعددة، بما في ذلك "نشرة الدراسات النقدية" نفسها.

ولذلــك فنحن قد اعتمدنا على هذه النشرة النقدية ولم نغادرها في شيء، لاســيّما وأنّها قد قامت على أساس إعادة نشر تلك الطبعة الأولى التي نشرها نيتشه بنفسه، ولم تفعل غير إصلاح الأخطاء التي كان نيتشه نفسه قد أصلحها على المسوّدات المطبعية ولم يأخذ بها الناشر يومئذ. وهي في الحقيقة ليســت "طبعة دراسات نقدية" إلاّ في معنى واحــد: القضاء على وهم "كتــاب" عنوانه "إرادة الاقتدار"[7] (الذي وجدنا أنّ نيتشــه قد أشــار إلى أنّه بصدد إعداده في الفقرة 27 من المقالة الثالثة من كتابه **في جنيالوجيا الأخلاق**)، وإعادة شذرات ذلك الكتاب "المزعوم" إلى وضعها الطبيعي، أي بما هي شذرات معدّة من أجل كتاب لم يُكتب، مع تسجيل مهمّ جدّا لتواريخها الحقيقية.

---

1 – *Gesamtausgabe in Großoktav*, 19 Bde., Leipzig, C. G. Naumann, 1894 ff.; später Alfred Kröner. Bd. 1–8: von Nietzsche selbst herausgegebene Schriften; Bd. 9–16: Schriften des Nachlasses; Bd. 17–19: Philologica.

2 – *Historisch-kritische Gesamtausgabe der Werke und Briefe*, C. H. Beck, München 1933 ff.

3 – Friedrich Nietzsche: *Werke in drei Bänden*. Herausgegeben von Karl Schlechta. München: Hanser, 1954.

4 – Friedrich Nietzsche, *Werke. Kritische Gesamtausgabe*, Walter de Gruyter, Berlin / New York 1967 ff.

5 – Friedrich Nietzsche, *Sämtliche Werke. Kritische Studienausgabe*. Walter de Gruy-ter, München / Berlin / New York, 1980

6 – Friedrich Nietzsche. *Jenseits von Gut und Böse. Zur Genealogie der Moral.* Kritische Studienausgabe, herausgegeben von Giorgio Colli und Mazzino Mon-tinari (Deutscher Taschenbuch Verlag, München / Walter de Gruyter, Berlin. November 1988), SS. 245–412.

7 – Cf. Mazzino Montinari, *"La Volonté de puissance" n'existe pas*. Paris, Ed. de l'Eclat, 1996.

ولكن لأنّها صارت نشرة مرجعية للباحثين في العالم فقد أثبتنا ترقيم صفحاتها في صلب النص في هذه الترجمة العربية حتى تتمّ الفائدة ويسهل استعمالها.

- لكنّ عمل الترجمة ليس مثل القراءة الحرة أو العادية، فهو يتطلّب معرفة مختصّة بتاريخ الفلسفة في طبقيته اللّتين أحصى دولوز بعض ملامحهما ذات مرة: طبقة "التاريخ" الرسمي الذي يذهب من أفلاطون إلى هيغل مرورا بديكارت وكانط، ولكن أيضا طبقة "الصيرورة" التي أخذتها الفكرة الفلسفية الحرة من هرقليطس إلى نيتشه مرورا بسبينوزا. ولكن الترجمة تتطلّب أيضا آداب البحث والمقارنة واحتمال المعاني المتعددة والتأويلات المختلفة ومراجعة الفهم باستمرار وتبرير الاختيارات حتى يفلح المترجم في تبيّن مقاصد المؤلف وروح كتابته وأساليبه وذلك قبل الترجمة القاموسية للألفاظ، هذه التي تتعدد معانيها تحت قلم نيتشه في الفقرة الواحدة والصفحة الواحدة بشكل يدعو إلى الالتباس والحيرة. وكان فالتر كاوفمان صاحب الترجمة الانجليزية، ولكن الألماني الأصل، قد نبّه في تقديم ترجمته إلى أنّه: "ليس كافيا أن نعرف اللغة، بل ينبغي على المرء أن يكتسب إحساسا ما بالمؤلف"[1]. وقد أورد هذا المثال تدليلا على وجاهة رأيه: لو أنّ هيدغر هو الذي كتب عبارة من قبيل: "Zur Frage der Verständlichkeit" (وهو عنوان الفقرة 381 من **المعرفة المرحة**، ولكن الأمر ينسحب على عنوان كتاب **في** (zur) **جنيالوجيا الأخلاق**) لكان علينا أن نقول: "**نحو** مسألة قابليّة الفهم". ولكن في حالة نيتشه ينبغي أن نقول: "**في** مسألة قابليّة الفهم". "نحو" هيدغر (الذي حرص دوما على جعل الفلسفة "على الطريق" أو "في الشعاب" تكسيرا لفكرة "النهاية") و"في" نيتشه (الذي أحبّ دوما أن يغرس "مبضع" الطبيب في الجرح المناسب وأن يضرب "مطرقة" الحدّاد على العمود المتداعي للسقوط) - "نحو" و"في" هما، على ذلك، حرفان يقابلان لفظا ألمانيا واحدا هو "zu". وذلك ما جعلنا مثلا نثبت "**في** جنيالوجيا الأخلاق" وليس "**نحو** جنيالوجيا الأخلاق" أو "**عناصر** في جنيالوجيا الأخلاق" أو "جنيالوجيا الأخلاق" لا غير.

من أجل ذلك حرصنا على الاستفادة من كلّ مكاسب الفهم والتأويل والإيضاح التي حقّقتها بعض الترجمات الفرنسية والانجليزية، وتفادي ما أمكن من أخطائها، معوّلين في ذلك على ثراء اللغة الألمانية التي تقول معاني عديدة بلفظة واحدة في صفحة واحدة، كما حدث لنا مع ألفاظ عديدة مثل die Macht (التي تعني القدرة والاقتدار والقوة والسلطة والسلطان والشوكة والنفوذ والحكم والدولة

1 - Walter Kaufmann, "Editor's Introduction", in : *On The Genealogy of Morals. Ecce Homo*. By Friederich Nietzsche. Vintage Books, New York, 1967, p. 5.

والطاقـة والعزّة والبطش...) أو das Gute (الشيء الحســن، الجيّـد، الطيّب، الجميل، الشــهيّ، المتقن، المفيد، المناســب، ..) وder Gute (الخيّر، الخـيـر، الكـريم، الصالح، الشريف، الماهر، العزيز، البــارّ، الطاهر، التقيّ، اللطيف، الطيّب...)...وغيرها كثير. ولكــن أيضا على مهارات اللغة العربية في منافســة اللغــات الغربية في الإنصات إلى نيتشه وأداء المعاني الغوامض والشديدة المراس تحت قلمه الساحر. وذلك علاوة على استعمال مفرط للأقواس أو الأهلّة[1] كما للحروف المائلة والألفاظ غير الألمانية.

لكــنّ العمل عــلى النصّ الألماني مكّننا من الإبصــار بحدود جهود المترجمين الغربيين أنفســهم في تذليل صعوبات تتجاوز كلّ الترجمات لأنّها تسكن في اللغة الألمانية ذاتها ومن ورائها في روح نيتشه نفسها وأسلوب كتابته. فقد سجّلنا مثلا في الترجمة الفرنسية التي تمّت عن "النشرة النقدية" والصادرة عن غاليمار (1971)[2] عديد الألفاظ الصغيرة التي ســقطت أو عديد المرات التي يتمّ فيها الاســتغناء عن بعض الصيــغ الظرفية. وقد نبّهنا على بعض تلك الألفاظ الســاقطة في هوامش ترجمتنا[3]. وذلــك علاوة على أنّها لا تثبت حرف الابتداء في العنوان الألماني "Zur" ولا تقف عند دلالته، كما أنّها لا تتوفّر على أيّة فهارس مفيدة. لكنّ الفرنسيين (متأخّرين في ذلك عن الانجليز[4]) قد توفّروا بعد ذلك (سنة 2000) على ترجمة جيّدة، مصحوبة بجهاز ترجمي متكامل من مقدمة وهوامش شــارحة وفهارس، وهو أمر يقع لأوّل مرة في التقليد الفرنسي بالنســبة إلى هذا الكتاب، وإن كانت قد تمّت عن الطبعة الأولى التي نشرها نيتشه بنفسه سنة 1887، وليس عن "الطبعة النقدية"[5].

---

1 – Cf. Eric Blondel, "Les guillemets de Nietzsche", in : *Nietzsche aujourd'hui*, Paris, Union Générale d'Edition, 1973, t. 2.

2 – Fr. Nietzsche, *La généalogie de la morale*. Texte et variantes établis par Giorgio Colli et Mazzino Montinari. Traduit de l'allemand par Isabelle Hildenbrand et Jean Gratien. Paris, Gallimard, 1971.

3 – سوف نشير لها بواسطة العلامة التالية: "غاليمار 1971".

4 – إذ تعود ترجمة فالتر كاوفمان المجهّزة بفهارس جيّدة والتي إليها يدين التقليد الأنغلوسكسوني بمعرفته لنيتشه، إلى سنة 1969.

5 – Fr. Nietzsche, *Eléments pour la généalogie de la morale. Ecrit de combat*. Ajouté à *Par-delà bien et mal*, publié dernièrement, pour le compléter et l'éclairer. Introduction, traduction et notes par Patrick Wolting. Paris, Librairie Générale Française, 2000.

ومن جانبنا فقد حرصنا على أن نوفّر لقارئ نيتشه بالعربية مرجعاً يساعده في البحث والتعرّف على فكر نيتشه "الحقيقي"، ذاك الذي عانى طويلا من التلويث "الأخلاقي" (Vermoralisierung)، حتى نستعمل إحدى عباراته المحبّبة إلى نفسه الثائرة[1]. كما عملنا على توفير هوامش شارحة تهدف إلى إضاءة لغة نيتشه ومصطلحه وإيضاح أفكاره الأصيلة على نحو يحول دون أيّ تدجين "ثقافي" أو سوء فهم "عقدي" لها، وعلى ضبط مقدّمة جعلنا لها مقصدا أن تضع مساهمة نيتشه في ميدان فلسفة التأويل في موضعها، حيث تنكشف الحاجة الحيوية إلى تأويل ولكن بلا لاهوت. وإنّ نيتشه هو أمير التأويل الحيوي، "الأمير الخارج عن قانون" كلّ الكهان الذين يعلّمون الناس فنّ "الامتناع عن التأويل" كما تقول الفقرة 24 من المقالة الثالثة من الكتاب. - وبالإضافة إلى فهارس تسهّل التعرّف على مصطلحات نيتشه وأسماء الأعلام والشعوب والبلدان والمعتقدات التي فكّر معها أو ضدّها وعلى "عناوين كتبه" التي ذكّر بها أو اشترط قراءتها لفهم مقصوده، - نحن آثرنا ترك الألفاظ الأجنبية الكثيرة جدّا (اليونانية واللاتينية والفرنسية والإيطالية والانجليزية والإسبانية) التي أوردها نيتشه في نصّه الألماني في لغتها الأصلية، ولكن مع توفير ترجمة متواترة لها بالعربية، وذلك لسببين: أوّلهما أن نحافظ على وتيرة النص وزخمه وتوتّره الخاص، وألا نثقله بسلاسة أو دعة خطابية ليست له؛ وثانيهما بخاصة أن نحفظ لنيتشه رغبته "السياسية" العميقة في أن يكون "أوروبيّا جيّدا"[2]، ومن ثمّ أن يكتب بكلّ لغات "أوروبا"، ليس فقط، والحق يقال، أوروبا الجغرافية، بل أوروبا الكوكبية التي بدأت، حسب نيتشه، تتشكّل في كل مكان تحت يافطة "الإنسان الحديث". قال: "أنا أتكلّم، ... عن كلّ أنواع "أوروبا" التي أخذت تظهر على الأرض"[3].

تونس، أفريل 2010

فتحي المسكيني

---

1 – انظر: المقالة II، 7؛ والمقالة III، 17، 19، 20.

2 – قارن: المقالة III، 27.

3 – المقالة III، 14.

[247]

تصدير

.1

نحن مجهولون بالنسبة إلى أنفسنا، نحن العارفين، نحن أنفسنا بالنسبة إلى أنفسنا: وإنّ لهذا سببا وجيها. نحن لم نبحث أبدا عن أنفسنا، - فأنّى لنا أن **نجد** أنفسنا يوما ما[1]؟ لقد صدق من قال لنا: "حيثما يوجد كنزُك، ههنا أيضا يوجد قلبُك"[2]؛ إنّ كنزنا إنّما يوجد حيثما تكون خلايا نحل معرفتنا. لهذا نحن دومًا أثناءَ الطريق، وُلدنا حيوانات مجنّحة، جمّاعةً لعسل الروح، لا نهتمّ حقّاً من القلب إلاّ بأمر واحد – أن "نحمل إلى البيت"[3] شيئا ما. أمّا فيما يتعلّق بالحياة، بـ"ما عشناه من تجارب" مزعومة، - فمن منّا يتوفّر لذلك حتى على الجدّ الكافي؟ أو الوقت الكافي؟ في هكذا قضايا، وهو ما أخشاه، نحن لم نكن أبدا على وجه الدقّة "في صلب القضية"[4]: لم تكن قلوبُنا حينئذ هناك – ولا حتى آذانُنا! بل مثل من أَلْهَتْهُ الآلهة وغرق في قاع نفسه، ومن دقّت الساعة في أذنيه دقّا أزيزا، اثنتي عشرة دقّة[5]، بأنّ النهار قد انتصف، واستيقظ فجأةً وسأل نفسه: "ما الذي دقّ على وجه التحديد؟"، كذا نحن أيضا نحكّ آذانَنا أحياناً **بعد الأوان** ونتساءل، وقد أخذت منّا الدهشة والحيرة[6] كلَّ مأخذ: "ما الذي عشناه على وجه التحديد؟" بل أكثر من ذلك "من **نكون** نحن على وجه التحديد؟" ونراجع، بعد الأوان،

---

1 – علينا أن نقرأ ذلك في صدى للهاتف السقراطي: "اعرف نفسك بنفسك".

2 – **العهد الجديد**، إنجيل متى 6، 21.

3 – heimbringen

4 – bei der Sache

5 – قارن: **المقالة II**، 24. وكذلك: **هذا هو الإنسان**، فصل: **الفجر**، § 2.

6 – betreten. وهي لفظة ساقطة في ترجمة: غاليمار 1971: 7.

كما قيل، عدَّ كلّ دقّات الساعة الاثنتيْ عشرة التي ترتجّ فيما عشناه من تجربة، في حياتنا، **وكياننا** – آه! وفوق ذلك نحن نخطئ في العدّ ... بل نحن سنظلّ غرباء عن أنفسنا ضرورةً، نحن لا نفهم أنفسنا، نحن ينبغي أن نبدّل أنفسنا [248]، ولقد حقّ علينا القول منذ أبد الآبدين: "ليس أبعد عن الإنسان من نفسه"[1]، – فإزاء أنفسنا نحن لسنا بـ"عارفين"[2]...

.2

– إنّ أفكاري[3] عن **مصدر**[4] أحكامنا المسبقة في الأخلاق – إذْ بها يتعلّق الأمر في هذا المؤلَّف السجالي- إنّما أخذت تعبيرتها الأولى والضنينة[5] والمؤقّتة ضمن ذاك المجموع من الشذرات، الذي يحمل من العناوين "إنساني، مفرط في إنسانيته. كتاب للعقول الحرة"، والذي كانت كتابته قد شُرع فيها في سورانت[6]، أثناء شتاء أتاح لي أن أحطّ الرحال لبعض الوقت، كما يحطّ الرحالَ المسافرُ وأن ألقي ببصري في البلاد الواسعة والخطرة التي جال عقلي في أنحائها إلى حدّ الآن. حدث ذلك في شتاء 1876-1877؛ أمّا الأفكار ذاتها فهي أقدم من ذلك. لقد كانت، من حيث رأس الأمر، هي بعدُ عين الأفكار التي استأنفتها مرة أخرى في المقالات التي بين أيدينا: – نحن نأمل أن يكون الزمن الطويل الذي يفصل بينهما قد أحسن صنعاً، أن تكون قد صارت أعمق وأوضح وأصلب وأتمّ! ولكن أنّني لازلت اليومَ أتمسّك بها، أنّها هي ذاتها قد تماسكت في الأثناء

1 – قارن: **المعرفة المرحة**، § 335.

2 – قارن: **المعرفة المرحة**، § 355؛ **ما وراء الخير والشر**، §§ 16 و17.

3 – Gedanken

4 – ربما يجدر بنا الانتباه إلى الفرق الذي يقع غالبا تحت قلم نيتشه بين المعنى الجينالوجي لمفهوم "المصدر" (Herkunft) والمعنى الميتافيزيقي لمصطلح "الأصل" (Ursprung).

5 – sparsam

6 – Sorrent. مكان على الساحل قرب نابلي قضى فيه نيتشه شتاء 1876-1877 في منزل مالويدا فون مايزنبورغ طلبا للشفاء ممّا ألم به من مرض جسدي وخاصة نفسي بعد أن خاب أمله في فنّ فاغنر الذي آمن به منذ 1869، حيث كان يعتقد أنّه يمكن إصلاح الثقافة الألمانية من خلال مهرجان بايروت (Bayreuth) السنوي الذي يُفترض أنّه سيعيد إحياء الفن التراجيدي اليوناني. في سنة 1876 أخذ نيتشه عطلة مطوّلة ورحل باحثا عن صحة أخرى. وهو ما قاده إلى كتابة أوّل أفكاره الأساسية عن الأخلاق في الفصل 2 من كتاب إنساني، مفرط في إنسانيته تحت عنوان "من أجل تاريخ للمشاعر الأخلاقية".

على نحو أمتن أكثر فأكثر، أيْ نعم قد رَبَتْ وتضامّت في بعضها، ذلكم ما يدعّم في نفسي الثقةَ الجذلى بأنّها منذ البداية ربّما لم تكن نشأت مجزوءة ولا عن الهوى ولا خبط عشواء، بل عن جذر واحد مشترك[1]، عن **إرادة** معرفة **أساسية**[2]، آمرة ناهية في العمق، أبدا تنطق عن بيان يزداد بيانا، أبدا تطلب الشيء المبين. كذا فحسب يليق بالفيلسوف أن يفعل. ليس من حقّ أحدنا أن يكون **جزئيّا**[3] في أيّ شيء: لا يجوز لنا، لا أن نخطئ جزئيّا ولا أن نصيب الحقيقة جزئيّا. بل قل بعين الضرورة التي تجعل الشجرة تحمل الثمرة، كذا تنبت فينا أفكارُنا وقيمُنا، نَعَمُنَا ولاَؤُنَا، مَتَانَا وماَ إذَانَا[4]- من رحم واحد وموصولة [249] جميعا الواحدة بالأخرى، شواهد على إرادة واحدة وصحّة واحدة وتربة واحدة وشمس واحدة. – تُرى هل مذاق ثمارنا هذه طيّب **لكم**؟ - ولكن ما شأن الشجر[5] بكلّ ذلك! ما شأننا **نحن** بذلك، نحن الفلاسفة! ...

.3

بفضل ريبة خاصة بي، أقرّ بها كَرْهاً لا طوعاً - إذ هي تتعلّق **بالأخلاق**، بكلّ ما احتُفيَ به على الأرض إلى حدّ الآن بوصفه أخلاقاً، - ريبة، دبّت في حياتي على نحو مبكّر، وبشكل طارئ، ولا مردّ له، في تناقض مع البيئة والسنّ والقدوة والمنشأ، بحيث أكاد أملك الحقّ في أن أسمّيها [مبدئي] "القبليّ"[6]، - كان لابدّ أن يتوقّف فضولي وظنّي في الوقت المناسب عند هذا السؤال: **أيّ أصل**[7] هو في الحقيقة أصل الخير والشرّ لدينا؟ في الواقع، إنّ مشكل أصل الشرّ قد شغلني وأنا في الثالثة عشرة صبيّاً؛ وفي سنّ حيث يكون "القلب نصفًا للربّ ونصفاً لألعاب

1 – صيغة كانطية من إحدى صفحات نقد العقل المحض (المقدمة، VII).

2 – *Grundwillen*

3 – *einzeln*

4 – unsre Ja's und Nein's und Wenns' und Ob's

5 – قد نجد في ذلك بعض التعريض بـ"شجرة" ديكارت وضرورة الذهاب في الأعماق إلى ما هو أبعد من "جذور" الميتافيزيقا.

6 – mein "A priori"

7 – يستعمل نيتشه (الصغير) هنا مصطلح "Ursprung" على عادة الميتافيزيقيين، من قبيل كانط (قارن: تصدير **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**).

الطفولة"[1]، نذرت له طفلاً لعبتي الأدبيّةَ الأولى، تمرينيَ الأوّلَ في الكتابة الفلسفية، - أمّا عن "حلّ" المشكل الذي ارتأيته عندئذ، فقد حفظت هيبة الربّ، كما يجب، وجعلتـه للشرّ بمثابـة **الأب**. هل **هذا** بالتحديد مـا أراده [مبدئي] القبليُّ منّي؟ هذا "القبـليُّ" الجديد، غير الأخلاقي[2]، أو على الأقـلّ اللاّأخلاقوي[3]، و"الأمر القطعيُّ"[4] الناطق عبره، الذي هو، وا أسـفاه! مضادّ لكانط كأبلغ ما يكون، وجدُّ ملغّز، والذي إليه منذئذ صرفت سـمعي دوماً أكثر فأكثر، وليس سـمعي فحسب؟... ولحسـن الحظّ فقد تعلّمت منذ وقت مبكّر أن أميّز الحكم المسـبق اللاهوتي عن الحكم المسـبق الأخلاقي ولم أعد أبحث عن أصـل الشرّ **وراء العـالم**. وإنّ تربيةً تاريخيةً وفيلولوجية، متى أُضيف إليها حسّ فطري ذوّاق في المسـائل النفسية بعامة، قد حوّلت مشـكلي سريعاً إلى هذا المشكل الآخر: تحت أيّة ظروف اخترع [250] الإنسـان أحـكام القيمة هذه من خير وشرّ؟ **وأيّة قيمـة هي لها بذاتها؟** هل أعاقت النموّ الإنسـاني إلى حـدّ الآن أم يسّرته؟ هل هي أمارة عـلى فاقة وعلى تفقير وعلى انحطـاط الحياة؟ أم، على العكس من ذلك، إنّها توحـي بالامتلاء والقوة وإرادة الحياة، بشجاعتها وتفاؤلها ومستقبلها؟ - عن كلّ ذلك وجدت عندي أجوبة عدّة وخاطرت بعدّة أجوبة، ميّزتُ بين العصور والشعوب ومراتب الأفراد، وخصّصتُ المشـكلَ الذي يهمّني، ومن الأجوبة خرجت أسـئلة جديـدة، وأبحاثٌ وفروضٌ واحتـمالات: حتى صار لديّ في النهاية بلادٌ خاصة، وأرضٌ لي، عالمٌ صامتٌ، متنام، مزدهر، حدائق سرّية بوجه ما، لم تخطر على قلب بشر... آه كم نحن **سعداء**، نحن العارفون، شريطة أن نعرف كيف نصمت كفايةً لوقت طويل! ...

.4

إنّ أوّل دافع على التصريح بشيء عن فرضياتي حول أصل الأخلاق قد أتاني من كُتيّب واضح، نزيه ورزين بل له رزانة الشـيوخ، حيث اعترضني على نحو جليّ[5] لأوّل مرة نـوعٌ مقلوب ومنحرف من الفرضيـات الجنيالوجية، هو نوع **انجليزي** بأتـمّ معنى الكلمة، وجذبني إليه - بقوة الجاذبيـة تلك التي تنطوي على كلّ

---

1 - شاهد مأخوذ من: غوته، **فاوست**، الأبيات 3781-3782.

2 - unmoralisch

3 - immoralistisch

4 - قارن: كانط، **نقد العقل العملي**، القسم 1، "تحليلية المبادئ".

5 - deutlich. لفظة ساقطة في ترجمة: غاليمار 1971: 11.

مــا هو مضادّ وكلّ ما هو معاكس[1]. كان عنوان الكُتيّب هو "**أصل المشاعر الأخلاقية**"؛ وكان مؤلّفه هو د. بول راي[2]؛ وســنة ظهوره 1877. ربّما لم أقرأ أبدا شيئا بلغ منّي الأمرُ أنْ كنت أقول له في نفسي "لا"[3] عند كلّ جملة وكلّ نتيجة، كما وقع لي مع هذا الكتاب: وعلى ذلك دون اسـتياء أو نفاد صبر. وفي العمل المشار إليه قبلُ[4]، والذي كنت أشتغل عليه عندئذ، اعتمدت بمناسبة وغير مناسبة على أطروحات هــذا الكتاب، وليس ذلك من أجل أن أدحضها – ماذا أصنع بالدحوضات[5]!- بل، كما[251] يليق بعقل بنّاء، كي أضع مكان غير المحتمل شيئا أكثر احتمالا، وعند الاقتضاء خطأً مكان آخر. إنّه حينذاك، كما قلت، إنّما كشـفت لأوّل مرة عن الفرضيات المتعلّقة بالمصدر[6]، التي خصّصت لها هذه المقــالات، وذلك بشيء من عدم اللباقة، أنا آخر من يريد إخفاءها عن نفســه؛ لم أكن حرّا بعد، ولم أكن أتوفّر على لغة خاصة لهذه الأشــياء الخاصة، بالإضافة إلى أنحاء عدّة من الانتكاس والتقلّب. وتفصيلاً، لنقارن ما أقوله في ص 51[7] من **إنســانيّ، مفــرط في إنســانيّته**، حول ما قبل التاريــخ[8] المضاعف للخير والشرّ (نعني صدورهــما من دائرة النبلاء أو من دائــرة العبيد)؛ كذلك ص 119[9] حول قيمة أخلاق التنسّك ومصدرها؛ وكذلك ص 78، 82 [10]، والمجلد الثاني، ص 35[11]، عن "أخلاق العادات والتقاليد"[12]، هذا النوع من الأخلاق الذي هو أقدم وأرسخ أصلا من جميع الأنواع الأخرى، الذي يبعد toto coelo [13] عن نمط التقييم القائم

---

1 – antipodisch. قارن: ما وراء الخير والشر، § 48.

2 – Dr. Paul Rée. إنّ نيتشه يخفي هنا العلاقة الحميمة التي كانت له عندئذ مع هذا المؤلف.

3 – zu dem dermaassen...bei mir Nein gesagt hätte

4 – المقصود هو: إنساني، مفرط في إنسانيته.

5 – قارن: **أفول الأصنام**، فصل "ما يفوت الألمان"، § 6؛ **هذا هو الإنسان**، "لِمَ أنا قدر ؟"، § 2.

6 – Herkunfts-Hypothesen

7 – يحيل نيتشه ههنا على صفحات الطبعة التي كانت بين يديه. إنساني، مفرط في إنسانيته I، § 45.

8 – Vorgeschichte .

9 – **إنساني، مفرط في إنسانيته** I، § 136.

10 – نفسه، I §§ 96 و99.

11 – نفسه، II، § 89.

12 – "Sittlichkeit der Sitte". عن "أخلاق التقاليد والأعراف" أي تكوّن ظاهرة الخضوع للعادات وتقديسها وطاعتها في التاريخ السحيق للإنسانية، قارن: **الفجر**، §§، 9 و19؛ **المعرفة المرحة**، § 296.

13 – أي "بعد السماء" (عن الأرض).

على إيثــار الغير (الذي يرى فيه الدكتور راي، مثــل جميع جنيالوجيي الأخلاق الانجليــز، نمــط التقييــم الأخلاقي **في ذاته**)؛ كذلــك ص 74 [1]، ومن **المسافر** ص 29[2]، ومــن **الفجــر** ص 99[3]، حــول مصدر العدالة بوصفها تســوية بين قوى متكافئة إلى حدّ ما (التوازن بوصفه شرطاً مسبّقا لكلّ العقود، وبالتالي لكلّ قانون[4])؛ وكذلك عن مصدر العقاب في **المسافر**، ص 25، 34[5]، حيث لم تكن نيّــة الإرهــاب[6] لا جوهرية ولا أصلية (كما يظنّ الدكتــور راي: - بل إنّها على الأرجح إنّما تُضاف إليه فحســب، في ظروف معيّنة، ودائما بوصفها شــيئا عارضا، بوصفها مُلحقاً).

.5

في حقيقة الأمر، إنّ ما كان يشــغل قلبي يومئذ هو شيء أهمّ بكثير من أيّة فرضية[7]، ســواء كانــت لي أو لغيري، حول أصل الأخــلاق (أو، على نحو أدقّ: ما كانت هذه الأخيرة إلاّ ابتغاء هدف، وهي واحدة من وســائل شــتّى يمكن أن تفــضي إليــه). كان الأمر يتعلّــق عندي **بقيمة** الأخلاق – وفي هذا الشــأن لم يكــن عليّ أن أتناظر إلاّ مع معلّمي الكبير شــوبنهاور[8][252]، الذي إليه، كما إلى معاصر لنــا، إنّما كان يتوجّه هذا الكتابُ، والحــماسُ والتناقض الخفيّ لهذا الكتــاب (- إذْ كان هــذا الكتاب[9] أيضا "نصّا ســجاليّاً"). كان الأمر يتعلّق عــلى وجه الخصوص بقيمة الشيء "اللاّأناني"[10] وغرائز الشــفقة[11] وإنكار الذا ت والتضحية بالنفس، تلك الغرائز التي تعوّد شــوبنهاور من دهره أن يموّهها ذهبًا

1 – II، § 92.

2 – II، § 26 "المسافر وظلّه".

3 – الفجر، § 112.

4 – Recht

5 – إنساني، مفرط في إنسانيته **II**، §§ 22، 33.

6 – der terroristische Zweck

7 – Hypothesenwesen

8 – قارن: **مقالات غير موافقة للعصر**، المقالة 3، "شوبنهاور مربيّاً".

9 – المقصود هو كتاب إنساني، مفرط في إنسانيته الذي ظهر سنة 1878.

10 – das "Unegoistische"

11 – عن مفهوم الشفقة، قارن: الفجر، II، §§ 131–148.

وأن يؤلّهها ويتعالى بها إلى العالم الآخر[1]، إلى حدّ أنّه لم يبق لديه في آخر المطاف غير "القيم في ذاتها"، والتي على أساسها **قال لا** للحياة، ولنفسه هو ذاته أيضا. بيد أنّه ضدّ **هذه** الغرائز تحديدا إنّما تكلّمت في نفسي ظنّةٌ تضرب الأسس أكثر فأكثر، ريبة[2] دفينة هي أعمق فأعمق أبدا ! ههنا تحديداً أنا رأيت الخطر **الأكبر** على الإنسانية، أجلّ ما فيها من إغراء وتغرير- ولكن نحو ماذا؟ نحو العدم؟ ههنا بالتحديد أنا رأيت بداية النهاية، التوقّف عن المسير، التعب الذي يحمل على النظر إلى الوراء، الإرادة المنقلبة **ضدّ** الحياة، المرض الأخير الذي أخذ ينبئ عن نفسه على نحو رقيق وكئيب: فهمت أخلاق الشفقة[3] التي ما فتئت تكتسح ما حولها أكثر فأكثر، وتعتري حتى الفلاسفة وتجعلهم مرضى، بوصفها العارض الأشدّ إقلاقا[4] في ثقافتنا الأوروبية التي صارت مثيرة للقلق، بوصفها منقلباً نحو بوذيّة جديدة؟ نحو بوذيّة أوروبية؟ نحو – **العدميّة**[5]؟ ... هذا التفضيل للشفقة والإعلاء من شأنها[6] لدى الفلاسفة المحدثين هو والحق يُقال شيء جديد: إذ على **عدم قيمة**[7] الشفقة تحديدا إنّما كان الفلاسفة متفقين إلى حدّ الآن. وحسبي أن أسمّي أفلاطون[8] وسبينوزا ولاروشفوكو[9] وكانط، عقول أربعة مختلفة كأشدّ ما يكون، لكنّها متحدة في شيء واحد: احتقار[10] الشفقة.-

---

1 – verjënseitigt

2 – eine Skepsis

3 – die Mitleids–Moral

4 – das Unheimlichste

5 – ظهر هذا المفهوم لدى نيتشه لأوّل مرة في كتاب المعرفة المرحة، §§ 346، 347. لكنّ **جنيالوجيا الأخلاق** هي التي تقدّم أوّل تحليل نسقي له.

6 – Überschätzung

7 – der Unwerth

8 – قارن: أفلاطون، **الجمهورية**، X، 604 ب (الشفقة كعاطفة أنثوية وطفولية)؛ سبينوزا، **الإتيقا**، الكتاب الثالث، حاشية القضية 22 (الشفقة كـ"انفعال حزين")؛ روشفوكو، **كتاب الأمثال**، 264 (رفض الشفقة باسم قوة النفس)؛ كانط، **نقد العقل العملي** (الشفقة منقضة للكرامة الإنسانية).

9 – La Rochefoucauld

10 – Geringschätzung. را: **المقالة** I، 10.

.6

إنّ المشكل المتعلّق **بقيمة** الشفقة وأخلاق الشفقة (- وأنا عدوّ للتخنّث العاطفي[1] المشين في عصرنا الحديث) إنّما يظهر لأوّل وهلة وكأنّه لا يعدو أن يكون شيئا [253] معزولا، علامة استفهام بذاتها؛ لكنّ من يتوقّف ههنا مرّة، من **يتعلّم** كيف يسائل ههنا، لابدّ أن يحدث له ما جرى معي: - ينفتح أمامه منظرٌ جديد وهائل، ويأخذ بنفسه إمكانٌ[2] كأنّه دوار، وتتفجّر فيه كلّ أنواع الارتياب والظنّة والتوجّس، ويزّعزع الإيمان بالأخلاق، بكلّ أخلاق، - وأخيرا يأخذ مطلب جديد في إسماع صوته. ولنفصح عن هذا **المطلب الجديد:** نحن في حاجة ماسّة إلى **نقد** للقيم الأخلاقية، **علينا أوّلا أن نضع قيمة هذه القيم هي ذاتها مرة واحدة موضع سؤال**[3]- وهذا من شأنه أن يستوجب معرفة بالشروط والظروف التي تولّدت عنها، والتي في كنفها تطوّرت وتحوّرت (الأخلاق بوصفها استتباعا، بوصفها عارضا، بوصفها قناعا، بوصفها نفاقا، بوصفها مرضاً، بوصفها سوء فهم؛ ولكن أيضا الأخلاق بما هي سبب، بما هي وسيلة علاج، بما هي منبّه، بما هي عائق، بما هي سمّ)، ربّ معرفة لا هي وُجدت إلى حدّ الآن، ولا حتى كانت شيئا مرغوبا فيه. فالمرء يأخذ **قيمة** هذه "القيم" بوصفها شيئا معطى، بوصفها واقعة، بوصفها تقع ما وراء أيّة مساءلة[4]؛ لم يشكّ المرء ولم يتردّد أبدا، إلى حدّ الآن، في تعيين "الخيّر" بوصفه أرفع قيمة من "الشرّير"، أرفع قيمة في معنى الرقيّ والمنفعة والازدهار بالنظر إلى الإنسان بعامة (بما في ذلك مستقبل الإنسان). كيف؟ إذا كان العكس هو الصحيح[5]؟ كيف؟ إذا كان "الخيّر" ينطوي على عارض تخلّف، كما على خطر ما، تغرير ما، سمّ ما، مخدّر ما، من خلاله يعيش الحاضر بوجه ما **على حساب المستقبل**؟ ربّما، برفاهية أكثر، وبأخطار أقلّ، ولكن أيضا بأسلوب أصغر شأنا، وأحطّ؟... بحيث أنّ الأخلاق تحديدا ستكون هي المذنبة، إذا كان **أرفع اقتدار وبهاء** للنمط إنسان[6] لم يُبلَغ إليه أبدا، رغم أنّه ممكن في ذاته؟ بحيث أنّ الأخلاق تحديدا ستكون هي خطر كلّ الأخطار؟...

---

1 - Gefühlsverweichlichung

2 - eine Möglichkeit. لفظة ساقطة في ترجمة: غاليمار 1971: 14.

3 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 3 (عن معنى "التقويم").

4 - In-Frage-Stellung

5 - قارن: المعرفة المرحة، § 345؛ ما وراء الخير والشر، § 186.

6 - der Typus Mensch

[254]

.7

يكفي أنّه منذ أن انكشف لي هذا المنظر إنّما أصبح لديّ أسبابٌ لأنْ أتطلّع من حولي إلى رفاق عالمين وجريئين ومثابرين (وأنا مازلت أفعل ذلك اليوم). إذ يتعلّق الأمر بأن نطوف في بلاد الأخلاق، الشاسعة والنائية والخبيئة جدّا - الأخلاق التي وُجدت فعلاً، وعيشت فعلاً- على متن أسئلة جديدة تماما وكأنّما بأعين جديدة؛ ألا يعني ذلك تقريبا شيئا مثل أن **نكتشف** هذه البلاد لأوّل مرة؟... وإذا كنت قد فكّرت عندئذ، من بين آخرين، في الدكتور رَايْ، الذي سلف ذكره، فإنّ ذلك قد حدث من أجل أنّني لا أشكّ أبدا في أنّه قد كان مدفوعا بطبيعة أسئلته ذاتها إلى منهجيّة أكثر سدادا حتى يحصل على أجوبة. هل كذب ظنّي في هذا الأمر؟ كانت رغبتي، على كلّ حال، أن أمنح عينًا بهذا القدر من الحدّة والنزاهة، وجهةً أفضل، أعني الوجهةَ التي تقود فعلاً إلى **كتابة تاريخ الأخلاق**[1]، وأن أحذّره، حين لا يزال الوقت مناسبا، من عالم الفرضيات الانجليزية هذا المعلّق **في الفضاء الأزرق**[2]. وغنيّ عن البيان أنّه ثمّة لونٌ ينبغي أن يكون أهمّ مائة مرة عند جينالوجيي الأخلاق من الأزرق تحديدا: ألا وهو **الرماديّ**، نعني، ما يستند إلى وثائق، ما يمكن إثباتُه فعلاً، ما وُجد فعلاً، باختصار، النصّ الهيروغليفي[3] الطويل جدّا، الذي يصعب فكّه، لماضي الأخلاق الإنسانية ! **ذلك** أمر كان مجهولاً لدى الدكتور ؛ لكنّه قد قرأ داروين: - وهكذا على مدى فرضياته، وبطريقة هي على الأقلّ مسلّية، يتصافح وحش[4] داروين ومخنّث[5] الأخلاق المتواضع الشديد حداثة، "الذي لم يعد قادرا على العضّ"، تصافحا مهذّبا، وعلى وجه الأخير تعبير عن شيء من الخمول الطيّب والظريف، ممزوج حتى ببذرة من التشاؤم ومن الكلال: كأنّ الأمر لا يستحقّ

---

1 – *Historie der Moral*

2 – in's Blaue . في هذه الجملة يستثمر نيتشه المعنى المجازي للعبارة، أي معنى الافتقار إلى أساس أو وجهة؛ أمّا في الجملة الموالية فهو سوف ينشّط المعنى الحرفي، أي معنى "الزرقة". ولذلك علينا على أنفسنا أن نستحضر المعنيين.

3 – die Hieroglyphenschrift

4 – die Bestie

5 – der Zärtling

أصـلاً أن تؤخذ هذه الأشـياء –مشـاكل الأخلاق- مأخذ الجـدّ إلى هذا الحدّ. أمّـا أنـا فيظهر لي، على العكس من ذلك، أنّه ليس ثمّة شيء **يستحق** أن يؤخذ مأخذ الجدّ أكثر منها؛ ويدخل في هذا الاستحقاق مثلاً أنّ المرء ربما يحصل يوماً مـا على الإذن بأن يأخذها [255] بشيء من المرح. إنّ المرح[1] أو، حتى أقول ذلك في لغتـي، إنّ **المعرفـة المرحة** -إنّما هي مكافأة: مكافـأة على جدّيّة طويلة الأمد، باسـلة، مثابـرة وخبيئة تحت الأرض[2]، هي بلا ريب ليسـت شـأنا في متناول أيّ كان. بيـد أنّه في اليوم الذي نقول فيه من مجامع قلوبنا: "هيّا! إنّ أخلاقنا القديمة تنتمي هي أيضا **إلى الكوميديا** !"[3]، سنكون اكتشفنا للدراما الديونيزوسية عن "قدر النفس"[4] حبكة جديدة وإمكانية جديدة -: وسـيكون قد وجد سـبيلا للاستفادة منها، فعلى هذا يحقّ للمرء أن يراهن، هو، الخالق الكوميدي الكبير، القديم، الأبدي، لكياننا ! ...

.8

- إذا كان هـذا المؤلَّف بالنسـبة إلى أيّ كان غيرَ مفهوم أو سـيّئَ الوقع في الأذن[5]، فـإنّ الذنب، حسـبما يبـدو، لا يقع عليّ بالضرورة. ذلـك واضح بما فيه الكفايـة، متى افترضنا، وهو ما أفترضه، أنّ المرء قد قرأ قبلُ كتاباتي السـابقة، ولم يدّخر في ذلك من نفسه جهداً: إذ أنّ هذه ليست في الواقع ممّا يكون الولوج إليه يسـيرا. ولنضرب مثلاً بكتابي "زرادشـت"، فأنا لا أقبـل أن يُعدّ أحدٌ عارفاً بـه، من لم يكن، في يـوم من الأيّام، عنـد كلّ واحدة من كلماتـه، جريحاً في الأعماق، تارةً، ومغتبطا في الأعماق، تارة أخرى: عندئذ فحسـب يحقّ له أن يتمتّع بامتياز المشـاركة المهيبة في العنصر الهلكيوني[6] الذي خرج هذا الأثر من رحمه،

1 – Heiterkeit

2 – unterirdisch

3 – هذه على الأغلب إشارة إلى كتاب زرادشت.

4 – قد وجد المؤرخون هنا تعريضا خفيا بعنوان كتاب نشره أحد أتباع داروين سنة 1884 تحت عنوان: قدر الإنسان في ضوء أصل الإنسان.

5 – قد سجّل شرّاح نيتشه عادته في ختم العديد من مؤلفاته أو من أجزاء مؤلفاته بإيضاحات خاصة تتعلق باللغة ومصاعب الفهم. قارن: **المعرفة المرحة**، §§ 371 و381؛ **ما وراء الخير والشر**، § 296؛ **الفجر**، تصدير 1886.

6 – halkyonisch. نسبة إلى "هلكيون" (وهو لفظ من أصل يوناني) – اسم طائر بحري خرافي يكون اللقاء معه إعلانا عن الهدوء والسلام.

في وضوحه المشـــمس، وتنائيه، وســـعته، ويقينه. وفي حالات أخرى، فإنّ شـــكل الشذرات يشـــكّل صعوبة ما: تلك التي تكمن في أنّ المرء اليوم **لا** يأخذ هذا الشـــكل **على محمل الجدّ كفايةً**. إنّ شـــذرةً ما، سُـــبكت وصُبّت كأحسن ما يكون، لا يكفي أن تُقرأ حتى "تُفكّ طلاسمها"[1]؛ إذ ربّما عندئذ فقط يجب أن يبدأ **تأويلها**[2]، وهو ما يتطلّب فنّا في التأويل.وأنا قد قدّمت في المقالة الثالثة من هذا الكتـــاب عيّنةً [256] عمّا أســـمّيه في مثل هذه الحالـــة "تأويلا": - لقد جعلت على رأس هـــذه المقالة شـــذرةً، هي ذاتها شرحٌ لها[3]. والحقّ أنّه مـــن أجل أن نتمرّن على **القـــراءة** بوصفها فنّا، إنّما ثمّة قبلُ حاجةٌ ماسّـــة إلى شيء، هو اليوم قد وقع إغفاله تمامـــا -ولذلك مازال هناك وقت حتـــى تصبح كتاباتي "قابلة للقراءة"-، شيء **إزاءه** ينبغي على المرء أن يكون أشـــبه بالبقر **وليس**، على كلّ حال، بـ"الإنســـان **الحديث**": أعني **الاجترار**[4]...

سيل-ماريا، أوبرنغادين

في جويلية 1887

---

1 – "entziffert"

2 – Auslegung

3 – **المقصود** هو الفقرة الأولى من المقالة الثالثة، وليس "الشاهد" المقتطف من زرادشت والمثبت **كفاتحة** لها.

4 – das *Wiederkäuen*

المقالة الأولى

"الخيّر والشرّير"، "الكريم واللئيم"

.1

-هـؤلاء النفسـانيون الانجليز، الذيـن ينبغي علينا أيضا أن نشـكرهم على المحاولات الوحيدة إلى حدّ الآن، من أجل الظفر بشيء عن تاريخ نشأة[1] الأخلاق،- إنّما يطرحون علينا هم أنفسـهم لغزا ليس بصغير؛ بل، من حيث هم لغز متجسّد، إنّما يملكون لهذا السبب تحديدا، وأنا أعترف بذلك، فضلا جوهريا على كتبهم -**إنّهم هم أنفسـهم مثيرون للاهتمام** ! هؤلاء النفسـانيون الانجليز- ماذا يريدون في واقع الأمر؟ إنّـك لتجدنّهم دوما، طوعا أو كرها، معتكفين على العمل ذاته، تعـني على دفع الـ partie honteuse[2] من عالمنا الداخلي إلى الصدارة والبحث عمّا هو بالحقيقة فاعل وموجّه[3]، وما هو حاسـم لتطوره، ههنا تحديدا حيث الكبرياء الفكرية للإنسان أزهد ما تكون رغبة في العثور عليه (على سبيل المثال في الـ*vis inertiae*[4] التي في العادة أو في الغفلة-و-النسـيان[5] أو في اختلاط الأفكار وإوالتها[6] بشـكل أعمى وبمحض الصدفـة أو في أيّ شيء انفعاليّ بحـت، آليّ، من جنس

1 - Entstehungsgeschichte. - رهان نيتشه هو التالي: من المهمّ أن "نؤرّخ" للقيم حتى نعرفها، لكنّ ذلك على أهمّيته هو أمر منقوص في أساسه، لأنّ المساءلة ينبغي أن تضع قيمة القيم نفسها موضع سؤال. قارن: المعرفة المرحة، § 345؛ ما وراء الخير والشر، § 186.

2 - بالفرنسية في النص الألماني: "الجزء المخجل" أو "العورة".

3 - das Leitende

4 - باللاتينية في النص: "قوة العطالة".

5 - Vergesslichkeit

6 - Mechanik

الفعل المنعكس، جزيئيّ وأحمق في أساسه[1])- وعلى الحقيقة ما الذي يدفع هؤلاء النفسانيين دائما وأبدا نحو **هذه** الوجهة تحديداً؟ هل هي غريزة سريّة، صفراء، لئيمة، ربّما لا يعترف بها أحد أمام نفسه، غريزة تصغير الإنسان؟ أم شيء مثل ظنّة المتشائمين، أو ريبة المثاليين الخائبين، المتجهّمين، وقد امتلأت قلوبهم سمّا وحسداً[2]؟ أم قليلٌ من العداء والحقد الدفين إزاء المسيحيّة [258] (وأفلاطون[3])، والذي هو على الأرجح لم يبلغ حتى إلى عتبة الوعي؟ أو حتى ذوق ماجن مستلذّ للغرائب، للمفارقات الأليمة، لما في الكيان من إشكال وعبث؟ أو في النهاية - شيءٌ من كلّ ذلك، قليلٌ من الخبث[4]، قليلٌ من التجهّم، قليل من معاداة المسيحية، قليل من الإثارة وحاجةٌ ما إلى الفلفل؟ ... بيد أنّه قيل لي إنّهم مجرّد ضفادع هرمة، باردة ومملّة، تزحف وتقفز فيما حول الإنسان، وفي داخل الإنسان، كما لو كانت في مجالها الخاص، أعني في **مستنقع**. أنا أسمع ذلك وفي نفسي منه شيءٌ تعافه، بل أكثر من ذلك، أنا لا أصدّق ذلك؛ وإذا كان يحقّ للمرء أن يتمنّى، حيث لا يمكنه أن يعرف، فأنا أتمنّى من القلب، أن يكون الأمر معهم بعين الضدّ، - أن يكون هؤلاء الباحثون، الذين ينقّبون عن النفس بالمجهر، بالحقيقة حيوانات باسلة، سمْحة وأبيّة، تعرف كيف تمسك زمام القلب كما زمام الألم، وتأدّبت على أن تضحّي بكلّ رغائبها من أجل الحقيقة، من أجل **كلّ** حقيقة، حتى تلك الحقيقة الساذجة، المرّة، الكريهة، التي تنفر منها النفس، اللاّمسيحيّة، اللاّأخلاقية... إذ ثمّة حقائق من هذا النوع.-

.2

كلّ الاحترام إذن للأرواح الخيّرة التي ترعى على الأرجح مؤرّخي الأخلاق هؤلاء ! بيد أنّه من اليقين، وَا أَسَفاه، أنّ **الروح التاريخية** ذاتها تعوزهم، أنّ كلّ الأرواح الخيّرة للتاريخ هي بالتحديد قد تخلّت عنهم في محنتهم ! فهم يفكّرون

1 – عن "حماقة الروح" قارن: ما وراء الخير والشر، §§ 252 و253.

2 – grün . بالمعنى الحرفي "أخضر"، لكنّ نيتشه يستعمل اللفظة في معنى مجازيّ للدلالة على "الغيرة" أو "الحسد".

3 – عن "المسيحية بوصفها أفلاطونية "الشعب""، قارن: ما وراء الخير والشر، التصدير.

4 – Gemeinheit

جميعا، كما تعوّد الفلاسفة[1] من دهرهم، بطريقة لا تاريخيّة[2] **في جوهرها**؛ ذلك أمر **لا** ريب فيه[3]. إذ أنّ إسفاف جنيالوجيا الأخلاق التي عملوها إنّما يسطع في وضح النهار منذ الوهلة الأولى، ما إن يتعلق الأمر بالتحرّي عن المصدر الذي تأتّى منه تصوّرنا أو حكمنا على شيء ما بأنّه "خيّر". "في الأصل -كذا هم يفتون- كان المرء يثني على الأعمال غير الأنانية ويسمّيها خيّرة من جهة الذين أُحسن إليهم، وبالتالي من جهة الذين كانت لهم **نافعة**؛ ثمّ جاء زمنٌ **نسي** المرء فيه [259] أصلَ هذا الثناء وأخذ يشعر بأنّ الأعمال غير الأنانية، فقط لأنّه يُثنى عليها دوماً **بحكم العادة** على أنها خيّرة، إنّما هي خيّرة أيضا -كما لو كانت شيئا خيّرا في ذاته". وللتوّ يرى المرء: أنّ هذا الاستنباط الأوّل ينطوي على كلّ الملامح النمطيّة للطبع الخاص بالنفسانيين الانجليز، - نحن لدينا "المنفعة" و"النسيان" و"العادة"، وفي النهاية "الخطأ"؛ والكلّ باعتباره قاعدةً لتقويم، به ظلّ الإنسان المتفوّق[4] مفتخرا إلى حدّ الآن كما بضرب من الامتياز الخاص بالإنسان عموما. والحقّ أنّ هذا الفخار **يجب** أن يُهان، وأن يُحطّ من قيمة[5] هذا التقويم: فهل تحقّق ذلك؟ ... أوّلا، يبدو لي واضحا بين أيدينا أنّ بؤرة تكوّن مفهوم "الخيّر" الصحيحة إنّما هي، من طريق هكذا نظرية، مبحوث عنها ومعيَّنة في الموضع الخطأ: إنّ حكمنا على شيء ما بأنّه "خيّر" **لا** يتأتّى من جهة الذين نبدي لهم "خيراً" ! بل إنّ "الأخيار"[6] أنفسهم، وذلك يعني النبلاء وأصحاب المقدرة والمكانة الرفيعة والهمّة العالية، إنّما هم الذين أحسّوا واعتبروا أنفسهم وأعمالهم خيّرة، أي من الدرجة الأولى، بعين الضدّ من كلّ ما هو دنيء ووضيع الهمّة وعاميّ[7] ومن الرعاع. من على قمّة هذا **الشعور بالمسافة**[8] هم الأوائل[9] الذين استباحوا لأنفسهم الحقّ في أن يخلقوا القيم[10]، وأن

1 – عن مثل هذا العيب لدى الفلاسفة، قارن: إنساني، مفرط في إنسانيته I، § 2.

2 – unhistorisch

3 – daran ist kein Zweifel. جملة ساقطة في ترجمة: غاليمار 1971: 21.

4 – der Höhere Mensch

5 – entwerten

6 – "die Guten"

7 – gemein

8 – das *Pathos der Distanz*. عن هذا المفهوم انظر: ما وراء الخير والشر، § 257.

9 – erst. لفظة ساقطة في ترجمة: غاليمار 1971: 21.

10 – "الحق في خلق القيم "- هذا هو رأس الأمر في هذه المقالة الأولى.

يسكّوا للقيم أسماءً: ما شأنهم والمنفعة ! إنّ وجهة نظر المنفعة، بالنسبة إلى هكذا انبجاس متوهّج لأحكام قيمة عليا، ترتّب الدرجات وتباين المراتب، لهِيَ جدُّ غريبة وغير مناسبة كأشدّ ما يكون: فإنّما هنا تحديدا يبلغ الإحساس إلى الضدّ من درجة البرودة الدنيا هذه، التي يفترضها كلّ تعقّل[1] حسابي، وكلّ حساب منفعة، - وليس لمرة واحدة، وليس لساعة استثناء، ولكن على الدوام. إنّ الشعور بالنبل والمسافة، كما قلنا، إنّ الإحساس العميق والإحساس الكامل، الدائم والمسيطر، لدى نوع أعلى سائد في علاقته بنوع أدنى، بنوع "في الأسفل"- إنّما هو أصل التضاد بين "الكريم" و"اللئيم"[2].[260] (إنّ حقّ الأسياد في إعطاء الأسماء إنّما يتّسع إلى حدّ أنّه قد يجوز للمرء أن يعيّن أصل اللغة ذاتها بوصفه تجلّيا لقدرة أصحاب السيادة: هم يقولون "هذا هو[3] كذا وكذا"، هم يختمون على كلّ شيء وعلى كلّ حدث بنبرة ما وبذلك هم يأخذونه بوجه ما في حوزتهم.) وفي هذا الأصل يكمن أنّ لفظة "خيّر" هي في أوّل الأمر لا تتعلّق ضرورةً بالأفعال "غير الأنانية": كما توحي بذلك خرافات جنيالوجيّ الأخلاق **هؤلاء**. وعلى الأرجح فإنّه عند **تدهور**[4] أحكام القيمة الأرستقراطية فحسب إنّما يحدث أن يفرض هذا التضادُّ التامُّ بين "الأناني" / "غير الأناني"، نفسَه، شيئا فشيئا، على الضمير الإنساني- إنّ هذا، حتى أستعمل لغتي الخاصة، إنّما هو **غريزة الجموع**[5]، التي تنجح من خلاله آخر الأمر في أن تقول كلمتها (وأن تستحوذ على **الكلمات** أيضا)[6]. ثمّ يدوم ذلك أيضا مدّة طويلة حتى تصبح هذه الغريزة غالبة إلى الحدّ الذي معه يكون التقويم الخلقي عالقا عند هذا التضادّ ومنغرسا فيه (كما هو الحال مثلا في أوروبا اليوم: إذ يسود راهناً الحكمُ المسبق الذي يأخذ "الأخلاقي" و"غير الأناني" و"désintéressé"[7]، باعتبارها مفهومات مترادفة، وذلك بالعنف الذي في "فكرة ثابتة" ومرض عصبيّ).

1 - Klugheit

2 - "gut" und "schlecht"

3 - *ist*

4 - der *Niedergang*

5 - der *Heerdeninstinkt*

6 - جملة تنطوي على بعض الصعوبة، لأنّ نيتشه يلعب على الخيط الرفيع بين "zu *Worte* kommen" (أخذ الكلمة أو تحصّل على إمكانية الكلام أو نجح في قول كلمته) وبين "zu *Worten* kommen" (استحوذ على الكلمات ووجد الألفاظ المناسبة).

7 - بالفرنسية في النصّ الأصلي: "خال من المصلحة".

.3

ولكـن ثانيًـا: بقطع النظر عن التهافـت التاريخي لهـذه الفرضية عن مصدر الحكـم القيمي "خيّر"، فإنّها تعاني في ذات نفسـها من فسـاد فهم[1] نفسـاني. إذ يُفترض أنّ المنفعة في العمل غير الأناني هي أصل الثناء عليه، وأنّ هذا الأصل قد صار أمرا **منسـيّا**: - ولكن أنّى لهذا النسـيان أن يكون **ممكنا**؟ وهل خلت مثل هـذه الأعمال من المنفعة في يوم من الأيام؟ بل الأمر بعـين الضدّ: إنّ هذه المنفعة إنّـما كانـت على الأرجح تجربة يوميـة في جميع الأزمان، ومن ثمّ شـيئا ما كان يتـمّ التوكيد عليه دائما وأبدا من جديـد [261]؛ وهكذا، بدل أن تضمحلّ من الضمير، بدل أن تصبح شيئا منسيّا، فإنّه كان ينبغي أن تنطبع في صلب الضمير بوضـوح أكثر أكثر أبدا. وكـم هي أكثر تعقّلا تلك النظرية المعاكسـة (دون أن تكون لهذا السبب أكثر حقيقة)، تلك التي دافع عنها مثلا هاربرت سـبنسر[2]: الذي يعيّن مفهوم "الخـيّر" باعتباره مرادفا في ماهيته لمفهـوم "النافع"[3]، و"الملائم لغرض ما"[4]، بحيث أنّ الإنسانية إنّما تكون بالتحديد من خلال أحكام "الصّالح" و"الطّالح" قد لخّصت وأقرّت تجاربها التي **لم تنسَ** والتي **لا تُنسى**[5] حول ما هو نافع-ملائـم للغرض، حول ما هو ضارّ-غير ملائم للغرض. هو خيّر، تبعا لهـذه النظرية، ما قامت الحجّة عليه منذ قديم الزمان بوصفه نافعا: بذلك يحقّ له أن يرفع دعوى كونه "ذا قيمة نفيسة إلى أقصى الدرجات"، كونه "ذا قيمة نفيسة في ذاته". إنّ هذه السـبيل في التفسـير هي أيضا، كما قلنا، خاطئة، إلاّ أنّ التفسير ذاته هو على الأقلّ معقول في ذاته ومما يمكن الدفاع عنه على الصعيد النفساني.

.4

- إنّ مـا منحني الإشـارة نحو السـبيل **الصحيحة** هو السـؤال عمّا كان على تسميات "الخيّر" التي سكّتها مختلف اللغات أن تعنيه، متى أخذنا الأمر من زاوية نظـر لغوية: ههنا وجدت أنّها جميعا تقود القهقرى إلى **عين التحوّل المفهومي**، - أنّ

1 – der Widersinn

2 – قارن: المقالة II، 12. حول سبنسر، قارن: هذا هو الإنسان، فصل "لم أنا قدر ؟"، § 4.

3 – “nützlich”

4 – “zweckmässig”

5 – ihre *unvergessnen und unvergessbaren* Erfahrungen

"الشريــف" و"النبيــل"، في معنى مرتبته من القوم[1] هــو، في كلّ مكان، المفهوم الأســاسي الذي منه بالضرورة ينشــأ [الرجل] "الخَير"[2] في معنى "شريف النفس"، و"النبيــل" في معنى "عالي النفس" و"المفضَّل"[3]: نشــوء هو يجــري دوما في تواز مع ذاك النشــوء الآخــر الذي يقــوم في آخر المطاف بنقــل "العامّي"[4] و"الشــعبي"[5] و"الوضيــع"[6] إلى مفهوم "اللئيم". وإنّ أبلغ مثال على هذا الأخير هو اللفظ الألماني "schlecht" هــو ذاته: مــن حيث ما هو مرادف لــ"schlicht"[7]- قارن ذلك مع "schlechtweg"[8] و"schlechterdings"[9]- ويشــير في أصله إلى الرجل[10] البســيط، العامّــي، على نحو مازال خلوا من [262] أيّ نظرة شــزراء مريبة، في مقابل النبيل فحســب. وإنّه في زمن حرب الثلاثين عاما[11] تقريبــا، ومن ثمّ في زمن جدّ متأخّر، إنّــما انحدر هذا المعنى إلى الذي نســتعمله اليوم. - وهذا أمــر يبدو لي، بالنظر إلى جنيالوجيا-الأخلاق، اســتبصارا جوهريا؛ أمّــا أنّه لم يُعثَر عليه إلاّ بأَخَرَة، فذلك راجع إلى ما يعرض من التأثير الذي يمارســه الحكم المســبق الديمقراطي داخل العالم الحديث فيما يتعلّق بكلّ مسائل المصدر[12]. وهذا قد يبلغ حتى إلى قطاع علم الطبيعة والفزيولوجيا، الذي يبدو لنا الأكثر موضوعيّة، وهو ما لا يسعنا أن نشير إليه هنا إلاّ لماما. أمّا أيَّ خلل يمكن أن يســبّبه هذا الحكم المســبق، متى أطلق

1 – ständisch

2 – "gut". – في معنى "الرجل الخيّر" أي الفاضل في معنى الذي يفضل غيره في الفضل.

3 – seelisch-privilegirt

4 – gemein

5 – pöbelhaft

6 – niedrig

7 – "البسيط" من الناس . وهو معنى شائع في اللغات الأوروبية. ولم تعرفه العربية إلاّ في فصاحتها المعاصرة، مثل عبارات أخرى من قبيل "عادي" أو "متواضع"... وقد يمكن تعويضها بعبارات من قبيل "ساذج"، "فطير"، "عامي"،...

8 – " بكلّ بساطة".وهذه أيضا صيغة مستحدثة في العربية المعاصرة. وقد يمكن تعويضها بعبارات من قبيل: دون تكلّف، على مجرى العادة...

9 – " إطلاقاً"، دون قيد أو شرط.

10 – der Mann

11 – "حرب الثلاثين عاما"- نزاع طال أنحاء من أوروبا في بداية القرن السابع عشر (ما بين 1618 و1648)، تعرّضت فيه ألمانيا إلى اجتياح من قبل فرنسا والسويد.

12 – Herkunft

عنانه إلى حدّ الكراهة، وبخاصة فيما يخصّ الأخلاق والتاريخ، فإنّ قضية بوكل[1] الشهيرة تبيّنه أيّما بيان؛ إنّ **شعبويّة** الروح الحديثة، المنحدرة من جذع[2] انجليزي، قد أطلّت برأسها مرة أخرى على أرض وطنها، جامحة كبركان من الوحل وبتلك الفصاحة الركيكة، الكثيرة الصياح، المبتذلة، التي بها تكلّمت كلّ البراكين إلى حدّ الآن.-

.5

بالنظر إلى مشكلنا، الذي يمكن لأسباب وجيهة أن يُسمّى مشكلا **صامتا** وألاّ يتوجّه بمقتضى صرامة ذوقية[3] إلاّ إلى بعض الآذان فحسب، ليس عديم الفائدة أن نثبت أنّه في خلال تلك الألفاظ والجذور التي تصف "الخيّر" مازال يلوح بأوجه كثيرة الفارقُ الرئيس الذي بفضله كان يشعر النبلاء أنّهم أناس من مرتبة عليا. صحيح أنّهم في غالب الحالات، وربّما بعد التفوّق في القوّة فحسب، إنّما أطلقوا على أنفسهم هكذا أسماء (بوصفهم "الأقوياء" و"الأسياد" و"أولي الأمر"[4]) أو بموجب أبرز أمارة على ذلك التفوّق، مثلاً بوصفهم "الأغنياء" و"المالكين" (وهذا هو معنى arya[5] ؛ والألفاظ المناسبة في الإيرانية والسلافية). ولكن أيضا بمقتضى **خصلة فريدة في طباعهم**: وهذه هي الحالة التي تهمّنا هنا. هم يلقّبون أنفسهم مثلا [263] "الحقّانيون"[6]: وأوّلهم النبلاء الإغريق، إذ كان الشاعر الميغاري ثيوغنيس[7] ناطقا بلسانهم. وإنّ اللفظ الذي صيغ لهذا الغرض ἐσθλός[8] إنّما يعني بحسب اشتقاقه رجلاً ذا **كيان**[9]، واقعيّا[10]، كائناً بالفعل، حقيقيّاً؛ ثمّ، من خلال انقلاب ذاتي، أخذ يعني الحقيقيَّ باعتباره الحقّانيَّ: عند هذا الطور من

1 – Buckle . انظر: رسالة إلى غاست (Gast) بتاريخ 20 ماي 1887.

2 – Abkunft

3 – wählerisch

4 – die Gebietenden

5 – بمعنى "النبيل"

6 – die Wahrhaftigen. قارن: ما وراء الخير والشر، § 260.

7 – Theognis.

8 – esthlos – "جميل، حسن، نبيل".

9 – *ist*

10 – Realität

تحـوّل المفهوم، هو قد أصبح عنوان النبالة وشـعارها، وانقلب بالكلّية إلى معنى "النبيـل"، تمييزا له عن الرجل العامّي **الكذّاب**[1]، كما تصوّره ثيوغنيس ورسـم ملامحه، - حتى بقي اللفظ آخر الأمر، بعد إنحدار النبالة، موقوفا على وصف نبل النفـس، وصار بمعنى ما يانعًا وحلوًا. فـما أكّد عليه في لفظة κακός[2] كما في لفظة δειλός[3] (الشعبيّ في مقابل ἀγαθός[4]) هو الجبن: وذاك أمر ربّما لـمّح لنا في أيّة جهة يتعيّن على المرء أن يبحث عن الأصل الاشتقاقي للفظة ἀγαθός الحمّالـة لـمعـان عـدة. إنّ malus[5] اللاتيني (الذي أضعه بجانـب μέλας[6]) قد يمكن أن يصف الرجـل العامّي باعتباره صاحب اللون القاتم، وقبل كلّ شي باعتباره ذا الشعر الأسود ("hic niger est"[7])، باعتباره الساكن قبل الآريّ لبلاد الطليـان القديمـة[8]، الذي كان يتميّـز باللون كأوضح ما يكـون عن العِرق الذي صار غالبا، نعني العرق الأشـقر للغزاة الآريين؛ وعلى الأقلّ فإنّ لسان بلاد الغال[9] قد منحني حالةً مناسبة تماما: إنّ fin (على سبيل المثال في الاسم Fin-Gal)، الكلمـة التي تميّـز النبالة، وفي آخر المطاف الخيّر، العريق النسـب، الخالص، إنّما [تعني] في أصلها الرأس الأشـقر، في مقابل السـكان الأصليين، السـمر، ذوي الشـعر الأسود. فإنّ السـلتيين[10]، لنقل ذلك عرضاً، إنّما كانوا عِرْقًا أشقرَ تماماً؛ والمرء يقترف خطأ، متى عقد رابطاً بين تلك القطاعات من السكان[11] الذين هم في الجوهر ذوو شـعر قاتم، والتي تُلاحَظ على بعـض الخرائط الإتنوغرافية الجيّدة لألمانيا، وبين أصل سلتيّ أو اختلاط مع دم سلتيّ، كما دأب على ذلك فيرشو[12]:

---

1 - lügenhaft

2 - kakos – "قبيح، رديء". ومنه جاء معنى "دناءة الأصل، الجبن، الطابع الشرّير".

3 - deilos – "جبان، بائس"

4 - agathos – "خيّر، جيّد، قوّي".

5 - سيّء، رديء

6 - melas – "أسود" باليوناني.

7 - احذر "هناك زنجي". صيغة سبق أن استعملها نيتشه في: **المعرفة المرحة**، § 203. وهي تعود إلى: هوراس، **الأهاجي** (I، 4، البيت 85).

8 - italisch

9 - das Gälische.

10 - die Kelten

11 - Bevölkerung

12 - Virchow

فعلى الأرجح إنّ ما يغلب في تلك المناطق هم السّكان قبل الآريين لألمانيا. (يصحّ الأمر نفسه تقريبا على أوروبا برمّتها: فعلى الجملة، إنّ العِرْق المغلوب في النهاية قد صار هناك من جديد [264] هو الغالب، في اللون، وصغر الجمجمة وعلى الأرجح حتى في غرائز الفكر والاجتماع: من يضمن لنا أنّ الديمقراطية الحديثة والفوضوية الأحدث عهدا ولاسيّما هذه النزعة إلى "الرابطة"[1]، إلى صورة المجتمع الأكثر بدائيّة، التي هي اليوم القاسم المشترك بين اشتراكيّ أوروبا كافّةً، لا تدلّ في المقام الأوّل على **ضربة ارتدادية** هائلة - وأنّ **عِرْق الغزاة والأسياد،** عِرْق الآريين[2]، إنّما هو في انحطاط حتى فزيولوجيّاً؟...) أنا أعتقد أنّه بوسعي أن أفسّر لفظة bonus[3] اللاتينية في معنى "المحارب": متى افترضنا أنّه يحقّ لنا أن نعيد bonus إلى duonus الأقدم منها (قارن bellum[4] = duellum = duen-lum، حيث يظهر لي أنّ duonus هذه متضمَّنة). bonus هو إذاً رجل الشقاق وسيف التفرقة[5] (duo[6])، رجل الحرب[7]: نحن نرى ما كان في روما القديمة يمثّل في رجل ما "خيريّته". بل ولفظتنا الألمانية "Gut"[8] نفسها: ألا ينبغي أن تعني "der Göttliche"[9]، الرجل الذي "ينحدر من عرق إلهي"؟ أن تكون مرادفة لاسم شعب الـGothen، الذي كان في أصله اسماً للنبالة؟ أمّا دواعي هذا الافتراض فهي لا تنتمي إلى هذا الموضع.-

1 - Commune.

2 - على عكس ما يمكن توقّعه فإنّ كتابات نيتشه التي نشرها خالية عموما من استعمال مصطلح "الآري"، وربما لا نعثر، حاشى هذه المرة، على موضع آخر لها إلاّ في الفقرة 9 من **مولد التراجيديا**. بل إنّ نيتشه سوف يتحدث عن "الوراثة الآرية في اليهودية" ممّا يعني أنّه يستخدم هذا المصطلح استخداما تأويليا، أي مجازيا أو رمزيا، بوصفه عنصرا تقويميا للإشارة إلى إرادة الاقتدار وإرادة الحياة الخالية من التشاؤم والشعور بالعجز.

3 - خير وخيّر وجيّد وحسن.

4 - حرب.

5 - Entzweiung

6 - "اثنان". يأخذ نيتشه الثنائية كعلامة على الفرقة والشقاق كما في العبارة الألمانية: "Entzweiung" التي تدلّ على الفصل والقطع والتفريق.

7 - قارن: رسالة إلى غاست بتاريخ 31 ماي 1888.

8 - خيْرٌ، خيّر، جيّد، حسن،... ولكن أيضا: كريم، شريف، رفيع،...

9 - الإلهي، الرباني.

.6

عن هذه القاعدة القاضية بأنّ المفهوم السياسي للأولويّة إنّما ينقلب إلى مفهوم نفساني للأولوية، لا يوجد أصلاً أيّ استثناء (رغم أنّه ثمّة مدعاة للاستثناء)، إذا ما كانت الطبقة العليا هي في عين الآن طبقة **الكهّان** وبالتالي تختار، اسماً عامّا لها، صفةً تذكّر بوظيفة الكهنوت. إنّما في هذا المقام، على سبيل المثال، يتقابل "الخالص" و"غير الخالص" لأوّل مرة بوصفهما أمارتين على طبقتين متباينتين؛ ثمّ تأخذ ههنا أيضا في التطوّر [دلالات] "الكريم" و"اللئيم"[1] في معنى لم يعد طبقيّا[2] في شيء. بقي أنّه على المرء أن يحذر من أن يأخذ منذ البداية مفاهيم "الخالص" و"غير الخالص" هذه كقول ثقيل[3]، جدّ شاسع أو حتى رمزي: كلّ مفاهيم [265] الإنسانية القديمة إنّما كانت على الأرجح في بدايتها، بقدر يكاد يضيق عنه تصوّرنا، مفهومةً فهماً غليظا، فظّا، خارجيّا، ضيّقا، وبالأخصّ فهماً **غير رمزيّ**[4]. إنّما "الخالص" هو منذ البداية مجرّد إنسان يغتسل ويمتنع عن بعض الأطعمة التي تلحق به أمراضا جلدية، لا يأتي الوسخة من نساء الشعب الوضيع، ويتقزّز من الدم، - ليس أكثر، تقريبا ليس أكثر من ذلك ! كذلك يتوضّح، بلا ريب، من الطبيعة الصحيحة لأرسطقراطية، كهنوتية في جوهرها، لـمَ أمكن ههنا بالتحديد منذ وقت مبكّر للتقويمات المتضادة[5] أن تُستبطَن وأن تحتدّ نبرتها بشكل خطير؛ وفي الواقع إنّما من طريقها في نهاية المطاف قد شُقّت بين البشر والبشر هاويةٌ، فوقها حتى أخيل الفكر الحر لن يعبر دون أن يقشعرّ بدنه. يوجد منذ البداية شيء **غير صحّي**[6] في هكذا أرستقراطيات كهنوتية[7] وفي العادات

1 - gut und schlecht

2 - ständisch

3 - zu schwer

4 - *unsymbolisch*. علينا الانتباه هنا إلى أنّ "الرمزي" حسب نيتشه هو عارض على تزييف ما في الطبيعة الإنسانية اللاحقة على الأزمنة الأولى حيث كانت الأنماط البشرية "غير رمزية" تماما أي عارية وفظة وحرة. الرمز غطاء على عجز أصاب إرادة الحياة.

5 - die Werthungs-Gegensätze

6 - Ungesundes

7 - ينطوي هذا الكلام على بذرة من الإعجاب بالكاهن القديم: هذا الذي نجح في ابتكار الوسائل الناجعة لحمل الجمهور على اتباعه، على عكس الفلاسفة الذين فشلوا غالبا في الوصول إلى الناس. كأنّ نداء الحرية غير مناسب للجموع. لكنّ نكتة الأمر هنا هي أنّ نيتشه حسّاس تماما

السائدة ههنا، المعرضة عن الفعل، تارة مُطرقة وطورا متفجّرة العاطفة، من نتائجها أن يظهر على الكهان في كل العصور، على نحو يكاد يكون لا مرد له، شيء من المرض المعوي والوهن العصبي المزمن[1]؛ أمّا عمّا اخترعوه هم أنفسهم من علاج لمرضهم، - أفلا ينبغي على المرء أن يقول إنّه قد تبيّن في نهاية المطاف أنّه في تأثيراته أخطر مائة مرة من المرض الذي يجب أن يُشفيَ منه؟ إنّ الإنسانية ذاتها لا تزال تعاني من آثار هذا الاستشفاء الساذج للكهان ! لنفكّر مثلا في بعض أشكال الحمية (من قبيل الامتناع عن أكل اللحم)، في الصوم والتعفّف الجنسي والفرار "إلى الصحراء" (من قبيل اعتزال فاير ميتشل[2]، ولكن من دون ما يتبعه من علاج زيادة الوزن ومن تخمة، والذي فيه يكمن المضادّ الأكثر فعالية إزاء كلّ ضرب من هستيريا المثل الأعلى النّسكي[3]): أضف إلى ذلك كلّ ميتافيزيقا الكهّان المعادية للحواس والتي تورث الكسل والمكر، وتنويم أنفسهم بأنفسهم على طريقة فقير [الهند] والبَرَاهْمان[4]- بَرَاهْمَا مستخدَماً بوصفه كبّة زجاجيّة أو فكرة ثابتة [266]- وفي النهاية السأم العام، والذي نتفهّمه جيّدا، مصحوبا بعلاجه الجذري، بـ**العدم** (أو الربّ:- فالتطلّع إلى unio mystica[5] مع الربّ هو تطلّع البوذيّ إلى العدم، إلى النيرفانا[6]- وليس أكثر!). لدى الكهان يصبح **كلّ شيء** خطيرا، ليس فقط وسائل العلاج وأفانين الدواء، بل أيضا الكبْرُ والثأر وحدّة الذهن والمجون والحبّ والرغبة في التسلّط والفضيلة والمرض؛- ومن العدل بوجه ما أن نضيف إلى ذلك بلا ريب أنّه فقط على أرضية هذا الشكل من الوجود[7] الإنساني، **الخطير في جوهره**، وجود الكهان، إنّما صار

إزاء ثراء شخصية الكاهن والإنسان الديني بعامة: أنّه نمط ارتكاسي ولكنّه مثير للإعجاب من جهة سعيه الحثيث إلى الإمساك بضرب ما من الاقتدار واحتراف فنّ الهيمنة بشكل فذّ. قارن: **المعرفة المرحة**، § 351؛ **هكذا حدّث زرادشت** II، "حديث الكهّان".

1 – قارن: المقالة III، 16.

2 – Weir Mitchell.

3 – هذه العبارة سوف تصبح عنوان المقالة الثالثة.

4 – nach Art des Fakirs und Brahmanen. – "البراهمان" هو أحد "البراهمة"، طبقة الكهنوت العليا عند الهندوس. وذلك نسبةً إلى "بَرَاهْمَا" اسم إله هندي، يؤلّف مع "فشنو" و"سيفا" الثالوث الهندوسي.

5 – باللاتينية في النصّ: وحدة صوفية.

6 – Nirvâna. عن البوذية، را: المقالة الثالثة.

7 – Daseinsform

الإنسان **حيوانا مثيرا للاهتمام**[1]، أنّه ههنا فحسب إنّما أصبحت النفس الإنسانية **عميقة** وصارت **شرّيرة** في معنى رفيع- وإنّ ذينك الأمرين لهما إلى حدّ الآن الشكلان الأساسيان لتفوّق الإنسان على الحيوان !...

.7

إنّ المرء قد خمّن بعدُ كَمْ من اليسير على طريقة تقويم الكهان أن تتفرّع وتنفصل عن طريقة تقويم الفرسان الأرستقراطيين[2] وأن تأخذ في التطوّر إلى ضدّها؛ وهو ما يحدث على الخصوص في كلّ مرة تقع فيها مواجهة بين طبقة الكهان وطبقة المحاربين لما بينهما من حسد وغيرة، ولا تحرّكهما إرادة للاتفاق على المنتصر. أمّا أحكام القيمة التي يصدرها الفرسان الأرستقراطيون فهي تفترض قوةَ الجسد وصحّةً يافعة، موفورة، فيّاضة، مع ما تتطلّبه المحافظة عليها، من حرب ومغامرة وصيد ورقص وألعاب حرب وبعامة كلّ ما يحتوي في نفسه على عمل شديد، حرّ، بهيج[3]. وأمّا طريقة التقويم النبيلة-الكهنوتية فإنّ لها -كما رأينا ذلك[4]- أركاناً أخرى: يكفي أن يصيبها الخجل، متى تعلق الأمر بالحرب! إنّ الكهان، كما هو معلوم، هم **أشرّ الأعداء**[5]- ولكن لماذا؟ لأنّهم أكثر الناس عجزا[6]. ومن العجز يتولّد عندهم [267] الكُرْهُ، مرعبًا وموحشاً، روحيّاً ومسموماً كأشدّ ما يكون. لقد كان أشدّ الناس كرها في تاريخ العالم على الدوام كهّاناً، وكان هؤلاء الكارهون أيضا من أشدّ الأرواح مكراً: - فإزاء روح الثأر التي تسكن الكهّان يكاد لا يدخل أيُّ روح آخر في الاعتبار. وما أبلد تاريخ البشر لولا الروح التي تأتّت إليه من العاجزين: - ولنتّخذ للتوّ أكبر مثال على ذلك. إنّ كلّ ما تمّ فعله على الأرض

---

1 – *ein interessantes Thier*

2 – ritterlich–aristokratisch

3 – تلك جملة القيم الأرستقراطية التي نعثر عليها نضرة، حرّة، طليقة، بريئة، في الشعر العربي سواء قبل ظهور الدين التوحيدي أو لا. من امرئ القيس إلى المتنبي يستجيب شعر العرب إلى تشخيص نيتشه لأخلاق النبلاء بشكل مثير. لكنّ نيتشه سوف يعلّمنا أنّ الإنسان القديم لم يصبح "مثيرا للاهتمام" إلاّ عندما أصبح عميقا وغير بريء أي "شرّيرا". وذلك وقع بعد ظهور الكهان.

4 – قارن: الفقرة 6.

5 – die *bösesten Feinde*

6 – die ohnmächtigsten

ضدّ "النبلاء" و"الأقوياء" و"الأسياد" و"ذوي السلطان"[1] لا يستحقّ الذكر متى قورن بما فعله اليهود[2] ضدّهم: اليهود، هذا الشعب الكهنوتي الذي لم يظفر في آخر المطاف بشيء يرضيه ضدّ أعدائه والمتسلّطين عليه إلاّ من خلال قلب جذريّ لقيمهم، وذلك يعني من خلال عمليّة **ثأر هي الأكثر روحانيّة**. ذلك فقط ما كان ملائما لشعب من الكهّان، للشعب الذي تميّز بحبّ الانتقام الكهنوتي الأعمق غورا. إنّما اليهود هم الذين قد تجرّؤوا على قلب معادلة القيم الأرستقراطية ([رجل] خَيْرٌ = نبيل = قدير[3] = جميل = سعيد= محبوب الآلهة) بإحكام مرعب وثبتوا عليه مكشّرين عن أنياب الكراهية التي لا قرار لها (كراهية العاجزين)، وذلك يعني "أنّ البؤساء فقط هم الخيّرون[4]، أنّ الفقراء والعاجزين والسفلة فقط هم الخيّرون، أنّ المعذّبين والمعوزين والمرضى والقِباح أيضا هم وحدهم الأتقياء، هم وحدهم من يباركهم الربّ، ولهم فحسب ثمّة غبطة وبركة، - أمّا أنتم، أنتم النبلاء وأصحاب المقدرة، فمنذ الأبد أنتم الأشرار والهمجيون والشهوانيون، الذين لا تُروى لهم غُلّة، الكفرة، وستكونون أيضا المنبوذين والملعونين والمغضوب عليهم أبدا!"[5] ... ويعرف الناس **من**[6] اتّخذ من هذا القلب اليهوديّ للقيم ميراثاً... وأنا أذكّر فيما يخصّ المبادرة الرهيبة والمشؤومة على نحو يفوق كلّ تقدير، التي قام بها اليهود بواسطة أكثر إعلانات الحرب مبدئيّةً، بالقضية[7] التي توصلت إليها في موضع آخر ("ما وراء [268] الخير والشر" ص 118[8])- أنّه إنّما مع اليهود بدأ **تمرّد العبيد في الأخلاق**: ذاك التمرّد الذي يجرّ وراءه تاريخاً من عشرين قرنا والذي لم يتنحّ اليومَ عن أعيننا إلاّ لهذا السبب فحسب، أنّه – قد انتصر...

---

1 – die Machthaber.

2 – موقف نيتشه من اليهود ليس عرقيا أو عنصريا أو معاديا للسامية بل هو موقف تأويلي: إنّ اليهود قد صاروا "الشعب المختار" عندما اخترعوا تقنية الكهنوت كضرب ارتكاسي من إرادة الاقتدار، عندما استعاضوا عن شعب من "الأحرار" بشعب من "الكهان". را: المسيح المضاد، §§ 24-28.

3 – mächtig. لفظة ساقطة في ترجمة: غاليمار 1971: 31.

4 – علينا أن نبصر بالفارق بين جمع "الخيّرين" (في معجم العامّة) و"الأخيار" (في معجم النبلاء).

5 – قارن : ما وراء الخير والشر، §§ 46 و195.

6 – المقصود هو المسيحية.

7 – der Satz

8 – ما وراء الخير والشرّ، § 195.

.8

- ولكن ألا تفهمون؟ أنتم ليس لكمْ أعينٌ لشيء تطلّب ألفيْ سنة من أجل أن يظفر بالنصر؟... ليس في ذلك ما يدعو إلى العجب: فكلّ الأشياء **الطويلة المدى** من الصعب أن نراها، أن يحيط بها البصر. ورغم ذلك **هذا** ما حدث: من جذع شجرة الثأر والكره، من الكره اليهودي- من أعمق كره وأجلّ كره، كرهٍ خلاّق للمثل العليا، محوّل للقيم، لم يوجد مثله على الأرض أبداً- إنّها انبثق بنفس القدر شيءٌ لا يُقارَن، **محبّة جديدة**[1]، هي أعمق وأجلّ أنواع المحبّة: - ومن أيّ جذع آخر كان يمكن لها أن تنبثق؟... ولكن لا يظنّن المرء أنها ترعرعت بوجه ما باعتبارها النفي الحقيقي[2] لهذا التعطّش إلى الثأر، باعتبارها نقيض الكره اليهودي! كلاّ، إنّها العكس هو الصحيح! فهذه المحبّة إنّها خرجت منه، كأنّها هي تاجُه، تاج النصر المتفتّح أوسع فأوسع في أصفى ضياء والشمس في غرّتها، والذي بنفس الاندفاع أخذ يسعى في مملكة النور العلويّة إلى المقصد الأسنى لهذا الكره، إلى النصر والغنيمة والإغراء، نفس الاندفاع الذي به كانت جذور هذا الكره تتغلغل دوما أعمق فأعمق وأكثر فأكثر شراهة، في كلّ ما كان له قاع وكان شرّيرا. يسوع[3] الناصريّ هذا، بصفته إنجيل المحبّة المتجسّد، هذا "المخلّص" الذي يحمل الغبطة والنصر للفقراء والمرضى والمذنبين - ألم يكن هو بالتحديد الإغراء في شكله الأكثر وحشة والأكثر استعصاء على المقاومة، الإغراء والمنقلَب إلى عين تلك القيم [269] والتجديدات **اليهودية** للمثل الأعلى؟ أليس على الطريق الملتوية لهذا "المخلّص"، هذا الذي هو في الظاهر مناوئٌ لإسرائيل وساعٍ إلى تشتيت شمله، إنّها بلغ إسرائيل شأوَه البعيدَ من رغبته الرائعة في الانتقام[4]؟ أليس من صَلب الفنّ الأسود الخبيء[5] لـ**سياسة كبرى** حقّا للثأر، ثأرٍ بعيد النظر، دفين[6]، متأنّ في هجومه ولا يجازف في تقديراته، أنّ إسرائيل نفسه

---

1 - علينا أن نقرأ ذلك في عين السياق الذي تمّ فيه التعريض بأخلاق "الشفقة" الشوبنهاورية: الحبّ كنوع سقيم وكهنوتي من الشفقة على العاجزين.

2 - eigentlich. لفظة ساقطة في ترجمة: غاليار 1971: 32.

3 - رغم ذلك فإنّ نقد نيتشه على الأغلب لا يقصد يسوع بحدّ ذاته بل المؤسسة الكنسية التي اخترعها بولس (الحواريّ الذي كان في أصله يهودياً) للقطع ظاهرا مع اليهود، والحال أنّه في واقع الأمر قد عمّق نفس سلّم القيم بطرق أخرى: الحبّ كموقف ارتكاسي من قوى الحياة، يفصل القوة عمّا تستطيع، من خلال ثأر خيالي أو "روحاني".

4 - Rachsucht

5 - geheim

6 - unterirdisch - بالمعنى الحرفي: "تحت-أرضي".

كان عليه أن ينكر الأداة الحقيقية لثأره أمام العالم كلّه وكأنّه العدوّ اللّدود وأن يدقّه على الصليب، بحيث يستطيع "كلّ العالم"، أي كلّ أعداء إسرائيل، أن يأكلوا هذا الطعم دون تردّد؟ ولكن هل يستطيع المرء، مهما أوتي من روح ثاقبة، أن يتخيّل على العموم طعماً **أخطر** من هذا؟ شيئاً يعادل رمز "الصليب المقدّس" هذا، من حيث القوّة المغرية والمسكرة والمخدِّرة والمهلِكة، هذه المفارقة المريعة لـ"إله مصلوب"، هذا اللغز العجيب لقساوة قصوى، نهائيّة، لا تُتصوَّر، إله يصلب نفسه **من أجل الإنسان**[1]؟... من المؤكّد على الأقلّ أنّ إسرائيل، *sub hoc signo*[2]، هو، بثأره وقلبه كلّ القيم، قد انتصر دائما وأبدا من جديد على كلّ المثل العليا الأخرى، على كلّ مثل أعلى **أنبل منه**.[3]-

.9

- ولكن[4] ما الذي تقوله عن مثل أعلى **أنبل منه**! لنسلّم بالوقائع: إنّ الشعب قد انتصر – أو "العبيد"، أو "الرعاع"[5]، أو "القطيع"، أو ما شئت أن تسمّي- وإذا كان هذا قد حصل من خلال اليهود، فليكن! لم يحدث أبدا أن كان لشعب ما مهمّة أكبر في تاريخ العالم[6]. انتهى أمر "الأسياد"؛ وانتصرت أخلاق الإنسان العامي. قد يمكن للمرء أن يسمّي هذا النصر في ذات الوقت تسمّما في الدم[7] (فهو قد خلط الأعراق في بعضها البعض)- أنا لا أعترض على ذلك؛ ولكن ممّا لا ريب فيه أنّ هذا

---

1 - zum Heile des Menschen

2 – باللاتينية في النص: "تحت هذه الراية". صيغة وردت أيضا في: الفجر، § 96. وهي إشارة إلى اعتناق قسطنطين للمسيحية وقولته الشهيرة "تحت هذه الراية، سوف تنتصر" (راية الصليب).

3 – ليس هذا الكلام معاديا لليهود بل هو تخريج تأويلي لنفسية الكاهن، ولا يؤدي الكاهن اليهودي هنا إلاّ دورا "نموذجيا" أو "تيبولوجيا". ليس هناك "مسألة يهودية" بل هناك "مسألة أخلاقية" أي "مسألة الكاهن" أو "الفقيه" أو "الحَبر" أو "القسّيس" ودوره الخطير في تركيب بنية "القيم" التي عليها بنى النوع الإنساني إلى حدّ الآن "معنى" وجوده على الأرض. مثلا: في الفقرة 251 من ما وراء الخير والشر يبلغ نيتشه في فنّ التأويل النشط لدور الكاهن اليهودي إلى التصريح بأنّ اليهود قد يكونون هم من سينقذ أوروبا من نفسها.

4 – استعمال نيتشه للهلالين أو الظفرين هو للتحفّظ من هذا النحو من الأقوال، فهي أقوال "الفكر الحر" الحديث، كلام "الملحدين" في الدين و"الوضعيين" في العلم و"الديمقراطيين" في السياسة. لكنّه ليس موقف نيتشه.

5 - der Pöbel

6 - welthistorischere Mission

7 - Blutvergiftung

التسميم[1] قد **نجح**. إنّ "خلاص" [270] الجنس البشري (أي الخلاص من "الأسياد") هو على أفضل الطرق؛ الكلّ يتهوّد أو يتنصّر أو يترعّعُ[2] على مرمى النظر (لا مُشاحّة في الأسماء!). وإنّ سير هذا التسمّم عبر جسد الإنسانية برمّته، إنّما يبدو شيئا لا مردّ له، بل إنّ إيقاعه وخطوَه قد يجب منذ الآن أن يكونا أبطأ وأرهف وأقلّ سماعاً وأكثر رزانة – إذْ في الوقت متّسعٌ... فهل مازال للكنيسة اليومَ من مهمّة **ضرورية** في هذا الاتجاه، هل مازال لها بعامة حقٌّ في الوجود؟ أم قد يمكن للمرء أن يكون عنها بغنىً؟ *Quaeritur*[3]. إذ يظهر أنّها تكبح هذا المسار وتبطئه، بدل أن تعجّل به؟ ولكن، ربما يكون ذلك هو وجه الفائدة منها... بلا ريب، هي في آخر المطاف شيء فظّ وغليظ، يتنافر مع عقل مرهف ومع ذوق حديث حقّا.ألا يجب عليها على الأقلّ أن تتهذّب قليلا؟... فهي تنفّر اليوم أكثر ممّا تفتن... من منّا سيكون عقلا حرّا[4] لو لم توجد الكنيسة؟ إنّ ما ينفّرنا هو الكنيسة وليس سمّها... فبقطع النظر عن الكنيسة نحن أيضا نحبّ السمّ..."- ذلك ما انتقد به مقالتي "مفكّر حرّ"[5]، حيوان أمين، كما أثبت ذلك بشكل واسع، وفوق ذلك هو ديمقراطيّ؛ لقد أصغى إليّ إلى حدّ الآن ولم يحتمل أن يسمع[6] صمتي. فبالنسبة إليّ ثمّة في هذا المقام شيء كثير ينبغي إسكاته.-

.10

لقد بدأ تمرّد العبيد في الأخلاق بهذا الأمر، ألا وهو أنّ **الاضطغان**[7] نفسه قد صار خلاّقا وولّد قيماً: الاضطغان الذي يحرّك ذلك النوع من الكائنات التي حُرمت من ردّ الفعل الحقيقيّ، ردّ الفعل الذي يكون فعلا، والتي لا تجد من

1 – Intoxikation

2 – verpöbelt sich من der Pöbel – الرعاع.

3 – باللاتينية في النص: "في الأمر نظر"

4 – Freigeist. – ويبدو أنّ هذا مقتبس عن العبارة الفرنسية: "libre penseur"

5 – يشير شرّاح نيتشه إلى أنّ هذه على الأغلب إشارة إلى المفكّر الفرنسي جان ماري غيو (Guyau). لكنّ المهمّ هو تنبيه نيتشه إلى أنّه لا يكفي أن نرفض الدين باسم "الوقائع" المزعومة حتى نصبح "عقولا حرة"، إذ أنّ ذلك يتطلب تفكيرا جذريا يطال أساس القيم بإطلاق، تلك القيم التي لا تكون الوقائع غير انفعالات سطحية لها. را: المقالة الثالثة.

6 – يستثمر نيتشه هنا وجه الصلة بين "zuhören" (أصغى وأنصت) وبين "hören" (سمع ووعى ما قيل له). فقد يصغي المرء ولا يسمع، خاصة إذا كان المقول صمتاً.

7 – das Ressentiment

عزاء إلاّ في ثأر خياليّ. وفي حين أنّ كلّ أخلاق نبيلة إنّما تنبثق من قول-نعم لنفسها بشكل منتصر، تبدأ أخلاق العبيد بقول لا لـ"خارج ما"، لـ"آخر ما"، لـضرب من "عدم-النفس"[1]: وهذه [271] الـ"لا" هي فعلها الخلاّق. هذا الانقلاب في النظرة الواضعة للقيم - هذا التوجّه **الضروري** نحو الخارج بدلا من التلفّت نحو الذات- إنّما يدخل تحديدا في صلب الضغينة: إذ كي تنشأ إنّما تحتاج أخلاق العبيد دائمًا وأوّلاً إلى عالم مضادّ وعالم خارجي، ومتى تكلّمنا بشكل فزيولوجيّ، هي تحتاج عموما إلى مثيرات خارجية لكي تفعل - إنّ فعلها هو بالأساس ردّة فعل. وإنّ العكس هو ما يحدث عندما يتعلق الأمر بطريقة النبلاء في التقويم: هي تفعل وتنمو عفواً، وهي لا تبحث عن ضديدها إلاّ من أجل أن تقول لنفسها نَعَمْ أكثر عرفانا وأكثر ابتهاجا، - وليس مفهومها السالب من جنس "الوضيع" و"العامّي" و"اللئيم"، إلاّ وهو صدى باهت ومتأخّر النشأة بالنظر إلى مفهومها الأساس، الموجب، المتشرّب في أعماقه حياةً وشغفاً، "نحن النبلاء، نحن الأخيار، نحن أصحاب الجمال، نحن السعداء!" فإذا ما نَبَا نمطُ التقويم النبيل عن نفسه وتعدّى الواقع، فإنّ ذلك يحدث بإزاء دائرة **ليست** بمعروفة لديه كفايةً، بلى ضدّ دائرة هو يمنع نفسه منعاً وينفر نفورًا من معرفتها حقّ المعرفة: وفي بعض حالاته هو يجهل الدائرة التي يحتقرها، دائرة الرجل[2] العامّي والشعب الوضيع؛ وعلى المرء، من جهة أخرى، أن يأخذ في الاعتبار أنّ شعور الاحتقار والنظرِ من علٍ ونظرةِ الاستكبار، متى فرضنا أنّه **يزيّف** صورة المحتقَر، سيظلّ أدنى بكثير من الزيف الذي يسلّطه الكرهُ المكظوم، ثأرُ العاجزين، على خصمه - طبعاً in effigie[3]. وفي الواقع، فإنّ في الاحتقار يتواشج كثيرٌ من الإهمال وكثيرٌ من الاستخفاف، كثيرٌ من عدم الاكتراث ونفاد الصبر، بل كثيرٌ من الشعور الخاص بالغبطة، حتى يكون في موقف عنده هو يحوّل موضوعَه إلى صورة مشوّهة رفزّاعة. وعلى ذلك ليس للمرء أن يغفل عن الـ nuances[4]، المتعطّفة تقريبا، التي تبثّها أرستقراطية يونان، مثلاً، في كلّ الألفاظ التي بها تتميّز عن الشعب الوضيع؛ كيف يتسرّب إليها دوماً ضربٌ من الإشفاق والمراعاة والمسامحة

1 - “zu einem” Nicht-selbst

2 - der Mann

3 - باللاتينية في النص: "تمثيلاً فحسب".- عادة تقوم على إقامة رسم عام (لوحة، عارضة) لمحكوم عليه، ثمّ إنزال عقوبة وهمية عليه.

4 - بالفرنسية في النص: "الفروق الدقيقة" أو الفوارق.

فإذا هي أشبه بالسكّر، حتى ينتهي الأمر إلى أنّ كلّ الألفاظ التي[272] يُشار بها إلى الرجل العامّي، هي قد بقيت في آخر المطاف بوصفها عبارات فوق الحاجة للإشارة إلى "شقيّ" أو "أهل للشفقة" (قارن مثلا δειλός[1]، δείλαιος[2]، πονηρός[3]، μοχθηρός[4]، وهذان الأخيران على الخصوص يصفان الرجل العامّي من حيث هو عبدٌ للعمل وبهيمةُ أثقال) – وكيف أنّ "اللئيم" و"الوضيع" و"الشقيّ" هي، من جهة أخرى، ألفاظٌ لم تكفّ في أذن يونان عن التصادي في رنّة واحدة، بجَرْسٍ حيث اللون الغالب هو "الشقيّ": ذلكم بعض ميراث من نمط التقويم الأرستقراطي القديم الأكرم محتِداً، الذي لا يتنكّر لنفسه حتى عند الشفقة – وليذّكر فقهاء اللغة في أيّ معنى كانت مستعملة كلمات من قبيل οἰζυρός[5]، ἄνολβος[6]، τλήμων[7]، δυςτυχεῖν[8]، ξυμφορά[9]). إنّ "كرماء النسب"[10] إنّما **يشعرون** تحديدا بأنّهم "السعداء"؛ وليس عليهم أن يصنعوا سعادتهم تكلّفاً وهم يختلسون النظر إلى أعدائهم، وليس عليهم، كما في بعض الأحيان، أن يقنعوا أنفسهم بذلك أو **يكذبوا** كِذّاباً (كما تعوّد أن يفعل كلّ أصحاب الضغينة)؛ كذلك هم لم يكونوا يعرفون، بوصفهم أناساً كَمُلُوا وبالقوّة طفحوا وكانوا **بالضرورة** فاعلين، كيف يفصلوا السعادة عن الفعل، - أن يكون المرء فاعلا إنّما كان يُحتسَبُ عندهم في أمر السعادة ضرورةً (ومن هنا أخذت عبارة εὖ πράττειν[11] مصدرها)- وهل كلّ ذلك إلاّ بعين الضدّ من "السعادة" التي على طبقة العاجزين والمقموعين والمتقرّحين الرازحين تحت المشاعر المسمومة والمضمرة العداء، الذين لا تأتي السعادة إليهم إلاّ خَدَراً وذهولاً

1 – deilos – بائس.

2 – deilaios– في بؤس وخصاصة وفاقة.

3 – ponèros – مثقل بالعبء والأذى أو الأشياء الرديئة.

4 – mochthèros – الذي يتألّم ويتوجّع أو سقيم.

5 – oizyros – المتذمّر، الكثير الشكوى.

6 – anolbos – الشقيّ.

7 – tlèmôn – الجلد، الصبور، البائس

8 – dystychein – بائس، في فاقة وأذى

9 – xymphora– حادثة، مصيبة

10 – “die” Wohlgeborenen

11 – eu prattein – نجح في عمله، أفلح في مسعاه، أتقن صنعته.

وسكونًا وسَلْماً و"سَبْتاً"[1] واستجمامًا للروح ومدًّا للأعضاء، وباختصار هي لا تأتيهم إلاّ **انفعالاً**[2]. وبينما يعيش الإنسان النبيل ممتلئ الثقة بنفسه مستقيماً (γενναῖος فإنّ "كريم النسب"[3] لفظة توكّد على الـ nuance[4] التي في "المستقيم"[5] وربما في "الساذج")، إذْ أنّ صاحب الضغينة لا هو مستقيم ولا هو ساذج، ولا هو صادق مع نفسه أصلا. إنّ نفسه **حولاء**؛ وإنّ روحه لَتُحبّ الأوكار والطرق الملتوية والأبواب الخلفية، وكلُّ ما هو خبيئ يعجبه باعتباره عالمه وأمانه ومشفاه؛ إنّه يحسن الصمت وعدم النسيان والانتظار، وكيف يصغّر نفسه لبعض الوقت وكيف يستكين. إنّ هكذا عرقاً بشريّا [273] جعل من الضغينة خاصّته سوف يكون بالضرورة **أكثر تعقّلا**[6] في نهاية الأمر من أيّ عرق نبيل، بل هو سوف يمجّد التعقّل[7] بمقياس آخر تماما: أعني باعتباره شرطا للوجود من الدرجة الأولى، والحال أنّ التعقّل لدى الإنسان النبيل إنما يحمل في نفسه شيئا من الحسّ المرهف بالترف والتهذيب: - فهو في جوهره أقلّ ما يكون أهمّية عن الاشتغال المأمون للغرائز المعدّلة **اللاّواعية** أو حتى عن عدم التعقّل[8]، من قبيل الاستبسال والجراءة، أكان ذلك على الخطر أم كان على العدوّ، أو تلك الوثبة الحميّة من غضب أو حبّ أو عرفان أو ثأر، تلك التي بها تميّزت النفوس النبيلة في كلّ زمان. إنّ ضغينة الإنسان النبيل ذاته، متى طرأت عليه، إنّما شأنها أن تحدث وتنطفئ في محض انفعال وعلى عجل، فهي بذلك لا **تسمّم** [أحدا]: بل هي في ذات المرار لا تطرأ أصلا، حيث ما هي عند الضعفاء والعُجّز شيءٌ لا يمكن دفعُه. ألاّ يستطيع أحدٌ أن يأخذ أعداءَه وهزائمَه وحتّى مساوئه مأخذ الجدّ لمدّة طويلة - تلكمُ أمارةٌ على الطبائع العارمة والتامّة، تلك التي تفيض منها قوّة تشكيليّة، متجدّدة، شافية، وحتى باعثة على النسيان[9] (وإنّ أفضل مثال على ذلك من العالم الحديث إنّما هو

---

1 - "Sabbat"

2 - passivisch

3 - "edelbürtig"

4 - بالفرنسية في النص: الفرق اللطيف، الفارق، الميزة الفاصلة

5 - "aufrichtig"

6 - *klüger*. أكثر تعقّلا في معنى سلبي.

7 - Klugheit

8 - Unklugheit. عدم التعقل في معنى موجب أقرب إلى الإقدام والمضيّ في الأمر والعزم عليه. **قارن: ما وراء الخير والشر**، § 191، حيث تقع المقابلة بين سقراط والأرستقراطيين الأثينيين.

9 - عن النسيان انظر: المقالة III، §§ 1 - 3.

ميرابو[1]، الذي لم تكن له ذاكرةٌ للشتائم والإهانات التي يقترفها الناس في حقّه، والذي لهذا السبب عينه لا يمكنه أن يصفح، من أجل أنّه - قد نسي). إنّ إنساناً هذه شاكلته إنّما شأنه أن ينفض عنه بدَفعة واحدة كثيرا من الهوامّ التي لدى غيره من الناس تنتقش فيهم انتقاشا؛ وإنّما هنا فحسب يكون ممكنا، متى فرضنا على العموم أن يكون ممكنا على الأرض، "**أن يحبّ** المرء أعداءَه"[2] حبّا صميماً. أيّ قدر من المهابة يكنّ الإنسان النبيل لأعدائه!- وهل هكذا مهابة إلاّ جسرٌ للمحبّة... فإنّما هو يطلب عدوّه لنفسه، كما تميّز يخصّه، إذ هو لا يحتمل أيَّ عدوّ آخر غير ذاك الذي لاشيء فيه يُعابُ أمّا ما يُجلّ **فكثيرٌ**! والآن لنتمثّل "العدوّ" كما تصوّره إنسانُ الضغينة – [274] فإنّما هاهنا مفخرته واختراعه الخاص: لقد ابتكر مفهوم[3] "العدوّ الشرّير"، "**الشرّير**"، وعلى الحقيقة بوصفه المفهوم الأساسي، الذي منه انتحل أيضا، نسخةً منه ونقيضاً له، "خيّراً" ما- هو نفسه! ...

.11

تماماً بعين الضدّ ممّا هو الشأن لدى النبيل، الذي يتصوّر "الكريم"[4] قبلاً وعفواً، بمعنى من ذات نفسه، ثمّ من بعدُ فحسب هو يخلق لنفسه تمثّلا ما عن "اللئيم"! هذا "اللئيم" ذو الأصل الأرستقراطي وهذا "الشرّير" المخلوط في مرجل الكراهية التي ليس لظمئها مَسدّ - الأوّل ابتكارٌ يُلحق إلحاقاً، أمرٌ جانبيّ، لونٌ مكمّل، أمّا الثاني فهو الأصلُ، البدءُ، **الفعلُ** الصميمُ في تصوّر أخلاق العبيد - كم هما متباينان هذان اللفظان: "اللئيم" و"الشرّير"، اللّذان يقابلان في الظاهر عين المفهوم: [الرجل] "الخَيْر"! لكنّ الأمر لا يتعلّق بمفهوم "الخَيْر" نفسه: فالأرجح أن يسأل المرء، بعين الضدّ من ذلك، **من هو** "الشرّير" على الحقيقة، في معنى أخلاق الاضطغان.وبكلّ صرامة علينا أن نجيب: هو **بالتحديد** [الرجل] "الخَيْر" في الأخلاق الأخرى، بالتحديد هو النبيل، القادر، السائد[5]، إنّما مفسوخ اللون فحسب، محرّفاً عن معانيه فحسب، متفرّساً فيه فحسب، عبر العين السامّة للاضطغان. ثمّة هنا شيء واحد نريد أن نكون آخر من ينكره: من لم يتعلّم

1 – Mirabeau.

2 – قارن مع: ما وراء الخير والشر، § 216.

3 – concipirt

4 – "gut"

5 – der Herrschende

أن يعـرف هـؤلاء "الأخيار" إلاّ أعداءً، هـو لم يتعلّم أن يعرف إلاّ **أعـداءً أشراراً**، وهؤلاء القوم[1] أنفسـهم، الذين لَشَـدَّ مـا هُـمْ، inter pares[2]، مقيّدون بالعادات[3] والـبرّ[4] والعرف والعرفان، وأكثـر من ذلك بالاحتراس مـن بعضهم، بالغيرة والحميّة، والذين هم، من جهة أخرى، يثبتون كمْ هُمُ، في سلوكهم إزاء بعضهم البعض، حذّاقٌ في المراعاة والسيطرة على النفس والشعور باللطف والوفاء والفخر والصداقـة، - هؤلاء همْ، فيما خرج عن ذلـك، هاهنا حيث يبدأ الغريب، حيث يبدأ الـغرباء، ليسـوا أفضل بكثير من الوحوش الضارية[5] فُكّت قيودها.هاهنا هـم يتمتّعون بالحرّية مـن كلّ إكراه اجتماعي، هم يتعـزّون بالغابة المقفرة عن التوتّر الذي [275] يسـبّبه سَـجنٌ وحبسٌ طويل في سـلام الجماعة[6]، هم يرتدّون **عودا على بدء** إلى البراءة التي في ضمير[7] - الوحش[8]، مثل جبابرة يمرحون، كأنّما انصرفوا على الأرجح من كوكبـة مقيتة من القتل والحرق وانتهاك الحرمات والتعذيـب، مع ضرب من الغرور الماجن واتّزان النفس، كما لو كان ذلك لا يعدوا أن يكون شـيئا من عبث الطلبة، وهم على قناعة من أنّ الشـعراء قد بات لديهـم مرة أخرى، ولأمـد طويل، شيءٌ ما يتغنّون بـه ويمجّدون. وفي عمق جميع هـذه الأعراق النبيلة، ليس لأحـد أن ينكر الوحش الكاسر، **الدابّة الشقراء**، الرائعة، الشرود، المتعطّشـة للغنيمة والانتصار؛ وبـين الفينة والأخرى يحتاج هذا العمـق الدفين إلى شيء من الانفجار، فلابدّ للحيوان أن يطلّ برأسـه مرة أخرى، لابـدّ أن يعـود إلى القفار الموحشـة من جديـد: - أكان النبلاء رومـاً أم عرباً، جرمانـاً أم يابانيـين، أكانوا أبطـالا هوميريين أم فيكنغ إسـكاندينافيين- في هكذا حاجة هُمُ كانوا سـواء. الأعراق النبيلة، هي تلك التي تركت مفهومَ

1 - Menschen

2 - باللاتينية في النصّ وتعني العبارة "بين الأنداد" أو "بين النظراء" أو "بين المتساوين".

3 - Sitte

4 - Verehrung

5 - قارن: الفقرة 13. ويرجّح شرّاح نيتشه أنّ نموذج الوحش لدى نيتشه هو الأسد. راجع: "التحوّلات الثلاثة" في حدث زرادشت قال.

6 - Gemeinschaft

7 - لفظة "الضمير" ساقطة في ترجمة : غاليمار 1971 : 40.

8 - die Unschuld des Raubthier- Gewissen. علينا الإبصار بالتقابل الذي يصرّفه نيتشه بين "ضمير الوحش" المرح والبريء والعابث والأرستقراطي والسطحي والعفوي وبين ضمير العبد المتنكّر أو الدفين المستبطَن في الضغينة والشعور بالذنب. قارن: **الفجر**، § 429.

"البربـري"[1] على جميع آثارها، أينما ذهبت؛ بـل في أوج تحضّرها إنّما يفضحها وعيٌ بذلك وحتى كبرياءُ (كمثل قـول بريكلاس إلى الأثينيين، في ذلك التأبين الشـهير: " إلى كلّ بلد وبحر شقّت لنا جرأتُنا طريقاً، وبكلّ أرض كان لنا في المعروف وفي المنكر[2] معالـمُ لا تبلى"). "جرأةُ" الأعراق النبيلة، وهي لعمري جرأة مجنونـة، عابثة، خاطفة، كما تعبّر عن نفسـها، وما لا يُتوقَّـع وما لا يُصدَّق في ما تأتي من أفعال جسـام – وبريكلس قـد خصّ بالذكر ῥαθυμία[3]/"راثيميا" الأثينيين- عدم اكتراثهم واسـتخفافهم بالأمن والجسد والحياة والترف، الصفاء المفـزع وعمق اللذّة في كلّ دمار، في كلّ اسـتمتاع بالنصر وبالقسـاوة- كلّ ذلـك يُردّ عند **الذين**[4] يألمـون إلى صورة "البربريّ"، و"العـدوّ الشرّير"، كحال "القـوط"[5] و"الوندال"[6]. إنّ الذعر العميق والجليديّ الذي يثيره الألمانيّ ما إنْ يأت إلى السـلطة، كما هـو الحال اليومَ مرة أخرى- إنّما هـو دوماً رجعٌ [276] لتلك الرهبة التي شـهدتها أوروبا قروناً عدداً من هَوَج الدابة الجرمانية الشقراء (وإنْ لا يـكاد يوجد بين الجرمان القدامى ونحن الألمان قرابـة في المفهوم، فما بالك في قرابة الدم). وقد نبّهت في موضع آخر[7] على تردّد هزيود، حين ابتدع تعاقب عصور الحضارة وحاول أن يعبّر عنها بالذهب والفضة والحديد[8]: هو لم يعرف كيف يأتي عـلى التناقض الـذي يرنو من عالم هوميروس، عالم رائـع ولكن جدٌّ مروّع وجدٌّ جائـر، إلاّ بأن جعل من عصر واحد عصريْن، ثمّ عَقّـب أحدَهما بالآخر تَتْرَى – فمرّةً عـصر الأبطال وأنصاف الآلهة من طروادة وطيبـة، كما ذلك العالم الذي ترسّـب في ذاكرة الأعراق النبيلة، التي كانت ترى فيهم أسلافها الأقدمين؛ ثمّ

1 – يستعمل نيتشه مصطلح "البربري" للإشارة إلى نمط الحياة البدائي الذي مرّت به جميع الشعوب في أوّل أمرها: حالة النمط الأرستقراطي، أي الوحش البشري أو الدابة أو الحيوان الحر والفجّ والبريء من كلّ تقويم خلقي لاحق. ولذلك فالبربري يكاد يرادف الغريزي أو الطبيعي أو البدائي وعموما كلّ ما هو سابق على تخلّق الأخلاق وظهور الإنسان الأخلاقي. في البدء كان البربريّ في كل مكان. قارن: **ما وراء الخير والشر**، § 257.

2 – im Guten und *Schlimmen*

3 – rhathymia – "راثيميا" أي خلوّ البال وصفاء المزاج ورخاوة النفس.

4 – *Die*

5 – Goth

6 – Vandale

7 – المقصود هو **كتاب الفجر**، § 189.

8 – هزيود، **الأعمال والأيام**، البيت 143 وما بعدها.

عصر المعادن، أي هذا العالم نفسه، كما كان يظهر لسلالة الذين استُضعفوا ونُهبوا ونُكّل بهم واستُجلبوا وبيعوا بيعاً؛ وكما عصرٌ من حديد، مثلما قيل، صلدٌ، صَقِعٌ، قَسِيٌّ، لا رأفة له ولا ضمير، ساحقٌ كلَّ شيء سحقاً ومُخضِّبٌ بالدم كلّ شيء تخضيباً. لنفرض أنّ ذلك كان حقّا، وعلى كلّ هو شيء يُعتقَد اليوم أنّه "حقّ"، أنّ **معنى كلّ ثقافة** هو أن تستنبت من الحيوان "البشريّ" المتوحش حيواناً أليفاً متمدّناً، **حيوانا داجناً**[1]، وبلا ريب قد يجب علينا أن نأخذ كلّ غرائز الارتكاس والاضطغان، تلك التي استُعملت في إلحاق العار بالأعراق النبيلة ومُثُلِها العليا ودحرها، باعتبارها **أدوات الثقافة** الحقيقيّة، على أنّ ذلك لا يعني بعدُ أنّ **حاملي** [تلك الغرائز] هم أنفسهم يمثّلون الثقافة. وعلى الأرجح فإنّ العكس ليس فقط أقرب إلى الظنّ- كلاّ! إنّه اليوم **واضح للعيان**! أولاء حمّالو الغرائز التي تنقض الظهر وتحدوها شهوة الثأر، سلالة كلّ عبوديّة، أوروبية كانت أم غير أوروبيّة، كلّ الشعوب[2] قبل الآريّة على الخصوص- إنّما يمثّلون **تخلّف** الإنسانية! إنّ "أدوات [277] الثقافة" هذه إنّما هي وصمةُ عارٍ للإنسان، وبالحريّ هي تهمةٌ، حجّةٌ ضدّ "الثقافة" بعامة! قد يكون المرء على حقّ في ألاّ يكفّ عن الخوف من الدابّة الشقراء التي في أعماق كلّ الأعراق النبيلة وأن يأخذ حذره: ولكن من لا يودّ أن يخاف مائة مرّة، إذا قُدّر له أن يستحسن ذلك، بدلاً من **ألاّ** يخاف[3] ولكن لم يعد يستطيع أن يفلت من المنظر القَزَز لكلّ من أخفق في مسعاه واستُصغرت نفسه وذبل في منبته وخُدّر تخديرا؟ أوليس هذا عاقبتنا[4]؟ ما سبب اشمئزازنا اليومَ من "الإنسان"؟ - إذْ أنّنا **نعاني** من الإنسان، ليس في ذلك شكّ. - **ليس** ذلك بالخوف؛ بل على الأرجح، أنّه لم يعد لدينا شيءٌ يجعلنا نخاف من الإنسان؛ أنّ الدودة "إنسان" قد أخذت الصدارة وغصّت بها الأرض؛ أنّ "الإنسان الأليف"، العاديّ، المُضجر، الميؤوس منه، قد تعلّم بعدُ كيف يفاخر بنفسه وكأنّه هدفٌ وقمّة، وكأنّه معنى التاريخ، وكأنّه "الإنسان الأعلى"[5]- أنّه يملك بعض الحقّ في أن يفاخر بنفسه على هذا النحو، وذلك بقدر ما يشعر أنّه على مسافة من زحمة

---

1 – ein *Hausthier*

2 – Bevölkerung

3 – عن هذا المعنى التقويمي للخوف، قارن: ما وراء الخير والشر، § 201.

4 – das Verhängniss

5 – "als "höheren Menschen. هو نوع الإنسان الحديث الذي يزعم أنّه غاية التاريخ وأنّ التاريخ قد انتهى على يديه أو عند قدميه، كما نظّر له هيغل على الخصوص.

الفاشلين والمرضى والذين سئموا وخمدت روحهم، أولاء الذين بدأت أوروبا تشمّ اليومَ نُتْنَهم، ومن ثمّ بأنّه على الأقلّ لائق بعض الشيء، على الأقلّ مازال قادرا على الحياة، على الأقلّ من الذين قالوا للحياة نعم...

.12

- لن أكبت في هذا الموضع زفرةً وأملاً أخيرا. ولكن ما الشيء الذي هو عندي أنا بخاصة لا يُحتمَل تماما؟ ما يكون ذاك الشيء الذي لا قِبَل لي به أبداً، ما الذي يشدّ على حلقي ويجعلني صَدِيًا؟ الهواء العفن[1]! الهواء الوَخِم! أنّ شيئا شَوَهاً قد أتى إلى جواري؛ أنّ عليّ أن أشتمّ أحشاء نفس شَوْهاء! ... إذْ ما الذي لا يحتمله المرء فيما عدا ذلك من شدّة وعَوَز وجوّ عبوس[2]وسقم[3] وعناء وعزلة؟ في الحقيقة، للمرء طاقةٌ على كلّ ذلك، متى كان قد وُلد من أجل وجود بعيد [278] الغور ومحارب؛ فشأن المرء أن يعود دوماً من جديد إلى وضَح النور، شأن المرء أن يعيش دوما من جديد ساعته الذهبيّة وأن ينتصر، - ومن ثمّ أن ينتصب هناك، كما وُلد، غَير قابل للانكسار، متوتّرا، متأهّباً للجديد، للأمر الأعسر والأبعد، كما قوسٌ لا تزيدها الشدّة إلاّ انتصاباً.- ولكن جودوا عليّ بين الفينة والأخرى – متى فرضنا أنّ هاهنا ربّات تحمينا، ما وراء الخير والشرّ- بنظرةٍ، جودوا عليّ بنظرةٍ واحدة فقط على شيء مكتمل، لائق تماماً، سعيدٍ، مقتدر، منتصر، حيث لازال شيءٌ ما ينبغي خشيتُه! جودوا عليّ بنظرةٍ على إنسانٍ يبرّر الإنسان، على حُسْن طالع للإنسان، متمّم له ومخلّص، بفضله يمكننا أن نحافظ على **الإيمان بالإنسان**! ... كذا هو الأمر: إنّ تصغير الإنسان الأوروبي وتسويته على سمت واحد لينطوي على **أكبر** الأخطار، ذلك بأنّ هذا المنظر مَتْعَبةٌ للخواطر[4]... نحن لا نرى اليومَ شيئاً يريد أن يصير أعظمَ من نفسه، ونحن نتوجّس الأمر يسير حَدَراً، ولا يزال حَدَراً، نحو شيء أرقّ وأطيب وأرزن وأكثر ترفاً[5] وأكثر عاميّةً وأقلّ اكتراثا، شيء صينيّ أكثر ومسيحيّ أكثر فأكثر –

1 – بالمعنى الحرفي: " هواءٌ سيّءٌ" (schlechte Luft) .

2 – das böse Wetter

3 – عن معنى "السقم" (das Siechtum) الذي يُقعد المرء ويؤدي إلى "التشاؤم" الدفين، وليس فقط "المرض" بعامة (Krankheit)، قارن: المعرفة المرحة، § 3.

4 – قارن" المقالة، III، § 26؛ ما وراء الخير والشر، § 10.

5 – behaglicher. لفظة ساقطة في ترجمة: غاليمار 1971: 44.

الإنسانُ، ليس في ذلك شكٌّ، إنّما شأنه أن يصبح دائما "أفضل"... هاهنا يكمن قدر أوروبا المحتوم- مع الخوف من الإنسان، نحن فقدنا أيضا محبّة الإنسان، وتهيّبَ حرمته، والرجاءَ فيه، بل وإرادتَنا له. ألا إنّ بنا سأماً من منظر الإنسان – وما هي العدميّة[1] اليوم، إن لم تكن **هذا**؟... لقد سئمنا **من الإنسان**...

.13

– وعلى ذلك فلنعد إلى ما سبق: إنّ مشكل الأصل **الآخر** للـ"خيّر"، للخيّر كما تخيّله إنسانُ الاضطغان، إنّما يريد حلاّ.[2] – أجل، أنّ للحُملان[3] حَنَقاً على كبار الجوارح [279]، فذلك ما لا يُستغرَبُ: بيد أنّه ليس من سبب أبدا لأنْ نؤاخذ الجوارح على خروجها في طلب الحُملان.وحينما تقول الحُملان فيما بينها "هذه الجوارح شرّيرة؛ أمّا من هو أقلّ ما يكون طيرا جارحا، بل بعين الضدّ منه، هو حَمَلٌ، – ألا يجب أن يكون خيّراً؟"، فإنّه ليس ثمّة ما يُلام على أن يُشيّد هكذا مثل أعلى، سوى أنّ الجوارح سوف تنظر إلى كلّ ذلك سُخريّاً، وربما قالت في نفسها: "أبداً ليس بنا حَنَقٌ عليها، تلكم الحُملان الطيّبة[4]، بل نحن نحبّها: فليس أشهى مذاقًا من حَمَل طريّ." أن نطلب من القوّة **ألاّ** تظهر في مظهر القوّة، **ألاّ** تريد أن تكون غلبةً واستيلاءً وسؤددًا، ألاّ تكون ظمأً إلى الأعداء، مقاومةً وانتصاراً، إنما هو أمرٌ عجابٌ، كمثل أن نطلب من الضعف أن يتبدّى في هيئة القوة. إنّ قَدْراً من القوّة هو بعينه هكذا قَدْرٌ من الغريزة والإرادة والفعل- وبالحريّ فهو ليس شيئا آخر غير هذه الغريزة بعينها، هذه الإرادة، وهذا الفعل، وهل كان ذلك إلاّ من فتنة اللغة (والضلالات الكبرى للعقل المتردّمة فيها)، تلك التي تفهم وتسيء فهمَ كلّ فعل بوصفه مشروطا بفاعل ما، بـ"ذات"[5] ما.

---

1 – قارن" التصدير، § 5.

2 – هنا يأتي نيتشه إلى الفحص عن الرابع من المفاهيم التي كوّنت عنوان المقالة الأولى: بعد استكشاف معاني "الكريم" و"اللئيم"، وبعد بيان معنى "الشرّير"، جاء دور مفهوم "الخيّر".

3 – علينا إبصار التقابل بين الحملان (أخلاق العبيد) والجوارح (أخلاق الأسياد): بين إرادة الثأر السالبة التي تنفي قدرتها على الوجود وإرادة الاقتدار الموجبة التي تثبت للحياة. والاضطغان هو التفكير في إرادة اقتدار القوي (أنّ الطير الجارح يريد فريسته) بوصفها كرهاً (أنّ الطير الجارح يحقد على فريسته)، أي وصف القوي في معجم الضعفاء.

4 – gut

5 – "Subjekt" – يجمع نيتشه في هذه اللفظة الخطيرة بين معنيين (وهو مغزى وضعها بين هلالين): بين معنى نحوي (الفاعل في الجملة) ومعنى فلسفي (الذات أي الأنا أفكّر المؤسّس

ومثلما أنّ الشعب يفصل البرقَ عن سناه ويرى في هذا السنا **عملاً**[1]، فعلاً قامت به ذاتٌ، تُسمّى البرق، كذلك أخلاقُ الشعب تفصل القوةَ عن مظاهر القوة[2]، وكأنّما وراء القويّ ثمّة جوهر[3] غير مكترث، هو **حرٌّ**[4] في أن يُظهر القوة أو لا يُظهر[5]. غير أنّه ليس ثمّة هكذا جوهر؛ ليس هاهنا من "كينونة"[6] وراء العمل[7] والفعل والصيرورة؛ لقد أُضيف "الفاعل"[8] إلى الفعل سبهللا، - فإنّما الفعل هو الأمر كلّه. وعلى الحقيقة فإنّ الشعب يضاعف الفعلَ، وإنْ يجعل البرق يسنو فذاك فعلُ-الفعل: إذ هو يأخذ عينَ الحدث تارة سبباً وطورا مفعولاً لذا السبب. ولا يفعل علماء الطّبيعة أفضل من ذلك متى قالوا "تحرّك القوةُ، وتتسبّب القوةُ في.." وما جانس ذلك، - فإنّ علمَنا برمّته، رغم كلّ برودته وتحرّره من المشاعر، إنّما لا يزال تحت فتنة اللغة[9] ولم يخلص من الربائب المدسوسة عليه، من قبيل "الذوات" (فإنّ الذرّة على سبيل المثال هي ربيبة من هذا الجنس، كما "الشيء في ذاته" الكانطي): أيّ عجب في أن تقوم مشاعر الثأر والكره، الكظيمة، المتوهّجة على نحو خفيّ، باستغلال هذا الإيمان لنفسها، حتى أنّها بالأساس لن تحافظ على أيّ إيمان بنفس الحرارة التي تحافظ بها على ذاك الذي يقضي بأنّ **القويَّ حرٌّ** في أن يكون ضعيفا، والطيرَ الجارحَ حرّ في أن يكون حَمَلاً: - كذا هي تكتسب لنفسها الحقَّ في أن تتّهم الطير الجارح بكونه طيرًا جارحًا...فحينما يأخذ الذين سيموا خسفاً وداستهم الأقدام وجار الناس عليهم، في نُصح أنفسهم، وهم يمكرون مكر العاجز وقد صدي إلى ثأره: "لنكنْ شيئا آخر غير الأشرار، لنكن خيّرين!" وخيّرٌ هو ذاك الذي لا يجور، ولا يؤذي أحداً، الذي لا يعتدي

لدلالة "الموضوع"). - عن نقد نيتشه للذات الحديثة (أنا، أنا أفكّر، أنا أدرك، ..) ولوهم المناطقة عن "الفاعل" أو "الموضوع". قارن: ما وراء الخير والشر، §§ 16-17.

1 - ein *Thun*

2 - الفصل بين القوة ومظهر أو مفعول القوة هو موقف العبيد والضعفاء. أن يعمد الضعيف للحكم على القوة بأنها خيالية أو قبيحة حتى يتحرر منها أو ينتصر عليها.

3 - ein Substrat

4 - *freistünde, freistehen*

5 - قارن: المقالة II، § 16؛ **أفول الأصنام**، VI.

6 - "Sein"

7 - قارن : **أفول الأصنام**، فصل "الأخطاء الكبرى الأربعة".

8 - "der Thäter"

9 - قارن : المقالة III، 24 وما بعدها.

ولا يقتصّ، والذي يكِل الثأر للربّ، ذاك الذي يقف مثلنا في الخفاء، يعدل عن طريق الشرّ وبعامة لا يبتغي من الحياة إلاّ نزراً، مثلنا نحن الصابرين، الخاشعين، الحاكمين بالعدل"- ذلك لا يعني على الحقيقة، متى أنصتنا إليه لا نلتفت لفت عصبيّة أو هوى، شيئا آخر غير هذا: " نحن الضعفاء ضعفاءٌ، كذا نحن[1]؛ فمن الخيْر لنا ألاّ نفعل شيئا، **لسنا له بأقوياء كفايةً**"- على أنّ هذه الواقعة المرّة، هذه الرصانة التي هي من أوضع الدرجات، والتي لا تعزب حتى عن الحشرات (التي يغلب الظنّ أنّها تتماوت حتى لا تفعل شيئا "فُرُطاً"[2]، متى ألمّ بها خطبٌ عظيم)، هي بفضل ما في العجز من تزييف وكذب على النفس، قد أخذت لبوسَ[3] الفخامة التي ترنو على فضيلة التنسّك، الصموت، ذات الأناة، كأنّما ضعف الضعيف ذاته - بمعنى **ماهيته**[4]، فعله، حقيقته[5] الوحيدة، التي لا مندوحة منها ولا مناص- قد كان صنيعاً أتاه طوعاً، شيئا مُراداً، مختاراً، **عملاً** يفخر به[6] و**فضلاً** عظيما[7]. هذا الرهط من البشر هو في **حاجة** إلى الإيمان بـ"ذاتٍ" تقف من الأمور على استواء[8]، حرّة مخيَّرة، وذلك بفعل غريزة البقاء وإثبات النفس التي بها تعوّدت كلّ أكذوبة أن تبرّر[9] نفسها. إنّما الذاتُ (أو في نحو أقرب إلى قالة الشعب، **النفسُ**[10]) ربّما كانت إلى حدّ الآن مبدأ الإيمان الأفضل على وجه الأرض، وذلك من أجل أنّه قد مكّن أغلب الفانين والضعفاء والقانطين على كلّ شاكلة، من هذا النحو الرائع من خداع النفس، الذي يتأوّل الضعف بوصفه حريّة، وأن يكون فلاناً[11] باعتباره **فضلاً** عظيماً[12].

---

1 - nun einmal

2 - "zu viel"

3 - kleiden

4 - das *Wesen*

5 - Wirklichkeit

6 - eine *That*

7 - der Verdienst

8 - indifferent

9 - heiligen – يلمّح نيتشه إلى معنيين: 1. تبرير النفس؛ و2. تنزيه النفس وتقديسها.

10 - die *Seele*

11 - So- und So-sein

12 - إنّ انتصار الضعفاء يكمن في ضخّ الشعور بالذنب في أنفس الأقوياء والزجّ بهم في بوتقة أخلاق العبيد وذلك بواسطة رطانة الاضطغان: دفع الكريم إلى استبطان عدوانيته في شكل

14[1]

- هـل يريد أحدٌ أن يجيل بصره في غيابة السرّ فيرى كيف يصنع الناسُ **المثل العليا** عـلى الأرض؟ هل من يجسُر على ذلـك؟ ... هيّا! إنّما هنا ينفتح البصر على تلك الورشـة[2] القاتمة. انتظرا لحظةً أخرى يا فضوليٌّ ويا مقدامُ: إنّ على عيونكما أن تتعـوّد عـلى هذا النور الـكاذب البرّاق ... هو ذاك! كفـى! تكلمّ الآن! ماذا يجري هناك في الأسـفل؟ قل ماذا ترى، يا صاحب الفضول الأشـدّ خطراً
- فالآنَ، **أنا** الذي سوف يصغي. -

- "أنا لا أرى شـيئا، على أنّني قد صرت أرهف سـمعاً. ثمّة همسٌ ووسـواس حـذر، ماكر، خافت، من كلّ ركـن وزاوية. ويبدو لي أنّهـم يكذبون؛ ثمّة دماثـة حلوة تعلق بكلّ نبرة. كَذَبونـا[3] أنّ على الضعف أن يصير فضلا عظيما، ليس في ذلك من شكّ- إنّ الأمر كما تقول."-

- ثمّ ماذا!

- "أن يصـير العجـز الـذي لا ينتقم "طيبـةً"[4]؛ والضـعةُ الرعديدة "خشـوعاً"؛ والخضـوعُ للذين بنا لهمَ كرهٌ، "طاعةً" (وعلى الأخـص لواحد يقال عنه إنّه يأمر بذا الخضوع، - يسـمّونه ربّاً). إنّ مسـالمةَ الضعيف، الجبـنَ عينه، الذي به أغنى، بقاءَه-على-البـاب[5]، أنّـه لا مناص له من أن ينتظر، إنّما يتّخذ هنا اسـما جميلا، من قبيل"الصبر"، بل قد يتسـمّى بـالـفضيلة[6]؛ ولا-يسـتطيع-أن-يثأر صار يعني لا-يريد-أن-يثأر، بل ربما حتى قد غفر ("فما كان لـهم أن يعلموا ما يفعلون- نحن وحدنا نعلم ما هم يفعلون!"[7]). كذلك يتحدّث الناس عن "حبّ المرء أعداءه"
- ويلقون من ذلك عرَق القِربة."

ضمير معذّب، حتى يقتنع في آخر المطاف بأنّه يكره نفسه أو غير قادر على محبة نفسه كما هو.

1 - قارن: **المعرفة المرحة**، §§ 151 و353؛ **الفجر**، § 62؛ **أفول الأصنام**، فصل "الأخطاء الكبرى".

2 - ورشة أو معمل الاستبطان العدمي للشعور بالذنب ولعبة الخطيئة والخلاص.

3 - umlügen

4 - die "Güte"

5 - sein An-der-Thür-stehen

6 - *die* Tugend

7 - من كلام المسيح على الصليب: لوقا 23، 24.

- ثمّ ماذا!

- "إنّهـم لفي بـؤس، ليس في ذلك من شـك، كلّ أولاء أصحاب الهُمَزة والزائفـين في خباياهـم[1]، وإنْ كانـوا معتكفـين بعضهم لبعـض حميم- بل هم يقولون، إنّ بؤسـهم كان خيرةً لهـم من الربّ وتمييزا، فالمـرء يضرب الكلب الذي هو أحبّ إلى نفسـه؛ ولعلّ هذا البؤس كان عُدّةً وبلاءً ومراناً، لعلّه كان أكثر - شيئا ما، سوف يُجزى به يوماً ويدرّ أرباحا ذهباً، كلاّ! بل يُصرَفُ له من الأجر السعادة. كذا ما يسمّى عندهم باسم "النعيم"[2]."

- ثمّ ماذا!

- "هـم بعثـوا نفسي عـلى الفهم بأنّهم ليس فقـط أفضلٍ من الأقوياء وأسـياد الأرض، الذين ينبغي أن يلعقوا لعابَهم (**وليس** ذلك خوفاً، أبدا ليس ذلك من خوف! وإنّما لأنّ الربّ يأمر بتمجيد كلّ سلطان[3])- أنّهم ليس فقط هم الأفضل، بل أنّهم "الفائزون"[4]، وأيًّا كان الأمر فشأنهم أن يكونوا الفائزين يوماً ما. ولكن قصاراك! فأنا لا أطيق لهذا احتمالا. أيّ هواء وخيم هذا! أيّ هواء وخيم! إذ يُخيّل إليّ أنّ هذه الورشة حيث **تُصنع المثل العليا** -إنّما يفوح منها كذبٌ صُراحٌ."

- كلاّ! مهلاً! فأنتم لم تقولوا بعدُ شيئا عن مأثرة أولاء أرباب السحر الأسود، أيَّ بياض وأيّ لبن وأيّة براءة من هذا الأسـود يصنعون: - هل رأيتم إلى كمالهم في التلطّف، وإلى لمسة الفنّان الأكثر اجتراءً والأشـدّ رقّـةً والأثرى روحاً والأعرض تكذابـاً[5]؟ أولاء حيوانات الأقبية تغصّ ثأراً وكرهاً - ماذا عسـاها تصنع من الثأر والكره خصوصاً؟ هل تناهى إلى أسماعكم يوما هكذا كلمات؟ هل كان ليدور في خلدكم يوما، لو عقدتم ثقتكم على كلماتهم فحسب، أنّكم توجدون بين ظهرانيّ أناس الاضطغان بأعينهم؟...

- "لقد فهمت، سأفتح أذنيّ مرة أخرى (آهِ! آهِ! آهِ! وأسدّ أنفي). ها أنا أفهم الآن ما قالوه قبـلُ ذات المـرار: "نحن الخيّرين- نحن **أولي العدل**"- فما يدّعون، لا يسـمّونه اقتصاصاً، بل

1 - Winkel-Fälschmünzer

2 - die "Seligkeit"

3 - Obrigkeit

4 - "besser hätten"

5 - lügenreichst

[283] "نصراً **للعدالة**"[1]؛ وما يكرهون، لا يسمّونه عدوّا، كلاّ! فهمُ يكرهون "**الظلم**"[2]، و"الكفر"[3]؛ وما يؤمنون به وما يرجون، ليس برجاء في الثأر، وترشّف لحلاوة الثأر ("أحلى من عسل"، كذا نعته هوميروس[4] من قبل)، وإنّما هو نصر الربّ، الربّ العادل على الكفّار؛ وما لهم بعدُ من شيء على الأرض يُحبُّ، ليس إخوانهم في الكراهية، بل "إخوانهم في المحبّة"[5]، كما يقولون، كلّ الخيّرين وأهل العدل على وجه الأرض."

- وكيف يسمّون ما يكون لهم عزاءً عن كلّ آلام الحياة- سراب[6] النعيم الآتي الذي سبّقوه لأنفسهم؟

- "كيف؟ هل سمعت جيّداً؟ إنّهم يسمّونه "يوم الحساب"[7]، يوم قدوم مملكتهم، "مملكة الربّ"، أمّا في **الأثناء**[8]، فإنّهم يعيشون "في الإيمان"، "في المحبّة"، "في الرجاء"[9].

- كفى! كفى!

.15

في الإيمان بمَ؟ في المحبّة لمَ؟ في الرجاء فيمَ؟ هؤلاء الضعفاء- إذ، يوماً ما، هم يريدون أيضا أنَ يكونوا الأقوَياء، ليس في ذلك من شكّ، يوماً ما، ينبغي أن

1- يزعم الضعفاء أنّ انتصارهم ليس لهم بل تحقيقا للعدالة: هنا ينقلب المثل الأعلى الذي يحاربون من أجله إلى معمل لصناعة الضعف: إرادة اقتدار لا تؤمن بنفسها. فتلجأ إلى مثل عليا بلا توقيع.

2 – das *''Unrecht''*

3 – "Gottlosigkeit"

4 – إشارة إلى: هوميروس، **الإلياذة**، النشيد XVIII، البيت 109.

5 – مثلا: رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي الأولى، 3: 12.

6 – Phantasmagorie

7 – "das" Jüngste Gericht

8 – يعوّل الإنسان الديني على "الآتي" بشكل مثير: إنّه لا يزال دوما في انتظار "اليوم الآخر" ولذلك فإنّ "الآخرة" كشكل ارتكاسي من المستقبل هي مزرعة الكاهن والمؤمنين به. وذلك في مقابل احتفاء النمط الأرستقراطي بدلالة "الماضي" أي دلالة "كرم الأصل" و"شرف النسب"... إنّه يريد أن يثبت شيئا يملكه، أمّا العبيد فإنّهم يريدون امتلاك ما لا يملكون: عالما آخر يكونون فيه في مأمن من سطوة الأسياد. لذلك هم ما فتئوا يخلقون أشكالا ميّتة من المستقبل.

9 – بولس، رسالة كورنثوس الأولى، 13، I.

تأتي "مملكتـ"ـهم أيضا- "مملكة الربّ"[1]، وهل كانت لتسمّى عندهم إلاّ كذا اسما، كما قيل: على المرء أن يكون في كلّ أمر خاشعا متضرّعا! ولو تعلّق الأمر بأن نجرّب[2] **ذلك** فحسب، لاحتاج المرء أن يعمّر[3] طويلا، فيما بعد الموت، - أجل، سوف يحتاج المرء إلى الحياة الأبديّة، حتى يمكن للمرء أن يتعوّض في "مملكة الرب" عِوَضًا أبديّاً عن هاته الحياة الأرضيّة "في الإيمان والمحبّة والرجاء". عِوَضاً عن ماذا؟... يُخيّل إليّ أنّ دانتي قد ضلّ ضلالا كبيراً عندما عمد، بسذاجة فظيعة مذهلة، إلى إثبات هذه النقيشة على باب الجحيم[4] "أنا أيضا خلقتني المحبّة الأبديّة"[5]: - على باب الفردوس المسيحي و"نعيمه الأبدي"[284] إنّما الأحقّ بأن يُثبَت هو على الأرجح هكذا نقيشة "أنا أيضا خلقتني الكراهية الأبديّة"- متى فرضنا أنّه يسوغ أن تنتصب حقيقةٌ على باب أكذوبة! ... إذْ ماذا يكون النعيم في هكذا فردوس؟ ... ربما بإمكاننا أن نحزره للتوّ؛ وعلى ذلك، من الأفضل أن نأخذ بشهادةِ سلطةٍ لا يُستهان بها في هكذا أمور، نعني توماس الإكويني[6]، العالم والقدّيس الكبير. "إنّ المنعّمين في مملكة السماء"، كذا يقول كحَمَلٍ وديع، "إنّما شأنهم أن يروا إلى آلام المعذّبين عسى أن يزيدهم ذلك نعيماً"[7]. أم أنّ المرء يريد أن يسمع، في نبرة أقوى، شيئا على لسان أب كنسيّ منتصر، يُثني مسيحيّيه عن المتع الفظة للمشاهد العمومية- ولكن لماذا؟ "ذلكم بأنّ الإيمان قد منحنا شيئا أكثر، - كذا يقول[8]، شيئا **أكثر قوّة**؛ وبفضل الخلاص تمثل تحت أمرنا مباهجُ أخرى تماما؛ وبدلاً عن الرياضيين، نحن لدينا شهداؤنا؛ فإذا أردنا دماً، فإذن لنا دمّ المسيح... ولكن أيّ شيء ينتظرنا يوم رجعته وانتصاره!"- ثمّ يستمرّ هذا العرّاف المفتون قائلا: "بيد أنّه ثمّة مشاهد أخرى: ذلك اليوم الآخر، الذي لا تنظره الأمم الوثنيّة وتأخذه سخريّاً، يوم تهلك هذه الأمّة من

---

1 - تبدو مملكة الرب بوصفها صيغة مقلوبة من الثأر الذي يقوم به الضعفاء ضدّ إرادة اقتدار الأقوياء. وذلك هو السياق الذي يتمّ فيه وصف الأقوياء بأنّهم "أشرار" في مقابل "الخيّرين" أي الضعفاء والمظلومين.

2 - erleben

3 - leben

4 - قارن: المقالة III، 10. وكذلك: **ما وراء الخير والشر**، §§ 37 و129.

5 - دانتي، **الكوميديا الإلهية**. الجحيم، النشيد الثالث. الأبيات 5-6.

6 - هذه المرة الوحيدة التي أحال فيها نيتشه على توماس الإكويني.

7 - باللاتيني في النصّ الأصلي:

" Beati in regno coelesti videbunt poenas damnatorum, *ut beatitudo illis magis complaceat.*" . Cf. Saint Thomas, *Commentaire sur le livre des sentences*. IV, L., 2, 4, 4.

8 - *De Spectaculis*, c. 29 ff.

النـــاس وأجيالها في نار واحدة. أيّ مشـــهدِ هولٍ يومئذ! **أيّ عجبٍ سيأخذني! أيّ ضحكٍ! يا متعتي! يا بهجتي**، إذْ أرى، **ملوكاً** شتّى، عُظّموا وأُلهوا، مع المشتري[1] ذاته، ومع أشهادهم، يئنّون سويّةً في ظلمات ليس لها غور! كما الحكّام (حكّام الأقاليم) الذين اضطهدوا اســم الربّ: سيســوخون في لهب قساوة أشدّ وقعا من تلــك التي بها قذفوا النصــارى. وكذا الفلاسـفة الحكماء، الذيــن قالوا بأنّ الأرباب ليس بها اكتراثٌ ببني الإنســان، وأنّ النفوس لم تكنْ شــيئا أو أنّها لن تعود إلى أجســامها أبدا، ســوف يتلفون وتحمرّ وجوههم خجلاً أمام أتباعهم من النار. كذلك الشعراء، ترتعد فرائســهم وليس ذلك أمام محكمة رادامانت[2] ومينوس[3]، بل أمام محكمة المسيح! عندئذ، يحسن سماع التراجيديين، إذ أصواتهم [285] تصدح بشقائهم أعلى فأعلى (إذ تحسن أصواتهم بقدر ما يزدادون صياحا)[4]؛ وإنّـــما عندئذ نعرف المهرّجين وقد خفّت نفوســـهُم من النـــار؛ وإنّما عندئذ تكونُ فرجةٌ على سائق العربة يحمرّ احمراراً في عجلة من لهيب؛ وإنّما عندئذ يكون تأمّلٌ في المصارعــين والرمـــاة، وليس ذلك في المضمار وإنّما في النـــار؛ على أنّني ليس بي رغبــة حتى في أن أراهم أحياء[5]، بل أن أرى إلى الذين أســـاؤوا إلى الربّ، مرأى **لا تشبع منه العين**." هوّذا، كما قلت، ابن الحدّاد والبغيّة (كلّ ما يلي هذا، وبخاصة هذه الإشـــارة التلمودية الشهيرة إلى أمّ يســـوع، يبيّن أنّ ترتوليان[6] بدءًا من هنا إنّما يقصد اليهود)[7]، ومدنّس الســبت، والسامريّ ومملوك الجنّ. وهذا الذي اشتريته مـــن يهوذا، والذي ضربته بالعصا واليد، ملطّخا في نُفاثتك، غُمّس في مِرّة وخلّ. وهذا الذي تلقّفه أتباعه سرّا حتى يكون مبعوثا، أو الذي زحزحه البستانيّ مخافةَ أن تدوس الراجلة على الطريق خسّاته. "فمن أجلِ أن ترى هكذا مشاهد، **وحتى تبتهج** أمام هكذا مشاهد، أيّ حاكم أو قنصل أو محاسب أو كاهن سوف يسدّ نفقتك؟... وعلى ذلك فهكذا مشاهد نحن نتوفّر بعدُ عليها بالإيمان، في العقل

---

1 – Jupiter

2 – Rhadamanti

3 – Minois

4 – جملة وضعها نيتشه بين قوسين.

5 – سجّل الشرّاح على نيتشه كونه أخطأ في رسم كلمة عند استشهاده بجملة هذا الفصل 30 من كتاب ترتوليان "ضدّ التمثيل والمثُلات"، إذ كتب "vivos" (أحياء) بدلا من "visos" (مرئيّين). كأنّ نيتشه قد زاد من حدّة ما قاله ترتوليان في كره اليهود؟ وهذا أمر مجانب للحقيقة لأنّ ترتوليان لا يريد أن يمنح اليهود مشهدا لا يملون منه بل يريد على العكس من ذلك أن يراهم هم، أكثر من الوثنيين، يتخبطون في ويلات الجحيم.

6 – Tertullian

7 – جملة وضعها نيتشه بين قوسين.

والمخيّلة. بقي أنّ هذه أشياء ممّا لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر (I. Cor. 2, 9). وأغلب الظنّ عندي أنّها أمتع من السيرك والمدرّجين (الصفوف الأولى والرابعة، أو حسبما قال آخرون، المسرحان الكوميدي منهما والتراجيدي) وكلّ الملاعب."-[1] per fidem[2]: كذا كان مكتوبا.

.16[3]

هيّا إلى الخاتمة. إنّ القيمتين المتضادّتين "كريم ولئيم"، "خيّر وشرّير" إنّما تصارعتا على الأرض صراعاً مخوفاً تطاول قروناً عددا؛ وعلى أنّ القيمة الثانية[4]

---

1 - النص اللاتيني الكامل هو:

"At enim supersunt alia spectacula ,ille ultimus et perpetuus judicii dies ,ille nationibus insperatus ,ille desirus ,cum tanta saeculi vetustas et tot ejus nativitates un oigne haurientur. Quae tunc spectaculi latitudo !*Quid admirer*! *Quid rideam*! *Ubi gaudeam! Ubi exultem*, spectans tot et tantos *reges*, qui in coelum recepti nuntiabantur, cum ipso Jove et ipsis suis testibus in imis tenebris congemescentes! Item praesides (..) persecutores dominici nominis saevioribus quam ipsi flammis saevierunt insultantibus contra Christianos liquescentes! Quos preaterea sapientes illos philosophos coram discipulis suis una conflagrantibus erubescentes, quibus nihil ad deum pertinere suadebant, quibus animas aut nillas aut non in pristina corpora redituras affirmabant! Etiam poïtàs non ad Rhadamanti nec ad Minois, sed ad inopinati Christi tribunal palpitantes! Tunc magis tragoedi audienti, magis scilicet vocales (..) in sua propria calamitate ; tunc histriones cognoscendi, solitiores multo per ignem ; tunc spectandus auriga in flammea rota totus rubens, tunc xystici contemplandi non in gymnasiis, sed in igne jaculati, nisi quod ne tunc quidem illos velim vivos, ut qui malim ad eos potius conspectum *insatiabilem* conferre, qui in dominum desaevierunt. "Hic est ille, dicam, fabri aut quaestuariae filius (..), sabbati destructor, Samarites et daemonium habens. Hic est, quem clam discentes subripuerunt, ut resurrexisse dicatur vel hortulanus detraxit, ne lactucae suae freqentia commeantium leaderentur." Ut talia spectes, *ut talibus exultes*, quis tibi praetor aut consul aut quaestor aut sacerdos de sua liberalitate praestabit ? Et tamen haec jam habemus quodammodo *perf idem* spiritu imaginante repraesentata. Ceterum qualia illa sunt, quae nec oculus vidit nec auris audivit nec in cor hominis ascenderunt ? (I. Co. 2, 9) Credo circo et utraque cavea (..) et omini stadio gratiora."

2 - باللاتينية في النص: "بالإيمان".

3 - قارن: **الفجر**، § 205؛ **ما وراء الخير والشر**، §§ 46، 52، 195، 251؛ **المسيح المضادّ**، §§ 24-27.

4 - يعني قيمة "الخيّر والشرّير": التميز الذي اخترعه الاضطغان وحوّله الكاهن إلى أخلاق للعبيد. وعلينا أن نبصر هنا بالتراتب الذي يلمّح إليه نيتشه: أنّ قيمة"الكريم واللئيم" هي الأولى والمؤسسة؛ أمّا قيمة "الخيّر والشرّير" فهي تابعة ومشتقة.

قد رجح ميزانها منذ أمد، فنحن لا زلنا إلى الآن لا نعدم أماكن حيث الصراع لا ينفكّ يصطرع دونها ضربة فيصل. بل للمرء أن يقول إنّه في غضون ذلك ما فتئ يُدفع به أعلى فأعلى على الدوام، فصار بذلك أشدّ عمقا وأثرى روحاً[1] على الدوام: بحيث [286] إنّه ليس ثمّة اليومَ، على الأرجح، من أمارة فاصلة على "**الطبيعة العليا**[2]"، على الطبيعة الأقرب إلى الروح[3]، مثل أن يكون المرء منقسما على نفسه في ذلك المعنى وعلى الحقيقة ساحةً وغًى لتلكم الأضداد. وإنّ رمز هذا الصراع، مكتوبا بخطّ ظلّ إلى حدّ الآن مقروءًا على مدى تاريخ البشر برمّته، إنّما اسمه "روما ضدّ يهودا، يهودا ضدّ روما":- لم يوجد إلى الآن حدثٌ أعظمُ من **هذا** الصراع، **هذا** الإشكال[4]، **هذا** التناقض المميت. شعرت روما أنّ في اليهوديّ شيئا مثل عكس الطبيعة ذاتها، شيئا من قبيل المسخ الذي هو لها ضديدٌ؛ وفي روما اعتُبر اليهوديُّ كائناً "**ثبتت إدانتُه**[5] بكره الجنس البشريّ في جملته"[6]: عن حقّ، بقدر ما يكون للمرء الحقُّ في أن يعقد خلاصَ الجنس البشريّ ومستقبلَه على الغلبة غير المشروطة للقيم الأرستقراطية، للقيم الرومانية[7]. فبم شعر اليهود إزاء روما؟ للمرء أن يحزر ذلك من ألف أمارة وأمارة؛ سوى أنّه يكفي أن يضع في البال سفر يوحنا عن **رؤيا نهاية العالم**[8]، تلك الأكثر استيحاشًا من كلّ ثورات النفس التي دُوّنت، التي يحملها الثأر عبءًا على الضمير. (بقي أنّه على المرء ألاّ يسيء تقدير الاتّساق العميق للغرائز المسيحيّة إذْ سجلت كتاب الكراهية هذا باسم حواريّ[9] المحبّة خصيّصاً، هو عينه الذي خصّته بذلك الإنجيل المفعم محبّةً وحماسةً-: هاهنا يوجد شيءٌ من الحقيقة، مهما كان حجم

---

1 – geistiger

2 – die "höhere Natur"

3 – geistiger

4 – Fragestellung

5 – *überführt*

6 – قارن: تاسيت (Tacite)، **الحوليات** XV، 44.

7 – هي معركة بين شعوب الاضطغان التي أقامت قوّتها على إفراغ نفسها من الحياة ووهبتها إلى "إله" ليس من هذا العالم وأهل الفعل الذين يريدون إثبات شكل الحياة الذي بحوزتهم كنمط من إرادة الانتماء الفظيع والفذّ إلى مستطاع أنفسهم الأقصى على الأرض أي الاقتدار المحض كنوع جذري من البراءة والصحة الكبرى. التقابل بين اليهود والرومان هو تأويلي إذن ونفساني وليس تاريخيا أو سياسيا. قارن: **المسيح المضاد**، §§ 24-25.

8 – die Apokalipse

9 – der Jünger

التزييف الأدبيّ ضروريّا من أجل هكذا غاية.) لقد كان الرومان هم الأقوياء والنبلاء، كما لم يكن أبداً أقوى وأنبل على الأرض إلى حدّ الآن، ولا خطر أبدا على نائم حلماً؛ كلّ بقية باقية منهم، كلّ نقيشة تسترق اللبّ، شريطة أن نحرز **ما** كان فيها منقوشا. أمّا اليهود فإنّما كانوا ذلك الشعب من الكهان، شعب الاضطغان par excellence[1]، الذي تسكنه عبقريّة أخلاقية-شعبيّة بلا مثيل: فحسبُ المرء أن يقارن الشعوب التي لها مواهب مجانسة، مع اليهود، من قبيل الصينيين أو الألمان، حتى يفقه ما الذي رُتْبَتُه الأولى وما الذي هي الخامسة. من الذي منهما [287] **انتصر** مؤقّتاً، روما أم يهودا؟ بيد أنّه ليس ثمّة أدنى شكّ: فلننظر أمام من يركع الناس اليوم في روما ذاتها، كما أمام جوهر القيم العليا- وليس في روما فحسب، بل يكاد يكون ذلك على نصف الأرض، حيثما أصبح الإنسان داجناً[2] أو يريد أن يصبح داجناً، - أمام **ثلاثة يهود**، كما نعلم، **ويهوديّة** (أمام يسوع الناصرة، والصياد بطرس والحائك بولس وأمّ المسمّى يسوع، المسمّاة مريم). إنّ هذا لأمرٌ عُجاب: إنّ روما ولا ريبَ قد غُلبت. أجل، كان ثمّة في عصر النهضة صحوةٌ رائعةٌ مهيبةٌ للمثل الأعلى الكلاسيكي[3]، لذلك النحو من التقويم النبيل لكلّ شيء: إنّ روما بذاتها تحرّكت، كمن يستفيق من موت ظاهر، تحت ثقل روما الجديدة، المهوّدة[4] التي بُنيت عليها، ترنو في منظر معبد[5] يلقي بضلاله على المعمورة[6] ويسمّى "كنيسة"[7]: لكنّ يهودا سرعان ما أخذت تنتصر مرة أخرى بفضل تلك الشاكلة من حركة الاضطغان (الألمانية والانجليزية) التي يعود أساسها إلى الرعاع[8]، التي نسمّيها الإصلاح[9]، بالإضافة إلى

1 - بالفرنسية في النص الألماني: "بامتياز".

2 - zahm

3 - علينا أن نأخذ هذا اللفظ بشكل موجب وحاسم: "كلاسيكي" هو كل تقويم نشط أعطى سلّما لقيم الحياة على الأرض، فهو إذن من اختراع النبلاء. كلاسيكي هو ما يخلق إرادة اقتدار ويسنّ إثباتا كبيرا للحياة.

4 - judaisirt

5 - Synagoge

6 - ökumenisch

7 - المقصود هو النهضة الإيطالية وخاصة شخصية سيزار بورجيا السياسي ورجل الحرب الكبير ابن البابا الكسندر السادس. انظر: **ما وراء الخير والشر**، § 197 حيث يُقدّم بوصفه نموذجا على الوحش الكاسر النبيل الطافح بالقوى الحية؛ وكذلك **المسيح المضاد**، § 61.

8 - pöbelhaft

9 - قارن: **المعرفة المرحة**، § 358. - ينتصر نيتشه كما هو منتظر للنهضة الإيطالية (الفن والنزعة

ما كان ينبغي أن ينجم عنها، من ترميم[1] الكنيسة، - وكذلك ترميم الصمت الجنائزي لروما القديمة. وفي معنى أكثر حسماً وأكثر عمقاً من ذي قبل، عادت يهودا مرة أخرى، مع الثورة الفرنسية، إلى الانتصار على المثل الأعلى القديم: فإذا بالنبالة السياسية الأخيرة التي كانت توجد في أوروبا، نبالة القرنين السابع عشر والثامن عشر **الفرنسيين**، تنهار تحت غرائز الاضطغان الشعبيّة،[2]- لم يحدث أبدا أن سُمِعَ على الأرض تهليلٌ أكبرُ وتحمّسٌ أكثر صخباً! صحيح أنّه أثناء ذلك قد حدث الأمر الجللُ الذي لا يمكن أن يُنتَظر: أنّ المثل الأعلى القديم ذاته قد برز **لحماً ودماً**[3] وفي بهاء لم يُسمع بمثله، على مرأى الإنسانية وضميرها، - ومرة أخرى، ولكن بشكل أقوى وأبسط وأنفذ من أيّ وقت مضى، وفي وجه الرهان[4] الكاذب للاضطغان على **فضل الأغلبيّة**، في وجه إرادة الحطّ من الإنسان وإهانته وتوطئته[5] [288] وانحداره وغروبه، دوّى الرهان المعاكس، المهيب والبهيج على **فضل الأقليّة!** وكما آخر سهم نحو السبيل **الأخرى** ظهر نابليون، ذلك الإنسان الأكثر فرادةً وآخر المواليد من جنسه، متى وُجدوا أصلا، وفي جعبته مشكل **المثل الأعلى النبيل في ذاته**، متجسّداً- وعلى المرء أن يتدبّر جيّداً أيَّ مشكل هو: نابليون[6]، هذه التأليفة من **اللا-إنسان وما فوق الإنسان**[7]...

الإنسانوية وثقافة الجمال وتهذيب الروح) ضدّ الإصلاح الديني (لوثر وثقافة الضمير). الأولى إحياء للقيم الأرستقراطية، في حين أنّ الثاني ضرب من تمرّد العبيد في الأخلاق: إعادة محورة الحياة حول الشعور بالذنب وقياس إرادة الاقتدار بواسطة تقنية الاضطغان.

1 – Wiederherstellung

2 – من المهمّ أن نعرف التقابل الذي يقيمه نيتشه بين روسو (الذي نعته نيتشه ذات مرة بأنّه "أوّل إنسان حديث، مثالي وسوقي" ورمز للثورة الفرنسية بوصفها ثورة العبيد في الأزمنة الحديثة) وفولتير (الذي يصفه نيتشه بأنّه "سيّد كبير للعقل" ومناضل ضد سلطة الكنيسة). قارن: **الفجر**، تصدير § 3؛ **أفول الأصنام**، "تسكّعات غير موافقة للعصر"، § 48؛ **هذا هو الإنسان**، فصل "إنساني، مفرط في إنسانيته".

3 – *leibhaft*

4 – Losung

5 – Ausgleichung

6 – قارن: **الفجر**، § 245.

7 – "اللاّإنسان" في معنى الغول الجبار. أمّا "ما فوق الإنسان" فلا يعني طورا يتخطى أفق البشر (كالملائكة أو الفضائيين) بل أقصى مستطاع الطبيعة الإنسانية، والتي لا نستعمل منها إلاّ الطبقة الكسولة: الإنسان الأخلاقي الذي سئم من الحياة. ولا يملك نيتشه مثالا واحدا على ما فوق الإنسان بل هو يتمثّل له بشخصيات عدة من قبيل نابليون ولكن أيضا ستوندال وشكسبير وبورجيا...

.17

- هل ولّى ذلك العهد وانقضى؟ هل أنّ هذا التضاد العظيم بين المثل العليا قد وُضع بذلك ad acta[1] إلى الأبد؟ أم أنّه قد أُجّل، قد أُجّل إلى أمد بعيد؟ ... ألا يجب أن تندلع يوماً ما شرارةٌ من الحريق القديم، أكثر رعباً، وأعدّ لها إعدادا طويلا؟ أفضل من ذلك: ألا يجدر بنا أن نتمنّى **ذلك** بكلّ قوانا؟ بل أن نريد ذلك؟ بل أن نفرض ذلك[2]؟... من بدأ عند هذا الموضع يشغل فكره، مثل قرّائي، بالذهاب في هذا التفكير قدماً، سوف يصعب عليه أن يبلغ نهايته قريباً، - إلاّ أنّها علّة كافية عندي كي أبلغ إلى النهاية، متى فرضنا أنّه قد صار مفهوما كفايةً منذ أمد طويل ماذا **أريد**، ماذا أريد على وجه الدقّة بهذا الرهان الخطير، الذي جسّدته في كتابي الأخير: "**ما وراء الخير والشرّ**"... وذلك لا يعني على الأقلّ "ما وراء الكرم واللؤم"[3].-

تنبيه. أنا أنتهز الفرصة التي وفّرتها هذه المقالة، كي أعبّر علناً وبشكل رسميّ عن أمنية لم أصرّح بها إلاّ في حوارات عارضة مع بعض العلماء: ألا وهي أنّه قد يجب على أيّة كلّية فلسفة أن تنال السبق، عبر سلسلة من المناظرات الأكاديمية، في تشجيع الدراسات في **تاريخ الأخلاق**: - ولعلّ هذا الكتاب يصلح أن يكون دفعا قويّا نحو هكذا وجهة. ربّ إمكانية قد نقترح لها السؤال التالي، الذي يستحقّ عناية فقهاء [289] اللغة والمؤرخين كما علماء الفلسفة الحقيقيين:

"أيّة إشارات يوفّرها علم اللغة، والبحث الاشتقاقي[4] على الخصوص، بالنسبة إلى تاريخ تطوّر المفهومات الأخلاقية؟"

- أمّا من غير هذه الجهة فمن الواجب أيضا أن نظفر بمشاركة الفزيولوجيين والأطباء في هذه المسائل (المتعلقة بـ**قيمة** التقويمات السارية إلى حدّ الآن[5]): على أنّه قد يمكن أن نذر فلاسفة المهنة يقومون، في هذه الحالة الخاصة أيضا، مقام الشفعاء

1 - باللاتيني في النص: "جانبًا"

2 - قارن: **المعرفة المرحة**، § 47. "إنّ أحفادنا سيكون لهم **توحّش أصيل** وليس فقط توحّش أو **انعدام ثقافة الأشكال**".

3 - "Jenseits von Gut und Schlecht"- اعتمدنا هنا الاسم وليس الصفة، "الكرم واللؤم" وليس "الكريم واللئيم" لأنّ الألمانية تسمح بذلك. فكثيرا ما تحوّل الصفة إلى اسم عام. وذلك تناظرا مع عنوان كتاب "ما وراء الخير والشر"، الذي كان يمكن أن يُترجَم أيضا " ما وراء الخيّر والشرّير" بل ذلك كان أولى وأحرى.

4 - etymologisch

5 - قارن: ما جاء في الفقرة 6 من التصدير عن البحث الجنيالوجي.

والوسطاء، بعد إذ يكونوا قد أفلحوا بالكلّية في تحويل العلاقة، التي هي في أصلها جدُّ هشّة وجدُّ مريبة، ما بين الفلسفة والفزيولوجيا والطب، إلى تبادل صدوق وخصيب. وفي واقع الأمر فإنّ كلّ لوحات القيم، كلّ "يجب عليك"[1]، التي عرفها التاريخ والبحث الإتنولوجي، إنّما تحتاج قبلُ إلى إيضاح وتفسير[2] فزيولوجي، وعلى الأرجح قبل الحاجة إلى تفسير نفساني؛ كلّها تنتظر كذلك نقداً من جهة العلوم الطبية. إنّ السؤال: ما قيمة لوحة القيم أو "الأخلاق" هذه أو تلك؟ إنّما شأنه أن يُطرح تحت منظورات شتّى؛ فلا يقدر المرء بخاصة أن يفكّك[3] [السؤال] "قيمة **لماذا**؟"[4] بشكل دقيق كفايةً. شيء ما، مثلاً، له قيمة لا تكذبها العين فيما يخصّ أكبر قدرة ممكنة على الاستمرار يملكها عرقٌ قوميّ ما (أو زيادة قوى تأقلمه مع مناخ معيّن أو بقاء العدد الأكبر)، لن تكون له عين القيمة، متى تعلق الأمر بتشكيل نمط أكثر قوة. إنّ صالح الأغلبيّة وصالح الأقليّة إنّما هما زاويتان تقويميتان متباينتان: أن يؤخذ الأوّل منها بوصفه **في ذاته** هو التقويم الأسمى، ذلك ما ندعه لسذاجة علماء الحياة الانجليز... **كلّ** العلوم إنّما شأنها منذ الآن أن تهيّئ المهمّة المستقبليّة للفيلسوف: عندما نفهم هكذا مهمّة بأنّ على الفيلسوف أن يحلّ **مشكل القيمة**، أنّ عليه أن يعيّن **تراتب القيم**.-

---

1 - إشارة إلى الوصايا الموسوية كما هي مصاغة في الألماني. في العربية مثلا هي تُصاغ من دون فعل "يجب عليك"، بل في صيغة أمر: "لا تقتل!" وليس " يجب عليك ألاّ تقتل" (du sollst nicht töten).

2 - Ausdeutung

3 - auseinanderlegen

4 - "werth *wozu* ?"

المقالة الثانية

"الذنب"، "الضمير المعذّب" وما جانس ذلك[1]

.1

أن نـربيّ[2] حيواناً، **يحقّ لـه أن يعد الوعود**[3]- أليس ذلك تحديـداً هو تلكم المهمّةُ المفارَقـةُ ذاتها، التي وضعتها الطبيعة لنفسـها فيما يتعلق بالإنسـان؟ أليس ذلك هو المشـكل المخصوص للإنسـان؟ ... أمّا أنّ هذا المشكل هو إلى حدّ كبير قد حُلَّ، فذلـك ما ينبغي أن يظهر بأكثر مدعـاة للعجب عند من[4] يعرف كيف يقدّر حقّ قدرها القوة الفاعلة عكسـاً، قوة **النسيان**[5]. فليس النسيان مجرّد vis inertiae[6]، كما يعتقد السـطحيون، بل بالحريّ هو ملكة ردع[7] فاعلـة، موجبة بأدقّ معنى الكلمة،

---

1 – بالمعنى الجنيالوجي أي كلّ ما هو صادر عن "الجنس" القيمي الذي أنتج ظواهر الضمير، باعتبارها جنسا أخلاقيا واحدا.

2 – علينا أن نأخذ "التربية" (heranzüchten) في معنى "تربية الحيوان" وليس التربية في دلالتها الحديثة. – ومن المفيد أن نعرف ثراء اللفظة في الألمانية: إذ تشير Züchtung إلى التربية في معنى التأديب الذي يحمل النفس على التبتّل والتحشّم والعصمة، ولا تخلو من الضرب والعقوبة. والطريف أنّ نيتشه ينسب هذه المهمة إلى الطبيعة: هي التي ربّت الحيوان البشري، ولكن أيضا رسمت النهج المناسب لتربيته. را: التصدير، § 6.

3 – *versprechen darf* das. يستعمل نيتشه هنا صيغة "dürfen " مستغلاّ كونها تحتوي على أكثر من معنى: 1. يحتاج؛ و2. يجوز له ويُسمح له ويحقّ له ؛ ومن ثمّ 3. بإمكانه أن (يعد) ويقدر ويستطيع . بحيث أنّ الإمكان هو ناجم عن حقّ هو بدوره ناجم عن أحقّية أو أهلية تؤدي إلى سماح وجواز وتسويغ.

4 – Dem

5 – *Vergesslichkeit*

6 – باللاتينية في النص الأصلي: "قوة عطالة".

7 – Hemmungsvermögen

وإليهـا علينا أن نعزو أنّ ما نعيشـه فحسـب، مـا نجرّبه، ما نمتصّـه في دواخلنا، هو، في حالـة الهضم[1] (وحقيق بالمرء أن يسـمّيه "الهضم بالنفـس"[2])، ليس أكثر بروزا في الوعي من السيرورة ذات الثنايا الألف، التي بها يجري غذاؤنا الجسدي، ما قد يسمّى "الالتهام بالجسـد"[3]. فأن نصدّ لبعض الوقت أبواب الوعي ونوافذه؛ أن نظلّ في فسحة مـن الصخب والعراك الذي يعتور العالم السـفلي لأعضائنا، مع وضدّ بعضها؛ قليل مـن الصمت، قليل من الـ tabula rasa[4]، حتى ينفسـح المكان مرة أخرى للجديد، وقبلاً لوظائف وموظّفين أكثر نبلاً، للتدبير[5] و التكهّن والتقدير (وذلك أنّ جهازنا العضوي مهيّأٌ بشـكل أوليغارشي[6])- تلكم هي، كما قلنا، فائدة النسـيان النشط، حارس البـاب[292] بوجه ما، حافظ النظام النفسي والدعة واللياقة: بذلك قد نرى للتوّ بأيّ وجه ليس يمكن أن يكون ثمّة سـعادة ولا صفاء ولا رجاء ولا فخار ولا **حاضر** من دون نسـيان. أمّا الإنسـان الذي صار فيه هذا النحو من جهاز الردع معطّبا أو معلّقاً، فإنّما شـأنه أن يُقارَن مع مصاب بعسر الهضم (وليس أن يُقارَن فحسـب-)، فهو لن "يفرغ"[7] من أيّ شيء... هذا الحيوان النسّـاء ضرورةً، الذي يمثّل النسيان عنده قوّة، شـكلا من الصحّة **المنيعة**، ما لبث أن اسـتنبت لنفسه ملكة مضادّة، ذاكرةً، بعونهـا يتمّ، في حالات معيّنة، تعليقُ النسـيان، - نعـني في الحالات التي يجب فيها أن تُوعَد الوعود: فليس ذلك أبدا مجرّد ضرب منفعل من عدم-إمكانية-التخلّص[8] من انطباع انتقش فينا مرة، ولا مجرّد سوء هضم لكلمة سبقت منّا فصرنا لها رهنًا، بل هو

---

1 - Verdauung

2 - "Einverseelung". ينحت نيتشه هنا مصدرا من لفظة "die Seele" - النفس. ومن ثمّ يكون المعنى الحرفي هو "التنفيس" حيث المقصود هو إذابة الطعام وصهره في النفس. - وذلك أسوة، كما سنرى بعد قليل، بمصدر "Einverleibung" - الذي يوجد فعل له في الألمانية هو "einverleiben" من لفظة "der Leib" - الجسد أو اللحم، والذي يعني معنى لافتا هنا هو "التهم" و"تناول" و"ضمّ إليه". والمهمّ هو الإبصار بطريقة نيتشه في تفسير عمل الدوافع والغرائز كأنّها إوالية فزيولوجية. قا: المقالة III، § 16.

3 - Einverleibung - في معنى "التجسيد" أو "المزج بالجسد". وهنا يراوح نيتشه بين معنى "الالتهام" ومعنى "المزج بالجسد".

4 - باللاتينية في النص: "الصفحة البيضاء".

5 - بالمعنى السياسي (das Regieren) .

6 - oligarchisch. أي حكم القلّة.

7 - "fertig"

8 - ein Nicht-wieder-los-werden-können

ضرب نشــط من عدم-إرادة-التخلّص[1]، إرادة دائمة لما أُريد ذات مرة، ضرب حقيقيّ من **ذاكرة الإرادة**: بحيث إنّه ما بين "أنا أريد"، "أنا ســأفعل" الأصلي وتفجّر الإرادة، أي فعلها، قد يمكن دونها حرج أن يتخلّل عالمٌ من الأشياء الجديدة الغريبة والأحوال بل والأفعال الإرادية، وذلك من دون أن تنقطع تلكم السلسلة الطويلة من الإرادة. ولكن كم يفترض ذلك من أشــياء! كم كان ينبغي على الإنسان، حتى يبلغ به الأمر أن يتصرّف في المســتقبل سلفاً، أن يتعلّم أوّلاً كيف يفصل ما يحدث بالضرورة عــمّا يكون عرضاً، أن يفكّر بالأســباب، أن يرى إلى البعيــد كأنّها هو قريب وأن يأخذه اســتباقاً، أن يحدّد يقيناً ما الهدف وما الوســيلة له، وعلى العموم أن يحسب وأن يحتســب- كم كان ينبغي على الإنسان ذاته أن يصبح قبلُ **قابلا للحساب**[2]، **منتظماً، خاضعــا للــضرورة**، حتى بالنظر إلى تمثّله الخاص عن ذات نفســه، بحيث يســتطيع في النهاية، كما يفعل كائنٌ يعدُ[3]، أن يكفل نفسه **بوصفه مستقبلاً**!

[293]

.2

هوذا التاريخ الطويل لنشأة[4] **المسؤولية**. إنّ مهمّة تربية حيوان يحقّ له أن يعد الوعود، إنّــها تتضمّن في ذاتها، كـــما تُصوّر ذلك قبلُ، شرطاً لها وتهيئــةً، المهمّةَ الأقرب منها، ألا وهي أن **نجعل** الإنســانَ، رأســاً وإلى حدّ معيّن، ضروريّاً[5]، على وتيرة واحدة، مثيلا بــين متماثلين، مطابقا للقاعدة، وبالتالي قابلا للحســاب والتوقّــع. إنّ العمل المهيب لما كنت قد سمّــيته "أخلاق العادات والتقاليد"[6] (قارن: **الفجر** ص 7، 13، 16)[7]- العمل الحقيقيّ للإنســان على ذات نفســه أثناء المدة الطولى للنوع البشري، ذلك العمل **قبل التاريخي**، إنّما يجــد هاهنا معناه، وتبريــره الأقوى، وذلك مهــما كان له من صلادة

1 – ein Nicht-wieder-los-werden-*wollen*

2 – *berechenbar*

3 – ein Versprechender

4 – Herkunft

5 – nothwendig. لفظة ساقطة في ترجمة غاليمار 1971: 61.

6 – "Sittlichkeit der Sitte"

7 – هذه الإحالة تقابل: **الفجر**، الفقرات 9، 14، 16.

وطغيان وتبلّد وخبل: لقد **جُعل** الإنسان عن طريق أخلاق العادات والتقاليد وجبّة[1] المجتمع قابلا فعلاً للحساب والتوقّع. فإذا وضعنا أنفسنا على الضدّ من ذلك في خاتمة هذا المسار المهيب، هاهنا حيث آتت الشجرة، في نهاية المطاف، أُكُلَها، حيث كشف المجتمعُ[2] وكشفت أخلاقُ عاداته وتقاليده آخر المطاف، في وضح النهار، عن الأمر الذي **من أجله**[3] لم يكن كلّ ذلك إلاّ محض وسيلة: فإنّ ما نجده بمثابة الثمرة اليانعة لتلكم الشجرة هو **الفرد الرئيس**[4]، الذي لا يشبه إلاّ نفسه، الذي تخلّص مرة أخرى من أخلاق العادات والتقاليد، الفرد المستقلّ[5] فوق الأخلاقي[6] (إذْ "مستقلّ" و"أخلاقي" يتنافيان[7])، وباختصار الإنسان ذو الإرادة الخاصة، غير التابعة لشيء، الطويلة الأمد، الذي **بإمكانه أن يَعِد**- وفيه وعيٌ فخور، نابضٌ في عضلاته جميعاً، بكلّ ما أحرزه هناك في آخر الأمر وما صار فيه لحماً ودماً[8]، وعيٌ حقيقيّ بالقدرة وبالحريّة، شعورٌ باكتمال الإنسان بعامة. هذا الذي أصبح حرّاً، الذي **بإمكانه** فعلاً أن يعد الوعود، هذا السيّد[9] ذو الإرادة **الحرّة**، هذا الرئيس[10]- كيف يمكنه ألاّ يعْرف أيَّ فضل له بذلك على كلّ ما ليس بإمكانه أن يعد الوعود ولا أن يكون لنفسه ضامنا وكفيلا، أيَّ قدر من الثقة، أيّ قدر من الخوف، أيّ قدر من الاحترام، يبعثه في النفوس- هو [294] "**جديرٌ**" بتلكم الثلاثة طُرّاً- وكيف أنّه، بهذه السيادة على النفس، هو بالضرورة أيضا قد أُوتِيَ السيادةَ على تصاريف الأحوال، على الطبيعة وكلّ المخلوقات التي إرادتها أقصر شأواً وأوهى موثقاً؟ كذا الإنسان "الحرّ"، المالك[11] لإرادة طويلة الأناة

---

1 – die Zwangsjacke. بالمعنى الشائع "قميص المجانين".

2 – die Societät

3 – *wozu*

4 – das *souveraine Individuum*

5 – autonome

6 – übersittlich. ينبغي أخذ هذا النحت الخاص بلغة نيتشه بواسطة حرف "فوق" كما رأينا سابقا عبارة "ما فوق الإنسان" (المقالة الأولى، الفقرة 16). "الفوقية" في القيم موقف أرستقراطي وليس دلالة على المفارق بالمعنى الديني.

7 – اعتراض مباشر على فرضية كانط حول بناء الأخلاق على "الأتونوميا" أو الاستقلال بالنفس.

8 – leibhaft

9 – der Herr

10 – der Souverain

11 – der Inhaber

لا تنكسر، إنّما يجد في ذا المِلك[1] أيضا **مقياس القيم**[2] الذي يخصّه: إذْ يمدّ بصره إلى الآخرين انطلاقا من ذات نفسه، فإذا هو لا يفعل إلاّ أن يُجلّ أو يزدري؛ وكما أنّه يُجلّ بالضرورة نظراءه، الأقوياء وأهل الثقة (الذين **بإمكانهم** أن يَعِدوا الوعود)، - نعني كلّ امرئ يعد مثل سلطان، وعداً ثقيلا، نادرًا، طويل الأناة، يضنّ بثقته، **يميّز**، إذا وثق، ذاك الذي كلامه شيءٌ[3] يُعوَّل عليه، من أجل أنّه يعرف أنّه قويّ كفايةً كي يفي به ولو على الضدّ من الحادثات، ولو "على الضدّ من القدر" -: كذلك بالضرورة سيكون على قدم وأهبة لركل الكلاب الهزيلة، التي تعد من دون حق[4]، مشرعًا عصاه على الكذّاب الذي يُخلف قوله[5]، في عين اللحظة التي يكون فيها على فمه. إنّ المعرفةَ الفخور بالميزة الخارقة **للمسؤولية**، والوعيَ بهذه الحرية النادرة، هذا الاقتدار على الذات والقدر، قد تغلغل لديه في أعمق أعماقه وصار غريزةً، غريزةً غالبة: كيف سيسمّي هذه الغريزة الغالبة، متى فرضنا أنّ لديه حاجة إلى كلمة لقول ذلك؟ بيد أنّه ليس في ذلك من شكّ: هذا الإنسان الرئيس سوف يسمّيها **ضميره**[6]...

.3

ضميرُه؟... من الممكن سلفاً أن نحرز أنّ مفهوم "الضمير"، الذي نلتقي به هنا في هيئته العليا، والتي تنزع إلى حدّ الغرابة، إنّما له بعدُ وراءه تاريخٌ وتحوّلٌ-في-الشكل[7]

1 - der Besitz

2 - Werthmass

3 - العبارة هي: "der sein Wort giebt"- بالمعنى الحرفي: "الذي يعطي كلمتَه". غير أنّ هذه صياغة غربية، معناها عندنا: "وعد الحرّ دين". فمن يعد يصير لوعده عبداً. ومن يقول شيئا وعداً ويفي به: الوفاء كضرب من العطاء.

4 - ohne es zu dürfen

5 - der sein Wort bricht

6 - das *Gewissen*. هذا مصطلح حاسم في هذه المقالة: الضمير (وهذه العبارة لم تُستعمل في العربية بهذا المعنى إلاّ في الفصاحة المعاصرة المرتبطة باللغات الأوروبية) هو منبع الشعور بالإلزام الأخلاقي. وينبغي تمييزه جيّدا عن "das *Bewusstsein*" الذي يعني "الوعي" وهو ما تعرضنا له قبل قليل. الضمير هو نمط أخلاقي من "المعرفة" المستبطنة في شكل شعور بالواجب، ومن ثمّ بالإثم أو بالراحة أو بالنقاء أو بالشقاء... هو "كوجيطو" الأخلاق.

7 - Form-Verwandlung

طويل. أن يحقّ[1] للمرء أن يكفل نفسه[2]، وبفخر، ومن ثمّ أن يحقّ له أن **يقول نعم**[3] لذات نفسه[295]- هو، كما قيل، ثمرٌ يانع، بيد أنّه أيضا ثمرٌ **متأخّر**:- كم كان ينبغي على هذا الثمر أن يظلّ معلّقا على الشجر مُرّا ومُزّا! ولزَمَنٍ أطول طيلةً بكثير ما كان ثمّة شيءٌ يُرى عن هكذا ثمرٍ أبداً- ما كان لأحد أن يعِد به، وإنْ كان كلُّ شيء على الشجرة قد هُيّئ له وكان نحوه بالذات يربو!-" كيف نصنع للحيوان البشريّ ذاكرةً؟ كيف نطبع على هذا الذهنِ المؤقت، الذي هو في شطر منه أثلمٌ وفي بعضه هاذٍ، على هذا النسيان المتجسّد، شيئاً على نحو بحيث يبقى حاضراً؟"... هذا المشكل السحيق القدم هو، كما يمكن للمرء أن يخمّن، لم يُحلّ رأساً عبر الأجوبة والوسائل الناعمة؛ بل ربّما لم يكن ثمّة شيءٌ أكثر إخافة وإيحاشاً في ما قبل تاريخ الإنسان برمّته، من **تقنية الذاكرة**[4]. "يَسِمُ المرءُ شيئاً، حتى يبقى محفورا في الذاكرة: فوحده ما لا يكفّ عن **إيلامنا**، يظلّ في الذاكرة"-إنّ ذا هو المبدأ الرئيسي في علم النفس الأقدم تماما (ومع الأسف الأطول باعاً) على الأرض. بل قد يمكن للمرء أن يقول إنّه حيثما لا يزال على الأرض إلى الآن أبّهةٌ وجِدٌّ وسرٌّ وألوان قاتمة في حياة إنسان أو شعب، ثمّة شيء من الرعب **يترك أثره**[5]، ذاك الذي به قبلُ في كلّ مكان على الأرض كانت تُوعَد وعودٌ وتُؤخذ رهونٌ وتُقطَع عهودٌ: إنّه الماضي، الماضي الأطول مدى، الأعمق غورا، الأشدّ غلظة، ينفث فينا ويطفح من تحتنا، عندما نأخذ الأمر "جدّاً". إذ لا يجري الأمر أبداً من دون دم واستشهاد[6] وتضحية، متى رأى الإنسان ضرورةً في أن يصنع له ذاكرةً؛ إنّ التضحيات والنذور الأكثر هولا (ومن ذلك نذر الولد البكر)، والتشويهات الأشدّ فظاظةً (مثل الإخصاء)، والأشكال الطقوسية الأكثر فظاعةً لكلّ الشعائر الدينية (وكلّ الأديان إنّما هي في أساسها الدفين منظومة من الفظاعات)- كلّ ذلك ينبع في أصله من تلك الغريزة التي حدست في الألم أقدر وسيلة على تقوية الذاكرة[7]. وبمعنى ما فإنّ التنسّك[8] إنّما

---

1 – dürfen

2 – gut sagen

3 – *Ja sagen*

4 – *Mnemotechnik*. تمارين تقوية الذاكرة.

5 – *nachwirken*

6 – Martern

7 – die Mnemonik

8 – die Asketik

ينتمي إلى هذا المضمار: أنّه يجب أن نجعل بعض الأفكار لا تُمحى، حاضرة أينما ولّينا، عصيّة على النسيان، "ثابتة"، وذلك بهدف [296] تنويم النظام العصبي والذهني عبر هذه "الأفكار الثابتة"- وإنّما طرائق الحياة وأشكالها النُّسكيّة وسائلٌ من أجل أن نخلّص هذه الأفكار من التنافس مع الأفكار الأخرى جميعاً، من أجل أن نجعلها "لا تُنسى". وبقدر ما تكون الإنسانيّة سيّئة "على صعيد الذاكرة"، بقدر ما يكون وجه تقاليدها أشدّ رعباً على الدوام؛ وإنّ صرامة النُّظم الجنائية إنّما تمنحنا بخاصّة مقياساً لمدى العناء الذي تجشّمته حتى تظفر بالنصر على النسيان، وتُبقي على بعض المقتضيات البدائية للعيش معاً[1] ضمن اجتماع ما، **حاضرةً** لدى عبيد اللحظة، عبيد الهوى والرغبة. نحن الألمان، لا نعتبر أنفسنا من دون شكّ شعباً فظّاً[2] قاسيَ القلب، أو حتى مستهترا غافلا عن غد؛ ولكن لينظر المرء فقط في نُظمنا الجنائية القديمة، حتى يدرك مدى العناء الذي تُجُشِّم على الأرض حتى نربّي "شعباً من المفكّرين" (نعني: شعب أوروبا **الذي** لا تزال تجد عنده إلى اليوم أقصى ما يمكن من الثقة والجدّ وانعدام الذوق والتمرّس بالأشياء[3]، والذي هو بهذه الخصائص يملك الحقّ في أن يشتّل كلّ أنواع الموظفين المتنفّذين في أوروبا). هؤلاء الألمان قد صنعوا لأنفسهم ذاكرةً عبر الوسائل الأكثر رعباً، عسى أن يصبحوا أسياداً على غرائزهم العاميّة[4] الدفينة وعلى غِلظتهم الفظّة: ليتفكّر المرء في العقوبات الألمانية القديمة، كالرجم مثلاً (-إذِ الأسطورة تُسقط حجر الطاحون على رأس المذنب) والدولاب[5] (الاختراع الأخصّ واختصاص العبقريّة الألمانية في ميدان العقاب) والخازوقِ[6] والنَّهْش والدَهْس تحت سنابك الخيل ("تقطيع الأوصال"[7]) وسَلْقِ الجاني في زيت أو خمر (وهو أمَر كان لا يزال معمولا به في القرنين الرابع عشر والخامس عشر) والسلخ الذي كان رائجاً ("تقطيع الجلد إلى سُيور"[8]) واستئصالِ اللحم من الصدر؛ أو أيضا أن يعمد المرء إلى فاعل السّوء فيَطْليه عسلاً ويتركه للذباب تحت شمس حارقة. بمساعدة هكذا

1 Das Zusammenleben

2 – grausam

3 – Sachlichkeit

4 – pöbelhaft

5 – das Rädern. عجلة تُستخدم في التعذيب.

6 – das Werfen mit dem Pfahle

7 – das "Viertheilen"

8 – "Riemenschneiden"

[297] صور وحوادث، سـوف يحفظ المرء في الذاكرة خمسـة، ستّة من "أنا لا أريد"، بالنظر إليها هو قد أعطى وعده، حتى يعيش منتفعًا من المجتمع، - وبالفعل! بمساعدة هـذا النوع من الذاكرة لابدّ وأنّ المرء في آخر الأمر سيسـتردّ "عقله"[1]! – آه، العقل، الجدّ، السـيطرة على المشاعر، كلّ هذا الشيء الكئيب الذي نسمّيه التفكّر[2]، كلّ هـذه الامتيازات ومظاهر الأبّهة في الإنسـان: ما أغلى ما دفعنا من أنفسـنا من أجلها! وكم من الدماء والرعب في أعماق كلّ "الأشياء الجميلة"!...

.4

ولكن كيف أتى هذا "الشيء الكئيب" الآخر إلى العالم، هذا الشعور بالذنب، بـل "الضمير الشـقيّ"[3] برمّتـه؟ - ها نحن نعـود بذلك إلى أصحابنـا جنيالوجي الأخـلاق. لنقـل مرّة أخرى – أم أنّـني لم أقل ذلك من قبلُ- هُـمْ لا يُرجى منهمُ شيءٌ. تجربـةٌ خاصة غريرة، "حديثـة" تماما؛ لا معرفـة ولا إرادة معرفة بالماضي؛ فما بالـك بغريزة تاريخية[4]، هي هنا تحديـدا ضرب من "النظرة الثانية" التي لا مندوحة منهـا – وعلى ذلك هم يشـتغلون بتاريخ الأخلاق: ومن العـدل أن ينتهي ذلك ضرورةً إلى نتائـج، ليس لها مع الحقيقة سـوى علاقات أقلّ من هشّـة. فهل سـبق لجينالوجيّ الأخلاق[5] هؤلاء أن دار في خلدهم، ولو من بعيد، شيءٌ عن أنّ "الذنب"، هذا المفهوم الأخلاقي الكبير، على سبيل المثال، إنّما قد نشأ عن المفهوم الماديّ جدّا

1 – “zur Vernunft”

2 – das Nachdenken

3 – das ‟schlechte Gewissen”. – نحن نصطدم هنا بمعنى آخر للفظة "schlecht" (ومن ثمة لما يقابلها أيضا، نعني "gut"): لم يعد الأمر يتعلق بالثنائي الأرستقراطي "كريم / لئيم" أو "شريف / خسيس"، بل بثنائي من نوع آخر، وهذه المرة هو من صنع الإنسان الأخلاقي الارتكاسي: إنّه التقابل بين الضمير "النقي السريرة"، "المرتاح"، "الراضي عن نفسه"..والضمير "الشقي"، "المعذّب"، "الذي يؤنّب نفسه"، "المستنكف"، "النادم"، "الذي يعاني من "وخز" النفس الآثمة ومن "الشعور بالإثم".

4 – علينا أن نأخذ مصطلح "الغريزة التاريخية" تحت قلم نيتشه في معنى مخصوص لما يسميه "الحس التاريخي" ويعني به ليس فقط الإحساس بالصيرورة والتغير، بل بخاصة الشعور الفائق بالفروق الحاسمة بين التقويمات والاختلافات العميقة بين القيم وللعلاقات المعقدة بين سلطة القيم ونوع القوى والدوافع التي تحركها. قارن: **ما وراء الخير والشر**، § 224. **وإنساني، مفرط في إنسانيته**، I، § 274.

5 – قارن: التصدير، §§ 4 و7؛ المقالة I، 1–3.

"ديون"[1]؟ أو أنّ العقاب، من حيث هو **قصاص**[2]، قد تطوّر تطوّرا تاما على حدةٍ من كلّ افتراض مسبق حول حرية الإرادة أو عدم حريتها؟ - وذلك إلى حدٍّ بحيث أنّ ذلك يحتاج دوماً على الأرجح إلى درجة **عالية** من الأنسنة[3]، من طريقها يبدأ الحيوان "إنسان" في القيام بتلك التفريقات التي هي أكثر بدائيّة من قبيل "عمداً" و"سهواً" و"عرضاً" و"مكلّف" ومقابلاتها ووضعها في الحسبان عند [298] تقدير العقاب.إنّ هذه الفكرة الرخيصة، التي هي في الظاهر جدُّ طبيعية، وجدٌّ قاهرة، التي تُستخدَم اضطراراً عند تفسير كيف نشأ الشعور بالعدالة على الأرض بعامة، أنّ "المجرم يستحق العقاب، **لأنّه** كان يمكنه أن يتصرّف بشكل آخر"، إنّما هي في الواقع شكل متأخّر تماماً، بل حتى متلطّف، من الحكم والاستنتاج الإنساني؛ أمّا من ينزاح بها إلى البدايات، فإنّه يتعدّى على علم نفس الإنسانية الأقدم عهداً، تعدّياً سافراً. إنّه الزمن الأطول من التاريخ البشريّ الذي أثناءه لَمْ يكن يُعاقَبُ بأيّ حال من الأحوال، **لأنّ** المرء يعتبر مقترفَ الأذى مسئولا عن فعله، وبالتالي **ليس** تحت الافتراض المسبق بأنّ المذنب وحده ينبغي أن يُعاقَب: - بل بالحريّ، على نحو ما يعاقب الآباء أطفالهم إلى اليوم، من غضب على مضرّة لحقت، يُصبّ على فاعل الضرر، - بيد أنّ هذا الغضب إنّما يُمسَك به في حدود ويُغيَّر منه من جهة الفكرة القاضية بأنّ كلّ ضرر إنّما له في كلّ الأمور شيءٌ **يعادله** ويمكن أن يُسدّد عيناً، ولو كان ذلك **ألَماً** لمن ألحق بنا ضرراً. من أين استمدّت قوّتَها هذه الفكرةُ العتيقة، الغائرة الجذور، التي لم يعد ممكنا اليومَ اقتلاعُها، فكرة التعادل بين المضرّة والألم؟ لقد أوحيت بذلك للتوّ: من علاقة التعاقد بين **الدائن**[4] **والمدين**[5]، التي هي قديمة قدم "الذات القانونية" بعامة والتي تحيل، من جانبها، على الأشكال الأساسية للشراء والبيع وتبادل السلع.

---

1 – ما يثبته نيتشه هنا أمر خاص باللغة الألمانية حيث أنّ ثمّة صلة اشتقاقية بين "die Schuld" (الذنب) و"Schulden" (الديون). وهي صدفة لغوية سوف يستثمرها هيدغر ضمن استشكال من نوع آخر في **الكينونة والزمان** (§ 58).

2 – *Vergeltung*

3 – *Vermenschlichung*

4 – der *Gläubiger*. – من الطريف أن نعلم أنّ هذا اللفظ الألماني يعني في نفس الوقت: 1. **المؤمن**؛ ولكن أيضا، 2. **الدائن**. وإنّه من المثير لدينا في العربية أنّ ثمّة صلةً بين "الدِين" (الطاعة) وبين "الدَّيْن" (القرض المؤجّل)، بين الديانة (الملّة أو المعتقد) والدينونة (القضاء والحساب). ومنه "المدين" أي العبد. ولكن أيضا: "قضى دينه" أي مات.

5 – der *Schuldner*

5.

إنّ استحضار علاقة التعاقد هذه من شأنه، بلا ريب، كما هو منتظَرٌ بعد الملاحظات السابقة، أن توقظ، ضدّ الإنسانية الأقدم عهداً، التي خلقتها أو سمحت بها، أنحاءَ شتّى من الريبة والمناوأة.وإنّما هاهنا تحديدا يقع **الوعدُ**؛ هاهنا تحديدا يتعلق الأمر بأنْ [299] **تُصنَع** للذي يَعِدُ وعداً، ذاكرةٌ؛ هاهنا تحديدا، ويحق للمرء أن يرتاب، سيكون مستودعٌ للشدّة والفضاضة والألم. إنّ المدين، من أجل أن يبعث الثقة في وعده بالتسديد، من أجل أن يمنح ضمانةً على جدّية وعده وقداسته، من أجل أن ينتقش التسديدَ هو بنفسه في صلب ضميره[1] بوصفه واجبا وإلزاماً عليه، هو، بمقتضى العقد، إنّما يرهن لدى الدائن، في الحالة التي لن يدفع فيها، شيئاً آخر لا يزال "يملكه"، وعليه لا تزال له سلطةٌ أخرى، مثلاً جسده أو امرأته أو حريته أو حتى حياته (أو، تحت مفترضات دينية معيّنة، حتى سعادته في الآخرة[2] وخلاص روحه، وفي الأخير راحته في القبر: كما في مصر القديمة، حيث لا تجد جثّةُ المدين راحةً من الدائن حتى في القبر، - وبلا ريب كان المصريون يحملون في أنفسهم شيئا عظيماً من هذه الراحة). بيد أنّ الأمر الخاص هو أنّ الدائن إنّما يمكنه أن يصنع بجسد المدين ألوان الإهانة والعذاب جميعاً، كأنْ، مثلاً، يقتطع منه شطراً قد يظهر عديلاً لحجم الدَين: - وكان ثمّة منذ أقدم الأزمان وفي كلّ مكان، من زاوية النظر هذه تحديدا، تقديراتٌ تذهب أكثر فأكثر في دقائق الأمور، بشكل مفزع أحيانا، تقديرات قائمة **على القانون**[3] تطال كلّ عضو وكلّ موضع من الجسم. وأنا أعتبر الأمر بعدُ بمثابة تقدّم ودليل على تصوّر للقانون أكثر حرية وأعظم حصافة **وأشدّ رومانيّة**، حينما نصّ قانون ألاثنتي عشرة لوحة الروماني على أنّ الأمر سواءٌ أنْ يقتطع الدائن في هكذا حالة كثيرا أم قليلا «si plus minusve secuerunt, ne fraude esto»[4]. لنجعل منطقَ هذا الشكل من التعويض واضحا لدينا في كلّيته: فهو غريب بما فيه الكفاية. إذْ تقوم المعادلة بذلك على أنّه بدلاً عن ربحٍ يكون عديلاً مباشراً للخسارة (أي بدلاً عن تعويضٍ

---

1 - das Gewissen. ننبه إلى أنّ ترجمة غاليار 1971: 68، تضع عبارة "ذاكرته" بدلا من "ضميره". وهو سهوٌ.

2 - Seligkeit

3 - *zu Recht*

4 - باللاتينية في النص الأصلي: "أكانوا قطعوا أكثر أم قطعوا أقلّ، فذلك ليس بجرم". هذا مقطع من الفصل السادس من الثالثة من لوحات القانون الروماني المشار إليه.
"أكانوا قطعوا كثيرا أم لم يقطعوا كفايةً، فذلك ليس بجرم".

يكــون مالاً أو أرضاً أو مِلكاً مهما كان نوعه)، إنّما يخوّل للدائن ضربٌ من **المتعة**[1] هي بمثابة تســديد وتعويض، - متعةَ أن يستطيع صبّ جام قوّته على كائن لا قوّة له [300] دونما حرج، وشــهوةَ «faire le mal pour le plaisir de le faire[2]»، واســتلذاذا للجور: اســتلذاذ يؤثَر أكثر فأكثر بقدر ما يكون الدائن في مراتب المجتمع أحطّ موضعا وأســفل مكانا، بل يمكن أن يظهر لــه ذلك لقمةً لذيذة وحتى مذاقا يثير الشهية نحو رتبة عليا. فبما يسلّطه من "العقاب" على المدين، يشارك الدائن في **قانون-الأسياد**[3]: أخــيراً بلغ هو أيضا إلى الشــعور الرائع بأنّه يســتطيع أن يحتقــر كائناً وأن يسيء إليه بوصفه "أدنى منه ذاتاً"[4]- أو على الأقلّ، في حالةٍ ما إذا انتقلت مقاليد الجزاء الحقيقيــة وتنفيذ العقاب إلى "الســلطات"[5]، أن **يرى** إليه كيف يُحتقَر ويُســاء إليه. إنّما التعويض يقوم بذلك على أمرٍ بالقسوة وبالحقّ في القسوة.-

.6

في **هذا** الفلك، الخاص بقانون الإلزامات إذن، إنّما يجد عالَمُ المفاهيم الأخلاقية، من "ذنب" و"ضمير"و" واجب" و"قداسة الواجب"، مَنْبِتَ نشأته، - إنّ بدايته، مثل بدايــة كلّ العظائم على الأرض، قــد رُويَت بالدماء عميقاً وطويلا: أليس حقيقا عــلى المرء أن يضيف أنّ هذا العالم لازال في أعماقــه لم يفقد أبدا كليّةً قدرا معيّناً من رائحة الدم والعذاب! (ولا حتى لدى الشيخ كانط: فإنّ الأمر القطعي يفوح منه شيء من القســاوة[6]...). إنّما هاهنا قــد تمّ لأوّل مرة عقدُ هذا الاقتران الموحش والذي صار على الأرجح بلا حلّ، بين فكرتيْ "الذنب والألم[7]". لنسأل مرة أخرى: بــأيّ وجه يمكن أن يكون الإيلامُ[8] تعويضا عن "الديون"؟ من جهة ما يكون

1 - das *Wohlgefühl*

2 - بالفرنسية في النص الألماني: "أن يسيء حبّاً في الإساءة".

3 - das *Herren-Rechte*

4 - ein "Unter-sich"

5 - "Obrigkeit"

6 - قارن: المقالة III، 14 ؛ هذا هو الإنسان، IV، 8. - تبدو الأخلاق الكانطية عند نيتشه بمثابة سلب مقنّع لقيم الحياة وإثباتا مقلوبا لقيم الضعفاء ضدّ قيم الاقتدار النبيل. بحيث يظهر الأمر القطعي كأنّه الطور الأعلى من أخلاق الضغينة: تعميق للضمير الشقي وردّ الحياة ضدّ نفسها.

7 - das Leid

8 - das Leiden

إلحاق-الألم[1] مصدرا لمتعة لا توصف، من جهة أنّ المضرور قد استُبدِل عن الضرر وغمّ الضرر متعة مضادة لا قِبل له بها: إلحاق-الألم، - عرسٌ حقيقيّ، شيءٌ، هو، كما قيل، أغلى ثمناً بقدر ما يناقض ذلك رتبة الدائن ومنزلته في قومه [301]. هذا أمر على سبيل الافتراض: ذلك بأنّ هكذا أشياء دفينة إنّما يعسر أن نرى إليها في أعماقها، فضلا عن أنّ الأمر لا يخلو من مشقّة؛ أمّا من يلقي هنا بمفهوم "الثأر" في وسط كلّ ذلك كما بحجر من علُ، فهو على الأرجح قد حجب الرؤية أو أظْلَمها، بدل أن يجعلها أيسر وأشفّ (- إذِ الثأر ذاته إنّما يحيل على عين المشكل: "كيف يمكن أن يكون إلحاقُ-الألم ترضيةً؟"). فهذا أمر، كما يبدو لي، يأباه الظَّرف، بل أكثر من ذلك يأباه رياء الحيوانات المنزلية الأليفة (أعني الإنسان الحديث، أعني نحن)، في المساعدة بكلّ قوّة على أن نتمثّل إلى أيّ حدّ كانت **القساوة** بهجة العرس الكبرى للإنسانية البدائيّة، أجل باعتبارها ما تصنع منه كلّ مباهجها تقريباً؛ ومن جهة أخرى، كم تبدو ساذجةً، كم بريئةً[2] حاجتُها إلى القساوة، وعلى أيّ أساس عميق كان "الشرّ بلا مصلحة"[3] (أو، حتى نتكلّم مع زبينوزا، sympathia malevolens[4]) قد تعيّن عندها باعتباره صفة **عاديّة**[5] للإنسان-: ومن ثمة بوصفه شيئا يقول الضمير له من كلّ قلبه **نعم**! وبالنسبة إلى العين الأعمق نظرا لا يزال على الأرجح ما يكفي اليومَ لتستشفّه عن هذه البهجة الأقدم والأرسخ أصلا في الإنسان؛ وكنت في "ما وراء الخير والشرّ" ص 117 وما بعدها[6] (وقبل ذلك في "الفجر"، ص 17، 68، 102)[7] قد أشرت بأصابع حذرة إلى ضرب مطّرد دوماً من روحنة[8] القساوة و"تأليهها"[9]، يخترق تاريخ الثقافة العليا بكلّيته (ومتى أخذناه في معنى جليل هو يشكّلها). وعلى كلّ حال، لم يكن المرء، منذ أمد ليس ببعيد، ليتصوّر عرسًا أميريّاً واحتفالا شعبيّا

1 - das Leiden-*machen*. أو حتى "صناعة-الإساءة".

2 - unschuldig

3 - “uninteressierte Bosheit”

4 - باللاتينية في النص: "التعاطف سيّء النيّة". قارن: سبينوزا، **الإتيقا**. القسم الثالث، القضية 32.

5 - *normal*

6 - **ما وراء الخير والشر**، §§ 197 وما بعدها.

7 - **الفجر**، §§ 18، 77، 113.

8 - Vergeistigung

9 - “Vergottlichung”

مــن الطراز الرفيع من دون إعدامات وعذابات أو شـيئا مــن الموت autodafé[1]، كــما لم يكن ثمّة بيت[2] نبيل من غير كائن[3]، عليه يمكن للمرء دونها حرج أن يصبّ شرّه ومزاحه الفظّ (- ليذّكر المرء شيئا من **دون كيشوط** في بلاط الدوقة: هل نقرأ اليومَ **دون كيشوط** كلّه إلاّ بمذاق مرّ على اللسان، أقرب إلى التعذيب منــه إلى شيء آخر، ونحن بذلك في نظر مؤلّفه ومعاصريه [302] نأتي أمرا عجبًا، أمــرا مبهــماً، - إذْ هُمُ قرؤوه بأكثـر الضمائر راحةً بوصفه أكثر الكتب أنســاً وصفــاءً، وبه كانوا يموتون ضحكاً). أن نرى-ألماً هو أمر يمنح الراحة، أمّا أن نؤلم، فذلك أروح للنفس أكثر فأكثر- إنّ هذا لمبدأٌ مركبه وعرٌ، إلاّ أنّه مبدأٌ أساسيّ، قديم وقويّ، إنسانيّ، جدُّ إنسانيّ[4]، قد يمكن للقردة، فضلا عن ذلك، أن يضعــوا تواقيعهم تحته: ألم يحدّث أحدُهم أنّهم من حيث ما ابتدعوا القســاوات العجيبة هم بشّروا بالإنســان تبشيرا عريضاً وبوجه ما "غنّوا لقدومه"[5]. دونها قساوة لا يكون عرسُ: كذا يعلّمنا التاريخ الأقدم والأطول للإنســان- أنّ في العقاب أيضا قدرًا كبيراً من **الاحتفال**[6]! -

.7

- بهكــذا أفــكار، لنقل ذلــك عرضاً، أنــا لا أقصد بلا ريب أن أســاعد متشــائمينا[7] الذين ضاقوا بالحياة ضرعاً في أن يســتجلبوا لنواعيرهم النشــاز ذات الصرير ماءً جديدا؛ بل على الضدّ من ذلك، قد يجب أن نعقد شهادة بيّنة على أنّه في الآباد التي لازالت الإنسانية فيها لا تخجل من قساوتها، إنّها كانت الحياة أطيب على الأرض ممّا هي عليه اليومَ، حيث يوجد متشائمون. إنّ تجهّم السماء فوق البشر

---

1 - بالفرنسية في النص الألماني "حرقاً".

2 - der Haushalt

3 - Wesen

4 - علينا أن نأخذ عبارة "إنساني، مفرط في إنسانيته" في معنى ساخر، يقابل موقف "العقل الحر" أو الفيلسوف الحق.

5 - "vorspielen"

6 - ضدّ شوبنهاور يقوم نيتشه بإثبات الألم والعذاب والعناء بوصفها أمورا جوهرية يقتضيها معنى الحياة ذاتها. والضمير الشقي هو ذاك الذي يحوّل وجهة هذه القوى الحيوية الفعّالة ويفصلها عن مفاعيلها الطبيعية ويزجّ بها باتجاه الباطن، حيث يقع استعمالها ضدّ إرادة الحياة نفسها في شكل شعور بالذنب.

7 - تعريض واضح بشوبنهاور. را: المقالة III، §§ 5 – 8.

إنّما كان يطغى دوماً بقدر ما يزداد خجل الإنسان **أمام الإنسان**. إنّ نظرة التشاؤم المتعبة، والريبة من لغز الحياة، و"كلاّ" الصقيعيّة التي ترنو في الاشمئزاز من الحياة- ليست تلك بالأمارات على العصور **الأكثر شرّا** للجنس البشري: إنّها على الأرجح لا تبرز إلى وضح النور، من حيث هي نباتاتُ مستنقعات، إلاّ متى وُجد المستنقع الذي تنتمي إليه، - أقصد بذلك ضرباً مميتاً من ترقيق العواطف[1] وبثّ عدوى الأخلاق[2] بمقتضاهما يتعلم الحيوان[3] "البشري" آخر الأمر كيف يخجل من غرائزه جميعاً. على الطريق نحو "الملاك" (حتى لا نستخدم هنا لفظا أكثر شناعة) قام الإنسان بتربية هذه المعدة السقيمة وهذا اللسان المقيَّد، الذيْن من طريقهما ليس فقط صارت بهجة الحيوان و[303] براءته شيئا تنفر منه النفس، بل الحياة ذاتها صارت خلوا من أيّ مذاق:- بحيث أنّه أحياناً ما يقف أمام نفسه بأنف مسدود ومع بابا إينوسونس الثالث يضع، لائماً مستنكراً، قائمةً في الشدائد التي ألّمت به ("ولادة نجسة، تغذّ مقزّز من ثدي الأمّ، سوء المادة التي بها يتمّ نموّ الإنسان، رائحة كريهة، إفراز للعاب والبول والبُراز"). واليومَ، حيث ينبغي أن يُعرَض الإيلامُ دوماً بوصفه أوّل الأدلّة **ضدّ** الكيان[4]، بوصفه علامة الاستفهام الأكثر خبثاً، قد يُحسن المرء صنيعاً أن يتذكّر العصور التي كان المرء يحكم فيها بشكل معاكس، لأنّه لم يكن يريد أن يستغني عن **صناعة**-الألم[5] وكان يرى فيها فتنةً من الدرجة الأولى ووسيلة إغراء حقيقية بـالحياة[6]. ربما- لنقل ذلك عزاءً لأصحاب الرقة والنعومة- ربما لم يكن الوجع[7] مؤذياً بعدُ كما هو الحال اليوم؛ ذلك على الأقلّ ما أمكن لطبيب أن يستنتجه كان قد عالج الزنوج (متى أخذنا هؤلاء على أنّهم ممثّلو الإنسان قبل التاريخ-) من حالات احتراق

---

1 - Verzärtlichung

2 - Vermoralisirung يستعمل نيتشه هذه العبارة في معنى تأويلي ونقدي وسالب علينا وضعه في الاعتبار: أنّ "الأخلاق" عبارة عن عدوى أو مرض قد أصاب الحيوان البشري القديم بعد تاريخ طويل وسحيق من "تخلّق الأخلاق" على الأرض. لا يتعلق الأمر بأيّ ضرب من "تهذيب الأخلاق" بالمعنى التقليدي، بل بتلويث أخلاقي للنفس القديمة. "تخلّق" تعني بذلك مرض بنوع من القيم المضادة للحياة كما هي متاحة في غرائز الأنا الحيواني القديم.

3 - das Getier

4 - das Dasein

5 - das Leiden-*machen*

6 - *zum* Leben

7 - der Schmerz

داخلية خطيرة، شأنها أن تدفع بالأوروبيين الأوفر بنية إلى حافة اليأس؛- أمّا لدى الزنوج فهي **لا** تفعل ذلك.(ويبدو أنّ خطّ القدرة الإنسانية على الوجع إنّما يأخذ في الانحسار بشكل يخرج عن كلّ نظام بل ومفاجئ تقريبا، ما إنْ يجتاز عشرة الآلاف أو عشرة الملايين من الطبقة الراقية من ذوي الثقافة العالية[1]؛ وبالنسبة إلى شخصي، أنا لا أشكّ في أنّ ليلة توجّع **وحيدة**[2] لفتاة هستيرية واحدة على قدر من الثقافة، لا تعادلها في شيء آلامُ كلّ الحيوانات مجتمعةً، تلك التي سُوئِلت بالمبضع إلى اليوم لأغراض علمية.) ربما من الجائز أن نقبل بإمكانيةِ أنّ لذّة القساوة لا تحتاج إلى أن تزول حقّا: هي، بالقياس إلى كيف أنّ الوجع اليوم قد بات أكثر إيذاءً، إنّما يعوزها فقط ضرب معيّن من التسامي[3] والتلطّف[4]، هي ينبغي بالخصوص أن تتبدّى مترجَمةً في الخياليّ والنفسيّ[5]، ومحلاّةً بأسماء هي من النقاء بحيث أنّها [304] لا تشوبها أيّ ريبة حتى من الضمير المنافق الأكثر تنعّماً ("الشفقة التراجيدية"[6] اسم من هذا القبيل؛ وها اسم آخر "les nostalgies de la croix"[7]). إنّ ما يثير حقّا ضدّ الألم، ليس الألم بحدّ ذاته، بل لا-معنى الألم: بيد أنّه لا المسيحيّ، الذي أدخل في تأويل الألم كلّ آليّة الخلاص الخفيّة، ولا الإنسان الساذج للأزمنة القديمة الذي فهم كيف يفسّر كلّ ألم بالنظر إلى المُشاهد أو إلى فاعل الألم[8]، كان ليعتبر أنّ ثمّة بعامة هكذا ألماً **بلا معنى**[9]. حتى يمكن إزالةُ الألم الخفيّ، غير المكشوف، الذي لا شاهد عليه، عن العالم ونفيُه نفياً صادقاً، كان المرء عندئذ مضطرّا تقريباً لاختراع الآلهة والكائنات الوسيطة،

---

1 – Übercultur. علينا هذه المرة (قارن: المقالة I، 16 والمقالة II، 2) أن نأخذ البادئة "über" في معنى ساخر: فنيتشه لا يقصد "ما فوق الثقافة" بل "الثقافة المستعلية" للإنسان الحديث، حضارة الأخلاق الرقيقة، غير القادرة على تحمّل أيّ قدر حقيقي من الألم، على عكس "الزنجي" مثلا، هذا الذي لا يزال يتمتع بقدرات الحيوان البشري القديم.

2 – Eine

3 – Sublimirung

4 – Subtilisirung

5 – عن هذه الترجمة في العنصر النفسيّ أو "الروحنة"، راجع : ما وراء الخير والشر، §§ 229-230.

6 – ربما هي إشارة إلى شيلر.

7 – عبارة واردة بالفرنسية في النص الألماني: "آلام الحنين إلى الصليب".

8 – das Leiden-Macher

9 – قارن: الفقرة 28 والأخيرة من جنيالوجيا الأخلاق قد تعلّقت بهذه المسألة.

على كلّ علوّ وتحت كلّ غور، شيءٍ ما باختصار، يجوب حتى في غيابة الخفاء[1]، ويـرى حتـى في عتمة الظلام وليس شـأنه أن يفوّت مشـهدا مؤلمـاً على قدر من الأهمية. إذْ بعون هكذا اختراعات، حذِقت الحياة تلك الشـعوذة التي حذِقتها دوماً، أنْ تبرّر نفسها، أنْ تبرّر ما فيها من "أذًى"[2]؛ أمّا اليوم فربّما نحتاج في ذلك إلى عون اختراعـات أخرى (مثلاً: الحياة بوصفها لغزاً، الحياة بوصفها مشـكلا للمعرفة[3]). "كلّ أذىً مبرَّر، إذا هو بمرآه إلهٌ قد يُسرُّ": كذا كان منطق العاطفة في سـالف الزمان رنّاناً– وعلى الحقيقة، هل كان منطق سالف الزمان فحسب؟ آلهةٌ تُصوَّرُ كأنّما هي أصدقاءُ مشـاهد **قاسية**- آهٍ إلى أيّ مدى لازال هذا التمثّل السحيق يَنُوفُ على أنْسَنَتِنَا الأوروبية! وللمرء أن يراجع في ذلك كالفان ولوثر[4]. ومهما يكــن من أمر، فإنّ الإغريق، بلا ريب، ما عرفوا من أبازير تُقدَّم للآلهة في سـعادتهم أطيب من مُتَع القسـاوة. بأيّ عين، إذن، ظننتم، أنّ هوميروس قد جعل آلهته يطلّون على قدر بني الإنسـان؟ أيّ معنى أخير كان في حقيقة الأمر لحروب طروادة وللأهوال التراجيدية التي على شـاكلتها؟ - لا يمكن للمرء أن يخامره في ذلك شكٌّ أبدا: إنّما كانت مقصودة بوصفها **مهرجاناً**[5] للآلهة؛ [305] وبقدر ما أنّ الشاعر هو في ذلك "إلهيٌّ" جبلّةً أكثر من سائر البشر، لا يبعد أن تكون أيضا مهرجاناً للشـعراء... بل إنّ فلاسـفة الأخلاق المتأخّرين عند يونان ما تخيّلوا أيضـا تخيّلا مغايراً عيـونَ الآلهة إذْ هي تطلّ من علٍ على الكفاح الأخلاقي، على البطولـة ومجاهدة النفـس في الفضائل: لقد كان "هرقـل الواجب" على مسرح، وكان يعتقد أيضا أنّه واقف عليه؛ الفضيلة من دون شـاهد إنّما كانت عند هذا الشعب من الممثّلين شيئا لا يمكن التفكير فيه بتاتاً. ألا يكون ذلك الاختراع الجسـور جدّاً والوخيم النتائج جدّاً الذي اقترفه الفلاسفة، الذي كان وقتئذ قد صُنع أوّل الأمر من أجل أوروبا، اختراع "الإرادة الحرة" والعفويّة المطلقة للإنسان في الخـير والشرّ، ألا يكون قد صُنع قبل كلّ شيء من أجل أن نجعل لأنفسـنا

1 – im Verborgnen

2 – das "Übel"

3 – كلّ ما علا على الأرض إلى حدّ الآن كان طريقة من الطرق التي اخترعتها الحياة لتبرير نفسها وخاصة لتبرير ألمها. ومن الطريف أنّ ذلك لن يتوقّف: إنّ فكرة "الإله" تقع على هذه الطريق. لكنّ العلم الحديث ربما يدفعنا حسب نيتشه إلى اختراع فن جديد لتبرير الحياة: تحويلها إلى "لغز أو مشكل للمعرفة".

4 – قارن: المقالة III، 2.

5 – *Festspiele*

حقّا في أن نتخيّل أنّ اهتمام الآلهة بالإنسان، بالفضيلة الإنسانية، **ليس يمكن أن ينقطع أبدا**؟ على مسرح هذه الأرض لم يكن يجب أبدا أن تكون فاقةٌ في ما هو جديدٌ حقّاً، في الشدائد والمصاعب والكوارث الرائعة حقّاً: عالمٌ حتميّ[1] تماماً كان يكون عند الآلهة شيئا يمكن حزرُه فإذا به في لمحةٍ يُسئِم إسآماً، - وإنّها لَعِلَّةٌ كافية لأولاء **أصدقاء الآلهة**، أولاء الفلاسفة، كي لا يسوموا آلهتهم عالماً هكذا حتميّاً! إنّ الإنسانية القديمة برمّتها إنّما كانت تزخر بالاعتبارات المرهَفة إزاء "المُشاهد"، بعالم عموميّ بالجوهر، جليّ للعين بالجوهر، لم يكن ليتصوّر السعادة من دون مشهد أو عرس.- وكما قيل قبلُ، حتى في **العقاب** العظيم ثمة قدرٌ كبير من **الاحتفال**! ...

8.

إنّ الشعور بالذنب والتعهّد الشخصي، حتى نستأنف مسار بحثنا من جديد، إنّما يأخذ مصدره، كما رأينا، من العلاقة الأقدم عهداً والأكثر بدائيّة التي يمكن أن توجد بين الأشخاص، من العلاقة بين الشاري والبائع، بين الدائن والمدين [306]: هنا لأوّل مرة يبرز الشخص للشخص، هنا لأوّل مرة **يقيس** الشخص بالشخص **نفسه**. ولازلنا لم نعثر على درجة دنيا من الحضارة، لا يكون فيها شيءٌ من هذه العلاقة ملحوظاً. أثمانٌ تُقدَّر وقيمٌ تُقاسُ وأبدالٌ تُخترَع[2] وتُقايَضُ- ذلكم ما شغل الفكر الأقدم للإنسان إلى ذلك الحدّ الذي معه قد كان بمعنى ما هو **الفكر** ذاته: وإنّما هاهنا كان قد تربّى أقدم نوع من الفطنة، هاهنا قد يمكن أيضا أن تُخمَّن أوّل نشأة لكبرياء الإنسان وشعوره بتقدّم مرتبته بالنظر إلى سائر الحيوان. وربما يعبّر لفظُنا "Mensch"[3] (manas) تعبيرا دقيقاً عن شيء من هذا الشعور بالنفس: إذْ يخصّص الإنسان نفسه بوصفه كائنا يقيس القيم، يقوّم ويقيس، بوصفه "الحيوان المقدِّر[4] في ذاته". إنّ البيع والشراء، مع ملحقاتهما النفسية،

1 - deterministisch

2 - ausdenken. يجمع هذا الفعل بين "التفكير" و"الاختراع".

3 - إنسان. قارن: إنساني، مفرط في إنسانيته، II "المسافر وظلّه"، § 21. حيث يربط نيتشه بين اكتشاف الإنسان البدائي فنّ الوزن والميزان وبين "تسمية نفسه" باسم "الوزّان" أو "القيّاس" (Mensch, manas). و"القيس" في العربية يعني "التقدير" ولكن أيضا التبختر والشدّة ومنه "إمرؤ القيس". لكن القيس يعني أيضا "الجوع": هل الإنسان إلا حيوان يقيس جوعه بالديون؟

4 - "abschätzend"

هما أقـدم عهداً حتى من بدايات أيّ شـكل من التنظّـم والارتباط الاجتماعي: فإنّما من الشكل الأكثر فقراً من قانون الأشخاص **قد انتقل الإحساس** الناشئ بالتبـادل والتعاقد والدَّيْن والإلزام والتعويـض، أوّل الأمر، إلى مجموعة الجماعات الأكثر خشونة والأكثر بدائيّة (في علاقتها مع مجموعات مماثلة)، في وقت واحد مع التعوّد على مقارنة قدرة بقدرة وعلى قيسها واحتسابها. فإذا بالعين تنضبط على هذا المنظور: وبهذا الاسـتنتاج الفظّ، الذي يميّز الفكر الثقيل الحركة، ولكن الـذي يذهب من بعدُ بلا هـوادة في عين الوجهة لا يحيد عنها، الخاص بإنسـانية الأزمنـة السـحيقة، سرعان ما بلغ المرء إلى هذا التعميـم الغليظ بأنّ "لكلّ شيء ثمنَـه؛ وأنّ **كلّ شيء** يمكن أن يُدْفَعَ ثمنُه"[1]- إلى أقـدم قاعدة أخلاقية **للعدالة** وأكثرها سذاجة، إلى بداية كلّ "خيريّة"[2] وكلّ "إنصاف"[3] وكلّ "إرادة خيّرة"[4] وكلّ "موضوعيّـة" عـلى الأرض. وما العدالة على هذا الصعيـد الأوّل إلاّ إرادة الأخيار[5] التي تحدو مقتدرين متساوين تقريباً، على أن يقبلوا بعضهم بالبعض، وأن "يتفاهموا" من جديد بواسـطة تعويض[6] ما- و، [307] بالنسبة إلى الأقلّ مقدرة، أن **يفرضوا** على هؤلاء تعويضا ما فيما بينهم.-

.9[7]

مـن حيث ما هي مقيسـة دوما بمقيـاس الأزمنة القديمـة (ربّ أزمنة قديمة هـي فيما عـدا ذلك حاضرة في كلّ الأزمان أو هـي ممكنة من جديد): توجد الجماعة[8] أيضا بالنظر إلى أعضائها ضمن تلكم العلاقة الأساسـيّة الخطيرة، علاقة

---

1 - abgezahlt

2 - "Gutmüthigkeit"

3 - "Billigkeit"

4 "Das "gute Willen

5 - der gute Wille. ثمّة صعوبة تعرض هنا: إذ علينا أن نميّز بين "الإرادة الخيّرة" (بالمعنى الكانطي)، إرادة الضعفاء للعدالة، وهو ما أشار إليه نيتشه في السطر السابق، وبين "الإرادة الخَيْرة" أو "إرادة الأخيار" أي إرادة النبلاء للعدالة.

6 - قارن: التصدير، § 4.

7 - بعد عرض مشكل الذاكرة (§§ 1 - 3) ثمّ بسط العلاقة بين الفرد والفرد داخل الجماعة بوصفها قائمة على نوع من "التعاقد" البدائي بين الأقوياء والذي تشوّه بسبب ظهور الأخلاق الارتكاسية (§§ 4 - 8)، يأتي الآن دور البحث في العلاقة بين الفرد والجماعة نفسه.

8 - das Gemeinwesen

الدائن بالمدين. يعيش المرء في كنف جماعةٍ، ويَمتّع بمنافع جماعةٍ (وأيّة منافع! بل نحن اليومَ نسيء تقديرها أحياناً)، إذْ يسكن المرء محمياً، مترفَّقاً به، في أمن وسلام، خليّ البال من بعض الأضرار والاعتداءات التي من شأنها أن تنزل بالإنسان الذي **في الخارج**، "غير المطمئنّ"[1]- والألماني يفهم ماذا كان "Elend"[2]، "êlend"[3] يعني في أصله -، وبأيّ وجه كان المرء على وجه الدقة بإزاء هذه الأضرار والاعتداءات يرهن نفسه للجماعة[4] ويقطع العهود لها.ماذا يحدث في **حالة مغايرة**؟ إنّ الجماعة[5]، بوصفها الدائن المخدوع، سوف تستردّ حقّها[6]، بقدر الإمكان، وعلى المرء أن يعتمد عليها في هذا الأمر. لأقلّ ما[7] يتعلق الأمر هنا بالضرر المباشر، الذي دبّره فاعل الضرر: فإنّ المجرم، وذلك بقطع النظر عن الضرر، هو قبل كلّ شيء "جارِمٌ"[8]، قاصفٌ للمواثيق مخلافٌ للوعود **ضدّ الكلّ**، فيما يخصّ كلّ خيرات حياة الجماعة ونعَمها، التي كان له فيها نصيب إلى حدّئذٍ. إنّما المجرم مدينٌ ليس فقط لا يسدّد ثمن ما أُسدي إليه من منفعة أو سُلفة، بل بلغ به الأمر أن تعدّى على دائنه: فمن العدل أن يُجرَّد ليس من هذه الخيرات والمنافع جميعاً فحسب، - بل هو الآنَ حريّ بأن يُذكَّر **بشأنه مع هذه الخيرات جميعاً**[9]. إنّ غضب الدائن المتضرّر، غضب الجماعة، إنّما يعيده من جديد إلى الحالة المتوحشة، حالة المهدور دمه[10]،

1 – der "Friedlose"

2 – das Elend أي الفقر والفاقة والضنك.

3 – êlend لفظ قديم يعني في الأصل: المنفى. وقد نقْفو هذا في وجه الصلة بين القفر والفقر.

4 – die Gemeinde

5 – die Gemeinschaft

6 – sich bezahlt machen

7 – am Wenigsten

8 – يستثمر نيتشه هاهنا وجه الصلة اللغوية بين "der Verbrecher" - المجرم، و" ein Brecher" – القاطع والكاسر، وذلك بإرجاع اللفظة الثانية إلى الفعل الألماني "brechen" أي قطع وكسر. – وهو تأصيل ليس من الصعب وجوده في العربية، حيث أنّ "المجرم" لفظ مشتق من فعل "جَرَمَ" أي قطع وجزّ وقطف. فالمجرم في الألمانية والعربية "جارمٌ" أي قاطعٌ وكاسرٌ للعهود والمواثيق، كما سنرى. كما ليس من المستحيل أن نعثر على عين الصلة الاشتقاقية بين "الجاني" في معنى من اقترف جناية، وبين "الجاني" في معنى من قطف الثمرة وقطعها!

9 – *was es mit diesen Gütern auf sich hat*

10 – vogelfrei. بالمعنى الحرفي: حالة "الطير الحرّ" (الذي يمكن اصطياده)، أمّا المعنى المجازي فهو حالة "المحروم من حماية القانون".

التـي حُفِظ[1] منهـا إلى حدّ الآن: هو يطرده [308] منها، - وبالتالي قد يمكن لأيّ ضرب من الاعتداء أن ينصبّ عليه. إنّ "العقاب" هو، في هذا الطور من تشكّل الأخلاق[2]، لا يعدو أن يكون الصورة، **النسخة**[3] العاكسة للسلوك السويّ إزاء العدوّ المكروه، الذي جُرِّد من سـلاحه، المطـروح أرضاً، الذي خسر ليس فقط كلّ حـقّ أو حماية، بل أيضا كلّ رأفة أو رحمة؛ كذا هو قانون الحرب وانتصار شـعار vae victis![4] في كلّ فظاظته وقسـاوته: - وإنّما من هذا يتبيّن لِمَ أنّ الحرب ذاتها (بما في ذلك طقوس التضحية في الحرب) قد جادت بكلّ **الأشكال** التي تحتها ظهر العقاب في التاريخ.

.10

إنّ جماعـةً قويت شـوكتُها[5] لن تأخذ جرائرَ الفـرد على محمل الجدّ، من أجل أنّه لم يعد يسـوغ لها أن تعدّ تلك الجرائر كما في السـابق خطِرةً وهدّامةً بنفس المقـدار إزاء بقاء الكلّ: لم يعد الجاني[6] "يُهدَر دمه دونما حرج"[7] ويُخرَجُ من دياره، ولم يعـد يحـقّ لغضب الكلّ أن ينصبّ عليه بلا عِنان كما في السـابق، - بل إنّ الجانـي هـو، على الأرجح، منذ الآن محمـيّ ومُجارٌ برفقٍ من قِبـل الجماعة في وجه هذا الغضب، وبالأخصّ من المتضرّريـن للتوّ. الصلح مع غضب الذين أصابتهم الجنايـةُ للتوّ؛ وجهدٌ يُبـذَلُ من أجل تحديد موقع الواقعة والوقاية من مشـاركة وفتنة أوسـع أو حتـى عامة؛ ومحاولات، للعثور على أبـدال متكافئة وفضّ الأمر كلّـه (compositio[8])؛ وقبـل كلّ ذلـك الإرادة، التي تجابـه الأمر على نحو أكثـر فأكثر إصراراً، لأنْ تؤخـذ كلّ جريرة بوصفها **قابلـة للفدية**[9] بمعنى أو

1 - behüten

2 - Gesittung

3 - der *Minus*

4 - باللاتينية في النص الألماني: "الويل للمغلوبين!".

5 - Macht

6 - der Übelthäter

7 - "friedlos gelegt"

8 - *compositio*. مصطلح من القانون الروماني يعني الحكم الذي ينظّم البتّ في نزاع بين متخاصمين.

9 - *abzahlbar*

بآخـر، ومن ثمّ، لأنْ **يُفصَل**، على الأقلّ بمقدار معيّن، بين المجرم وفعلته - تلك هي الملامح التـي طبعت التطوّر اللاحق للقانون الجنائي على نحو أكثر فأكثر وضوحاً. فإذا نمت قدرةُ جماعةٍ ما وزاد وعيها بذاتها، خفّ أيضا على الدوام [309] قانون العقوبات؛ وكلّ إضعاف وكلّ خطير جسـيم قد يلحق به من شـأنه أن يُبرز من جديد إلى النور أشـكالَه الأشـدّ صرامة. إنّ "الدائن" إنّما يصبح دوماً في طور أكثر إنسـانيّةً بقدر ما يصبح أكثر ثراءً؛ وفي الأخير فإنّ **مقياس** ثرائه ذاته إنّما هو مدى ما يمكنه أن يتحمّل من الأضرار، دون أن يألم. ما كان من المحال أن يوجد **وعيٌ بالقدرة** لدى مجتمع ما، بحيث أنّه قد يجوز له ألاّ يضنّ عن نفسـه بالترف الأسـمى شرفاً، الذي يمكن أن يوجد بالنسبة إليه، - أن يذر **بلا عقاب** من ألحق به ضرراً. "وعلى الحقيقة، ما شـأني والمتطفّلين؟ كذا، حقيقٌ به أن يقول عندئذ. فليعيشـوا وليُفلحوا: فلهذا الأمر أنا مازلـت قويّاً كفايةً! "... إنّ العدالة التـي ابتدأت بـ"أنّ كلّ شيء يمكن أن يُدفـع ثمنه[1]، وأنّ كلّ شيء ينبغي أن يُدفَع ثمنه"، إنّما تنتهي بذلك إلى أن تتغاضى عن الهفوات وأن تترك غير القادر عـلى الدفع يذهب في حال سـبيله، - هي تنتهي مثـل أيّ شيء جيّد على الأرض، إلى **تدمير نفسها بنفسها**[2]. هذا النحو من تدمير العدالة لنفسها: يعلم المرء بأيّ اسم جميل تَسـمّى- باسـم **الرحمة**[3]؛ وإنّما هي تبقى، كما يُفهم ذلك من نفسـه، امتيازَ المقتدر، بل أفضل من ذلك، ما وراءَ الحقّ الذي يخصّه[4].

.11

- كلمة استنكار[5] هنا ضدّ المحاولات المبذولة في العهد القريب تنقيباً عن أصل العدالة على أرضية أخرى تماما، - لاسيّما على أرضيـة الاضطغان. لنقل ذلك بادئ الأمر في آذان النفسانيين، متى فرضنا أنْ راودتهم الرغبةُ مرّةً في أن يدرسوا الاضطغان ذاتـه عـن كثب: هـذه النبتة إنّما تزهـر اليوم أيّما إزهـار بين الفوضويـين والمعادين للسامية، كما كانت قد أزهرت دوماً، على كلّ حال، في الخفاء، مثل بنفسجة، وإنْ برائحة أخرى. وكما أنّه من الشبيه ينبغي بالضرورة أن يخرج الشيء الشبيه، كذلك

1 – abzahlbar

2 – قارن: المقالة III، § 27.

3 – die *Gnade*

4 – sein Jenseits des Rechts

5 – استطراد سوف يتواصل إلى نهاية الفقرة 12.

ليس من العجب أن نرى محاولات تخرج من جديد من تلك الدوائر عينها، كما سبق أن وُجدت ذات المرار- قارن أعلاه ص 30[1]-، [310] تبرّر-و-تقدّس[2] **الثأر** تحت اسم **العدل**- كما لو أنّ العدل لم يكن في أساسه غير تطوير لاحق للشعور بكينونة-منتهكة[3]- ومع الثأر تضع آخر الأمر كلّ المشاعر **الارتكاسيّة**[4] بعامة موضع الشرف. إنّ أقلّ شيء قد أشعر إزاءه بالصدمة هو الأمر الأخير: بل، بالنظر إلى المشكل البيولوجي برمّته (الذي ما حُطّ من قيمة تلك المشاعر إلى حدّ الآن إلاّ بالاستناد إليه)، هو عندي **خصلةٌ حيدة**[5]. إنّ ما أنبّه عليه فحسب هو هذا الأمر: أنّ روح الاضطغان ذاته هو الذي منه انبثقت هذه اللطيفة[6] الجديدة في الإنصاف العلمي (لصالح الكراهية والحسد والغيرة والظنّ والحقد والثأر). وذلك أنّ هذا "الإنصاف العلمي" سرعان ما يخمد ويذر مكانه لنبرات العداء والانحياز المميتة، ما إنْ يتعلق الأمر بزمرة أخرى من المشاعر، هي، على ما أظنّ، أرفع قيمة بيولوجية من مشاعر الارتكاس تلك بكثير، وبالتالي تستحقّ رأساً أن تُقيَّم **علميّاً** وأن يُعلى من شأنها. لاسيّما المشاعر **الفعّالة** حقيقةً، من قبيل حبّ السيطرة وحبّ التملّك وما شابه. (أ. دوهرنغ[7]، **قيمة الحياة**؛ **دروس في الفلسفة**؛ وعلى الحقيقة في كلّ المواضع.) كذا هو أمر هذه النزعة في عمومها: أمّا ما يتعلق بالأطروحة الخاصة بدوهرنغ، أنّه علينا أن نبحث عن موطن[8] العدالة على أرضية الشعور الارتكاسي، فإنّه ينبغي، محبّةً للحقيقة، أن نعارضه بالانقلاب الشديد لهذه الأطروحة الأخرى: إنّ **آخر أرض**، اقتحمتها روح العدالة[9]، هي أرض الشعور الارتكاسي! ولو حدث فعلاً أنْ ظلّ الإنسان العادل

1 – المقالة I، § 14.

2 – heiligen. برّر في معنى يقرب أن يؤخذ في معنى "قدّس".

3 – das Verletzt-sein

4 – راجع: المقالة I، § 10.

5 – ein *Verdienst*

6 – die Nuance

7 – E. Dühring. فيلسوف ألماني (1833-1921)، اشتهر بمعاداته للتصوّر الماركسي لصراع الطبقات.
قارن: المقالة III، § 14.

8 – die Heimat

9 – علينا أن نبصر برهان نيتشه هنا، كما في جميع كتاباته: أنّ العدالة ليس لها معنى واحد ولا مصدر واحد. ثمة عدالة فاعلة، خلاقة، مقتدرة، عدالة الاختلاف بين النبلاء المتنافسين، وهي الأولى ظهورا على الأرض؛ ثمّ جاءت من بعدُ عدالة العبيد، عدالة المساواة بين الضعفاء والمعدمين،

عادلا حتى إزاء الذي ألحق به ضرراً (وليس فقط بارداً، مُقسطاً، غريباً، غيرَ مكترث؛ فأن يكون المرء عادلا هو على الدوام سلوكٌ **موجب**)، لو أنّه حتى تحت فُجاءَة اعتداءٍ أو هُزْءٍ أو اتّهام شخصيّ، لا تتعكّر الموضوعية العالية، الواضحة، العميقة بقدر ما هي رحيمة، ألتي تتحلى بها العين العادلة، **المسدّدة في حكمها**[1]، [311] إذاً لكان ذلك شوطا من الكمال والرئاسة العليا على الأرض، - وكذلك شيئًا يجب على المرء هنا أن يحترس أكثر فلا ينتظره، وبه ليس من اليسر على كلّ حال أن **يؤمن** أبداً. فمن المؤكّد بين غالب الناس أنّه حتى لدى أعفّ الأشخاص وأصلحهم إنّما يكفي جرعة صغيرة من التهجّم والخبث والغمز حتى تحمرّ العين دماً وتعمى عن كلّ إنصاف. إنّ الإنسان الفاعل، المعتدي، الجائر، إنّما يقف على الدوام أقرب مائة خطوة إلى العدالة من الإنسان الارتكاسي ؛ وليس ههنا من حاجة لازمة عنده، على منوال ما يصنع الإنسان الارتكاسي وما يجب عليه أن يصنع، لأنْ يحطّ من قدر موضوعه خطأً وتحيّزاً. وإنّما لهذا السبب، في واقع الأمر، كان الإنسان المهاجم[2] في جميع الأزمان، من حيث هو الأقوى والأشجع والأنبل، يملك أيضا من جهته النظرة **الحرّة** والضمير **الأنقى** سريرة: والأمر يُعكس، فإنّ المرء لابدّ وأنْ خمّن بعدُ من الذي يحمل في ضميره بعامة اختراع "الضمير الشقيّ"، - ألا إنّه إنسان الاضطغان[3]! وفي النهاية فلينظر المرء إلى التاريخ[4]: إذْ في أيّ فلك كان استعمالُ الحقّ[5] في كلّيته، وكذا الحاجةُ الأصيلة إلى الحقّ بعامة، قد وجدا موطنهما[6] على الأرض إلى حدّ الآن؟ هل في فلك الإنسان الارتكاسي؟ كلاّ أبداً: بل في فلك الإنسان الفاعل، القويّ، العَفَويّ، المهاجم. ومتى فحصنا الأمر من جهة ما دُوّن في التواريخ[7]، - لنقل

لتكسرها وتمحوها وتسيطر على جهاز العدالة برمّته من خلال المشاعر الانفعالية: مشاعر الذنب التي تقوم على تحويل ألم الحياة إلى شعور بالخطأ والخوف والعقوبة. قارن: **حدّث زرادشت قال**، الكتاب الثاني، "عن العناكب"؛ **المسيح المضاد**، § 57.

1 – richtend. يستغل نيتشه هنا معنيين على الأقلّ في فعل "richten" ألا وهما: 1. سدّد وصوّب؛ و2. حكم وقضى. وأغلب الترجمات لا توفق في الجمع بين المعنيين. ولذلك جمعنا بينهما في عبارة "المسدّدة في حكمها".

2 – agressiv

3 – استباق لما سيأتي في الفقرة 16، حيث يتمّ بحث مفصّل في مسألة أصل الضمير المعذّب.

4 – Geschichte

5 – das Recht

6 – ist... heimisch gewesen.

7 – historisch

ذلك تنغيصاً على الداعية[1] المشار إليه (الذي بنفسه اعترف على نفسه ذات مرة قائلاً: "إنّ مذهب الثأر قد اخترق كلّ أعمالي وجهودي باعتباره خطّ العدالة الأحمر")- فإنّ القانون على الأرض إنّما يمثّل الصراعَ ضدّ المشاعر الارتكاسية، والحربَ عليها من جانب القدرات[2] الفاعلة والمهاجمة التي تستعمل شطرا من قواها[3] بغية إيقاف انفلات الباثوس الارتكاسي والحدّ منه وفرض صُلْح ما عليه. ففي كلّ مكان حيثما تُراعى عدالةٌ ما، حيثما تكون العدالة مصونةً قويمةً، يرى المرء قدرةً أقوى بإزاء قدرة أضعف منها خاضعة لها (أكانت جموعاً أم أفرادا) تبحث عن وسائل، [312] بها تضع نهايةً للحنق المجنون للاضطغان، وذلك إمّا بأن تنتزع موضوع الاضطغان من يد الثأر، أو أن تخوض بنفسها، نيابةً عن الثأر، صراعاً ضدّ أعداء السلام والنظام، أو أن تخترع تعويضات وتقترحها، وفي بعض الحالات أن تفرضها فرضاً، أو أن ترفع أعواضاً معيّنة عن الأضرار إلى رتبة المعيار، إليها يتمّ منذ الآن فصاعداً ردّ الاضطغان. بيد أنّ الأمر الأكثر حسماً، الذي تفعله السلطة العليا وتفرضه ضدّ غلبة المشاعر المضادّة والمتعاطفة- وهي تفعل ذلك دوماً، ما إن تكون قوية كفايةً للقيام به- إنّما هو تنصيب **القانون**[4]، التفسير[5] القطعي لما يبغي أن يسوغ، في عينيها، باعتباره مباحاً، باعتباره عادلا، ما ينبغي أن يسوغ باعتباره ممنوعاً، باعتباره ظالماً: فمن حيثما، بعد تنصيب القانون، تعامل الاعتداءات والأفعال الاعتباطية التي يقترفها فرد أو مجموعة كاملة، بوصفها جناية[6] ضدّ القانون وتمرّدا على السلطة العليا ذاتها، هي تُزيغ شعورَ الخاضعين لها عن الضرر المباشر الناجم عن هكذا جناية فتبلغ من ثمّة مع المدة إلى عين العكس ممّا يريده كلّ ثأر، الذي يرى الأمر من جهة نظر المتضرّر وحده، ولا يسمح أن تسوغ إلاّ هيَ-: منذئذ تأخذ العين في التدرّب على تقدير للفعل **لا-شخصيّ** أكثر فأكثر، بل حتى عين المتضرّر ذاته (وإن كان ذلك بأَخَرةٍ، كما تمتّ الإشارة إلى ذلك).- وطبقا لذلك فإنّه انطلاقا من تنصيب القانون فحسب إنّما يكون ثمّة

---

1 - Agitator

2 - Mächte

3 - Stärke

4 - das *Gesetz*

5 - Erklärung

6 - der Frevel

"عـــدل"[1] و"ظلم"[2] (وليس، كما يريــد دوهرنغ، من فعل الانتهاك). إنّ الكلام على عــدل وظلــم **في ذاته** إنّما يخلو من كلّ معنى، إذ **في ذاتــه** لا يمكن بالطبع أن يكون انتهاكٌ أو اغتصابٌ أو استغلالٌ أو إهلاكٌ ما شيئًا "غير عادل"، وذلك من جهة أنّ الحياة **في جوهرها**، أي في وظائفها الأساسية، إنّما تعمل من حيث ما تنتهك وتغتصب وتستغلّ وتُهلك ولا يمكن أبدا أن تُتصوَّر من دون هذه الطباع[3]. بل ينبغي على المرء أن يقــرّ بشيء أكثر خطــرا: أنّ الأوضاع القانونية[4] لا يمكـــن أن تكون، من جهة النظر البيولوجية الأعلى شــأوا، [313] إلاّ **أوضاعا استثنائية**[5]، من جهة ما هي في شطر منهــا تقليص لإرادة الحياة الأصيلة، التي تحضّ على الاقتدار، وهي تنخرط في غرضها العام بوصفه وســيلة خاصة: لاســيما بوصفها وســيلة من أجل خلق وحدات-اقتدار[6] **أكبر حجماً**. إنّ نظاما حقوقياً[7] يتمتع بســيادة كلّية ويُفكَّر فيه، لا باعتباره وســيلة في الــصراع بين مركّبات-اقتدار[8]، بل بوصفــه أداةً ضدّ كلّ صراع بعامة، بوجه ما بحســب قالب دوهرنغ الشــيوعي، أنّ على كلّ إرادة أن تأخذ كلّ إرادة باعتبارها مساوية لها، إنّما سيكون مبدأ **معاديا للحياة**، شيئًا مدمّرا[9] ومفكّكا للإنسان، محاولةَ اغتيال لمستقبل[10] الإنسان، أمارةً على الإنهاك[11]، طريقاً تتسلّل نحو العدم.-

.12

كلمةٌ أخرى هنا حول أصل العقاب والهدف منه- إذ هما مشــكلان يقعان الواحــد بمعــزل عن الآخر أو قد يجــب أن يقعا: إلاّ أنّ المرء، وا أســفاً، يلقي بهما في ســلة واحدة. ولكـــن كيف تصرّف جنيالوجيو الأخــلاق إلى حدّ الآن إزاء

---

1 – "Recht"

2 – "Un-recht"

3 – قارن : ما وراء الخير والشر، § 259.

4 – Rechtszustände

5 – *Ausnahme-Zustände*

6 – Macht-Einheiten

7 – Rechtsordnung

8 – Macht-Complexen

9 – قارن : المقالة III، § 14؛ ما وراء الخير والشر، § 204.

10 – قارن : التصدير، § 6.

11 – قارن: المقالة I، § 12.

هذه الحالة؟ بشكل ساذج، كما كانوا تصرّفوا دوماً-: فهم يعثرون في العقاب على أيّ "هدف" اتفق، الثأر مثلاً أو الردع، ثمّ يضعون هذا الهدف بكلّ ثقة في موضع البداية، بوصفه causa fiendi[1] العقاب، و- انتهى الأمر. بيد أنّ "الهدف من القانون"[2] هو آخر شيء ينبغي أن يُستخدَم للكشف عن تاريخ مولد القانون[3]: بالحريّ ليس ثمّة بالنسبة إلى أيّ نوع من كتابة التاريخ[4] من مبدأ أهمّ من ذاك الذي لم يُحرَز عليه إلاّ بهكذا مشقّة، على أنّه كان **يجب** أيضا أن **يكون** قد أُحْرِزَ فعلاً، - ألا وهو أنَّ سببَ مولدِ شيءٍ ما، من جهة، والفائدة الأخيرة منه واستعماله في الواقع وتنزيله ضمن منظومة من الأهداف، من جهة أخرى، إنّما هما أمران منفصلان انفصال السماء عن الأرض؛ أنّ شيئًا قائماً، بلغ إلى الحالة التي هو عليها على أيّ نحو اتفق، إنّما يُفسَّر دوماً مرة أخرى من قِبل قدرة غالبة عليه وَفقًا لآراء جديدة، ويؤخذ بناصيته على نحو جديد، ويُعاد تأليفه وتسديده نحو فائدة جديدة؛ أنّ كلّ حادثة في [314] العالم العضوي هي **غلبةٌ وسيادة**[5] وأنّ كلّ غلبة وسيادة هي بدورها تأويلٌ جديد، وترميم[6]، لديه لابدّ وأن يصبح "المعنى" و"الهدف" السابق مستورا أو ممحوّا تماماً. وحتى لو فهم المرء جيّداً وجه **الفائدة**[7] من عضو فزيولوجي أو آخر (أو أيضا من مؤسسة حقوقية أو عرف اجتماعي أو تقليد[8] سياسي أو شكل في الفنون أو في الطقوس الدينية)، فهو لمّا يفهم بذلك شيئاً بخصوص مولده: ومهما كان صدى هذا الأمر غيرَ مريح وغيرَ موافق لهوى هذه الآذان العجوز، - فإنّ المرء منذ الأقدمين كان قد اعتقد أنّه إنّما في الهدف[9] القابل للبرهنة، في الفائدة من شيء ما، من شكل ما، من مؤسسة ما، علينا أيضا أن ندرك سبب تولّده، العين بوصفها مجعولة للبصر، واليد بوصفها مجعولة

---

1 - باللاتينية في النص الألماني: "علة حدوث".

2 - der "Zweck im Rechte". إشارة إلى مقالة شهيرة لحقوقي ألماني يُدعى إيهرينغ (Ihering).

3 - Recht

4 - Historie

5 - *Herrwerden*

6 - ein Zurechtmachen. الترميم عارض على تشوّه تأويلي يصيب إرادة اقتدار جديدة استولت على قيمة قديمة. قارن: ما وراء الخير والشر، الفقرة 14.

7 - *Nützlichkeit*

8 - der Brauch

9 - عن تفسير الغائية لدى نيتشه، را: المعرفة المرحة، § 360.

للإمساك. كذا أيضا قد تخيّل المرء أنّ العقابَ قد اختُرع لتسليط العقاب. بيد أنّ كلّ الأهداف وكلّ الفوائد إنْ هي إلاّ **أمارات**[1] على هذا أنّ إرادة اقتدار قد صارت كما سيّد مقتدر على شيء أقلّ منه اقتداراً، وختم له من نفسه على معنى وظيفة ما؛ وإنّ التاريخ الكامل لـ"شيء" ما وعضو ما وتقليد ما إنّما يمكن أن يكون على هذا النحو سلسلة علامات[2] متصلة من التأويلات والاستصلاحات الجديدة على الدوام، لا تحتاج أسبابها ذاتها لأنْ تكون في تلازم فيما بينها، بل حَسْبُها على الأرجح إذا اقتضى الحال أن تتتالى على سبيل المصادفة وأن تتناوب[3]. إنّ "تطوّر"[4] شيءٍ ما، تقليدٍ ما، عضوٍ ما، هو بذلك أقلّ ما يكون مرادفاً لما يحقّقه من progressus[5] نحو غاية ما، بل وأقلّ ما يكون progressus منطقيا ومختصرا، يُبلَغ إليه بأيسر إنفاق في القوة والتكاليف، - بل هو تعاقبُ سيروراتِ التغلّب، البعيدة الغور قليلا أو كثيرا، المستقلّة بهذا القدر أو ذاك عن بعضها البعض، التي تجري في صلبه، بالإضافة إلى المقاومة المتعددة التي تعرض في وجهه في كل مرة، ومحاولات تغيير-الشكل بغرض الدفاع ورد الفعل[6]، وكذا نتائج [315] الأعمال المضادة[7] الناجحة. إنّ الشكل لمائعٌ، لكنّ "المعنى" أكثر وأكثر... بل حتى في داخل كلّ عضو[8] مفرد لا يجري الأمر على نحو آخر: فمع كلّ نموّ جوهريّ للكلّ إنّما يزحزح أيضا "معنى" الأعضاء المفردة، - وإذا اقتضى الحال يمكن لهلاكها الجزئي وتقلّص عددها (مثلا عبر إعدام الأعضاء[9] الأواسط) أن يكون علامة على قوة[10] وتماميّة مطّردة. وإنّما أريد أن أقول: حتى كون شيء ما **قد صار غير ذي نفع**[11] بوجه من الوجوه وحتى الحرمان والمسخ وفقدان المعنى

1 – *Anzeichen*

2 – eine Zeichen–Kette

3 – قارن: المعرفة المرحة، § 83.

4 – "Entwicklung"

5 – *progressus*

6 – Reaction

7 – Gegenaktion

8 – das Organ

9 – der Glied

10 – Kraft

11 – das *Unnützlichwerden*

والجـدوى، وباختصار حتى الموت إنّما هي أمـور تنتمي إلى شروط التقدّم الفعلي: ربّ تقدّم كان يظهر دوماً في هيئة إرادة وسبيل نحو **قدرة أعظم** ويُنفَّذُ دوماً على نفقـة قدرات أصغر عديدة. بـل إنّ عظمة "تقدّم" ما إنّما **تُقاس** بحسـب كميّة[1] كلّ ما كان ينبغي أن يُضحَّى به دونه؛ كذا الإنسـانية جمهوراً[2] يُضحَّى به من أجـل فلاح نوع واحد **أقـوى**، من البشر- ذَا **كان يكون** تقدّما...-وأنا أبرز هذا الجانب الرئيس من المنهجية التاريخية، لاسيما وأنّه في أساسه يذهب بعين الضد من الغريـزة الغالبة وذوق العصر، الذي لازال يودّ أن يتعاقد مع المصادفة المطلقة، بل مـع العبث الميكانيكي الذي يحرّك الحادثـات، أفضل من التعاقد مع النظرية القاضيـة بنحو من **إرادة الاقتدار** الجاري دولابها في كلّ حادث. إنّ الحساسـيّة[3] الديمقراطية إزاء كلّ ما يسـود ويريد أن يسود، نعني **الميزاركية**[4] الحديثة (حتى ننحت لفظة سـيّئة لأمر سيّء) قد تحوّلت وتنكّرت شـيئا فشيئا في زيّ روحانيّ، أكثر ما يكون روحانيّة، بحيث أنّها اليومَ تتسرّب بعدُ، **بمقدورها**[5] أن تتسرّب، خطـوةً خطوةً، إلى صلب العلوم الأكثر صرامةً، التي تبدو موضوعيّة كأشـدّ ما يكون[6]؛ أجل، يظهر لي أنّها بسـطت بعدُ سـيادتها على الفزيولوجيا ونظريات الحيـاة في جملتها، حيفاً ومضرّةً لها، كما يُفهم ذلك من نفسـه، من حيث أنّه قد حجب عنها مفهوما أساسـيّا، مفهوم **الفعاليّة**[7] الحقيقية. لكنّ المرء، تحت [316] ضغط هذه الحساسيّة، إنّما يضع "التكيّف"[8] في الصدارة، وذلك يعني فعاليّة من الدرجـة الثانية، مجرّد انفعاليّة[9]، بل هو يعـرّف الحياة ذاتها بوصفها تكيّفاً باطنيّا، هادفاً أكثر فأكثر، مع أوضاع خارجية (هربرت سـبنسر[10]). بيد أنّه بذلك إنّما

---

1 – die Masse

2 – die Masse

3 – Idiosynkrasie

4 – der *Misarchismus*. لفظ منحوت مركّب من جذور لغوية يونانية: 1. misein أي كره وأبغض ومقت؛ و2. arkhein بمعنى "قاد" و"حكم" و"برز" . فالعبارة تعني: "كره القيادة" أو "بغض الحاكم" أو "مقت البروز".

5 – *dürfen*

6 – قارن: المقالة I، § 4؛ المقالة III، § 23 وما بعدها؛ ما وراء الخير والشر، § 14 .

7 – *Aktivität*

8 – die "Anpassung"

9 – Reaktivität

10 – Herbert Spencer.

يتـمّ تجاهل ماهية الحيـاة، ما فيها من **إرادة الاقتدار**؛ وإنّـما بذلك تقع الغفلة عن الأولويّـة المبدئيّة التي تملكها القوى[1] العَفَويّة، الـهَجُـوم[2]، العَنُوت[3]، التي تفسّر فتجدّد[4] وتوجّه في غير مسـبوق وتهب الأشـكال، وليس من "تكيّف" إلاّ تحت تأثيرها؛ وإنّما بذلك يجري إنكار الدور الرئيس الذي للوظائف العليا في الجهاز العضـوي ذاته، تلك التي فيها تظهر إرادة الحياة نشـطةً، واهبـةً للصور[5]. والمرء يذّكر ما كان هاكسـلي يعيبه على سبنسر، - "عدميّته الإدارية"[6]: إلاّ أنّ الأمر يتعلّق بشيء **أكثر بكثير** من عمل "الإدارة"...

.13

-على المرء إذن، حتى يعود القهقرى إلى عين المسألة، أعني إلى **العقاب**، أن يميّز فيه أمرين: من جهة، الشيءَ الذي هو بقدرِ ما **دَيُّوم** فيه، التقليدَ، الفعلَ، "الدراما"، متواليـةً من الإجـراءات صارمة بوجه ما، ومن جهة، الشيءَ الذي هو **سيّال** فيه، المعنـى، الهدفَ، المنتظَر، الذي يقترن بتنفيذ هكذا إجراءات. عندئذ سـوف يتمّ الافـتراض، دون مُشـاحّة في الأمر، per analogiam[7]، وذلـك طبقاً لجهة النظر الكبرى للمنهجية التاريخية، التي بسـطناها للتوّ، أنّ الإجراء ذاته سيكون شيئا أقـدم وأسـبق من الانتفاع بها في أمر العقاب، أنّ هـذا الأخير قد **وُضع** أوّل الأمر **في صلب الإجـراء** (القائم منذ أمد طويل، ولكـن المتّبع في معنى آخر) وتُؤوِّل في حوضه، وباختصار، أنّ الأمر **لا** يجري كما أخذه أصحابنا السذّج من جنيالوجيّ الأخـلاق والقانـون إلى حدّ الآن، الذيـن ظنّوا بكلّيتهم أنّ الإجـراء قد **اختُرع** بهدف العقاب، كما ظنّ الناس من قبلهم أنّ اليد قد اختُرعت بهدف الإمساك. [317] أمّا فيما يخصّ العنصر الآخر للعقاب، العنصر السيّال، و"معناه"، فإنّ مفهوم

1 - die Kräfte

2 - angreifend

3 - übergreifend

4 - neu–auslegend

5 - formgebend

6 - يحيل نيتشه على مقالة للبيولوجي البريطاني توماس هنري هاكسلي عنوانها: "Administrative Nihilism" (*Fortnightly review*، نوفمبر 1871).

7 -باللاتينية في النص الألماني: "بحسب قاعدة التناسب".

"العقـاب"، في واقـع الأمر، لن يمثّل أبـداً، ضمن حالة جدُّ متأخّـرة من الثقافة[1] (في أوروبا اليوم على سـبيل المثال)، معنى واحداً، بل تأليفا كاملا من "المعاني": فإنّ تاريخ العقاب إلى حدّ الآن بعامة، تاريخ الاسـتنفاع منه في أهداف شتّى، إنّما يتبلور آخر الأمر ضمن ضرب من الوحدة، التي هي عصيّة على الحلّ، عصيّة على التحليل والتي هي، وهو ما ينبغي على المرء أن يخصّه بالذكر، **غير قابلة للحدّ أبداً ولا بوجه من الوجوه**. (إنّه من غير الممكن اليوم أن نقول على وجه اليقين **لماذا** ثمّة عقاب أصلاً: كلّ المفاهيم التي فيها يتلخّص مسـارٌ سيميوتيقي[2] برمّته، إنّما تمتنع عن الحدّ؛ فليس بقابل للحدّ إلاّ شيءٌ ليس له تاريخ.) وعلى ذلك ففي طور سابق كان هـذا التوليف من "المعاني" يظهـر أكثر قابليّة للحلّ، بـل وأكثر قابليّة للإزاحـة؛ كان لازال يمكن للمـرء أن يدرك، كيف تغيّر عناصرُ التأليف، بـإزاء كلّ حالة جزئية، من تكافؤها[3] وطبقاً لذلك تغـيّر من مرتبتها، بحيث تـارةً هذا العنصر وطوراً ذاك يبرز ويهيمن على سـائرها، بل وكيف يظهر، في بعض الأحوال، أنّ عنصراً (مثل الهدف من الردع) قد أبطل[4] بقيّة العناصر برمّتها. مـن أجـل أن نمنح، على الأقلّ، صورةً عن كـم أنّ "معنى" العقاب لا يمتّ إلى اليقين بصلة، كم هو ملحـق وعرضيّ، وكيف يمكن لنفس الإجراء الواحد أن يُسـتخدَم ويؤوَّل ويرتَّب وفقا لأغراض شـتّى: هوّذا الرسم الذي سنح لي وإنْ بالاسـتناد إلى موادّ هي في شـطر منها قليلة ولا تخلو من المصادفة. العقاب بما هو إبطـال للقدرة على الضرر[5]، بما هو منعٌ لضررٍ أكـبر. العقاب من حيث هو دفعُ ثمنٍ[6] عن الضرر للمتضرّر، في أيّ شكل اتفق (حتى ولو كان ذلك في شكل تعويض[7] وجداني). العقاب من جهة ما هو عزلٌ لإخلال بالتوازن، اتّقاءً من اتّساع الخلـل. العقاب بوصفه إخافةً للذين يحدّدون العقـاب وينفّذوه. العقاب باعتباره نوعا من البدل[8] عن المغانم التي تمتّع بها المجرم إلى حدّ ذلك (مثلا [318] بجعله

1 - die Cultur

2 - semiotisch

3 - Werthigkeit

4 - aufheben

5 - Unschädlichmachen. في معنى تحييد القدرة على الإضرار. أن نجعل أحدهم غير قادر على الإضرار.

6 - Abzahlung

7 - Compensation

8 - der Ausgleich

قابلا للانتفاع به عبداً في المناجم). العقاب بصفته إفراداً[1] للعنصر الممسوخ (وبعض الأحيان لفرع كامل، كما في القانون الصيني : بحيث كما وسيلة للإبقاء على صفاء العرق القومي أو ترسيخ نمط اجتماعي). العقاب بما هو عرسٌ، لاسيما من حيث ما يكون جوراً وهزءً من عدوّ تُغُلّب عليه بعد لأي. العقاب من جهة ما هو صنعٌ لذاكرة[2]، سواء أكان ذلك لدى الذي أصابه العقاب- "الإصلاح"[3] المزعوم، أم لدى الشهود على التنفيذ. العقاب بوصفه تسديداً[4] للأجر المشروط من جانب السلطة[5]، التي شأنها أن تحمي مقترف الجرم من نزوات الثأر. العقاب بما هو تسوية مع الحالة الطبيعية للثأر، إذا ما كان هذا الأخير لا يزال محفوظاً ساري المفعول لدى أقوام ذوي بأس، يطالبون به كفضل لهم على الناس. العقاب من حيث هو إعلان حرب وإجراء حربي ضدّ عدوّ للسلم والقانون[6] والنظام والسلطة[7]، شأن المرء أن يحاربه باعتباره خطراً على الجماعة، بوصفه مخلّا بالعقد من حيث شروطه، بوصفه ثائرا، خائنا، ومخلاً بالسلم، وذلك بحسب الوسائل التي تضعها الحرب في أيدينا[8].-

.14

تلك قائمةٌ هي بلا ريب غير مستوفاة؛ ومن البيّن أنّ العقاب محمَّل بفوائد من كلّ نوع. بالحريّ إذن أن يُسمح للمرء بأن يطرح منه فائدةً **مظنونة**[9]، هي على كلّ حال تسوغ في الوعي الشعبيّ بوصفها فائدته الأرسخ أصلا، - بل إنّ الإيمان بالعقاب، الذي تزعزع اليوم لأسباب عديدة، لا يزال يجد فيها بالتحديد دعامته الكبرى. يُفترض أنّ العقاب إنّما يستمدّ قيمته من كونه يوقظ **الشعور**

1 – Ausscheidung

2 – ein Gedächtnismachen

3 – “Besserung”

4 – Zahlung

5 – die Macht

6 – das Gesetz

7 – Obrigkeit

8 – قارن: المقالة II، §§ 5 و21.

9 – *vermeintlich*

بالذنب عند المذنب، إذْ يبحث المرء فيه على الـــ instrumentum[1] الحقيقي لهذا الارتكاس النفسي الذي يُسمّى "الضمير المعذّب"[2] و"وخز الضمير"[3]. بيد أنّ المرء بذلك، حتى بالنظر إلى عصرنا، إنّما يعتدي [319] على الواقع وعلى علم النفس: وكم يكون الاعتداء أكبر حينما يتعلق الأمر بالتاريخ الأطول للإنسان، بما قبل تاريخه! إنّ تأنيب الضمير في ما بين المجرمين والمساجين إنّما هو شيء أندر ما يكون، إذْ **ليست** السجون والمحابس بالأوكار التي يولع فيها هذا النوع من الديدان القاضمة بالنجاح والفلاح: - على هذا يتفق كلّ الملاحظين العاملين بما يمليه الضمير[4]، الذين في حالات كثيرة يدلون بهذا الحكم رُغماً عنهم وعلى الضدّ من رغبتهم الأخصّ. ومتى أخذنا الأمر على الجملة فإنّ العقاب يزيد المرء صلابةً وبرودةً في الطبع؛ هو يشدّه إلى مركز؛ ويشحذ الشعور بالاغتراب[5]؛ وهو يعزّز قوة المقاومة. وإذا ما حدث أن كسر الطاقةَ وقاد إلى طريق السجود الوضيع وإذلال النفس، فإنّ هكذا نتيجة هي بلا ريب أقلّ إمتاعاً من التأثير السائد للعقاب: من جهة ما يتميّز بحدّة جافة وصادية. بيد أنّ المرء متى فكّر بتلك الآلاف من السنين ما **قبل** تاريخ الإنسان، فإنّه يمكن أن يحكم دونما تردد بأنّ العقاب هو الذي **عطّل**[6] تطوّر الشعور بالذنب كأقوى ما يكون، - على الأقلّ بالنسبة إلى الضحايا التي نزل بها عنف العقاب. إذْ علينا ألاّ نُغفل إلى أيّ مدى كان المجرم، من خلال مشهد الإجراءات القانونية والتنفيذية ذاتها، ممنوعا من أن يشعر بفعلته وطبيعة فعلته كأمر مشين **في ذاته**: إذ هو يرى إلى نفس الشاكلة من الأفعال تُقترَفُ في خدمة العدالة فيُرحَّبُ بها أحسن ترحيب، وتُقترَفُ بسريرة نقيّة[7]: كذا التجسّس والتحايل والارتشاء ونصب الفخاخ، كلّ الفنّ المخادع والمكّار للشرطيّين والمدّعين، ثمّ النهب والقهر والسّب والأسر والتعذيب والتقتيل، المبدأ الأساس الذي لا يُعذِرُه عذرٌ حتى العاطفة، كما يبدو ذلك في مختلف أنواع

1 - باللاتينية في النص: "الأداة".

2 - "schlechtes Gewissen"

3 - "Gewissensbiss"

4 - gewissenhaft . يلمّح نيتشه إلى معنيين في نفس الكرة: 1. المعنى الحرفي أو الأصلي: المتحلّي بالضمير ؛ 2. المعنى العادي: الدقيق الأمين في بحثه. والشرّاح يرون في هذه السطور ملامح شخصيات دستويفسكي، الذي قرأ له نيتشه على الخصوص **ذكريات بيت الموتى**.

5 - Entfremdung

6 - *aufhalten*

7 - mit gutem Gewissen

العقــاب، - كلّ ذلك إذن ما هو في عــين القضاة بشيء مذموم أو مُدان **في ذاته** أبداً، بل فقط من ناحية ما وبحســب مصلحة بعينها. [320] إنّ "الضمير الشقيّ"، هذه النبتة الأكثر وحشة والأكبر أهمّية من بين نبات الأرض، إنّما لَمْ ينمُ على هذه التربة[1]، - في الواقع، لم يكن ثمّة **شيءٌ** يعبّر في وعي القضاة والمعاقِبين أنفســهم في أغلب ردهات الزمان عن أنّ المرء قد بات له شــأن مع "مذنب". بل مع متسـبّب في ضرر، مع قطعة غير مســئولة من شــؤم مقدور[2]. وهذا نفســه، الذي عليه وقع العقــاب بدوره كقطعة من المقدور، لم يكن ليصيبه بذلك أيُّ "عذاب باطنيّ" مغايــر لما قــد يصيبه من وقوع خاطف لشيء غير متوقّع أو حادثة طبيعية مرعبة أو جلمود صخر ساحق حُطّ من علٍ، فلم يعد ضدّه من كفاح.

.15

هذا أمر دار ذات مرة في خلد ســبينوزا على نحو محرج (على رغم من شُرّاحه، الذين **يجهدون** أنفســهم بعناية فائقة كي يســيئوا فهمه في هذا الموضع، كحال كينو فيشر[3] مثلا)، إذْ هو ذات مســاء، ومن يدري بأيّ شيء ارتطمت نفســه من أجــل كذا ذكرى، طفق يســأل مــاذا يا تُرى يكون تبقّى لــه من الــ morsus conscientiae[4]- هــو، الذي طرد الخير والشرّ إلى بوتقــة الخيالات البشرية ونافح بحَنَــقٍ عن شرف إلهه "الحرّ" ضدّ أولئك المجدّفين الذين يذهب ادّعاؤهم إلى أنّ الله يفعل كلّ شي sub ratione boni[5] ("إلاّ أنّ ذلك يعني أن يخضع الله للقدر فيكون بذلك أكبر الشــناعات حقّاً"-). إنّ العالم بالنســبة إلى سبينوزا قد عاد مرة أخرى إلى تلك البراءة حيث كان يقف قبل اختراع الضمير الشقيّ: فما هو عندئذ مصير الـــ morsus conscientiae؟ "إنّ نقيــض الـgaudium[6]، كذا قال في آخــر الأمر، - هو حزنٌ مصحوب بفكرة شيء ماضٍ[7]، وقع على خلاف كلّ

---

1 – قارن: التصدير، § 2.

2 – das Verhängnis

3 – Kuno Fischer. هذا المؤلف له كتاب: **تاريخ الفلسفة الحديثة** (هايدلبورغ، 1865)، نهل منه نيتشه كما فعل هنا فيما يخص سبينوزا.

4 – باللاتينية في النص: "وخز الضمير".

5 – باللاتينية في النص: "طبقا لعلّة الخير". قارن: سبينوزا، **الإتيقا**. الكتاب I، القضية 33، حاشية 2.

6 – باللاتينية في النص: "الفرح".

7 – vergangen

انتظار. "**الإتيقا**، III، القضية XVIII، الحاشـية I، II. **وليس بمغاير في شيء** لما ارتآه سـبينوزا[1] [321] ما شعر به المسيئون الذين أُنزل بهم العقاب، طيلة آلاف السنين، بإزاء "إسـاءتهم"[2]: هذا أمرٌ قد زلّت فيه القدم من حيث لا نحتسـب"، **وليس** "ما كان يجب عليّ أن أفعل"-، كانوا يلقون بأنفسهم إلى العقاب، كما يستسلم المرء إلى مرضٍ أو مصيبة أو كما يذعن للموت، بتلك القدريّة[3] الشـجاعة دونما تمرّد، التي بها على سـبيل المثال لازال الروس[4] في استعمال[5] الحياة يتميّزون عنّا نحن بلاد الغـرب إلى اليوم. فإذا كان ثمّة من نقـد للفعل، فإنّ الحكمة[6] هي التي تمارس النقـدَ على الفعل: دون أيّ سـؤال ينبغي أن نبحث عن **المفعـول** الحقيقي للعقاب قبـل كلّ شيء في ناحيـة زيادة الحكمـة وإطالة الذاكـرة وإرادةٍ تصبو إلى أن تفعل من هنا فصاعداً بتحوّط أكبر وتحذّر أكثر وتكتّم أسرّ، في الإبصار لآخر مرة بأنّ المرء في كثير من الأمور لابدّ يعجز، في ضرب من تحسـين الحكم على أنفسنا. وعلى الجملة فإنّ ما يمكن أن يُبلَغ إليه من طريق العقاب، أكان ذلك لدى الإنسـان أم الحيوان، إنّما هو مضاعفة الخوف وزيادة الحكمة والسيطرة على رغباته: بذلك فإنّ العقاب **يدجّن**[7] الإنسـان، لكنّه لا يجعله "أحسن" ممّا كان، - بل قد يمكن للمرء أن يزعم العكس بشرعيّة أكبر. ("من الأذى ما يجعلك حكيماً"[8]، كذا يتقوّل الشـعب: وبقدر ما يجعله حكيما، هو يجعله معذّباً[9] أيضا. ولحسن الحظّ فهو غالباً ما يجعله غبيّاً.

---

1 – قرأ نيتشه نصوص سبينوزا سنة 1883 بكثير من الاهتمام، وبخاصة دحضه للعلل الغائية. إلاّ أنّه انتبه في آخر المطاف إلى أنّه لم ينج من "الفساد اليهودي" للفلسفة، تماما مثلما أنّ باسكال يجسّد انحطاطها المسيحي. ما يغفله سبينوزا هو "دوافع" الحياة، قبل كل معرفة بـ"أفكار" أبدية، متى تعلّق بها الفيلسوف انقلب إلى أحد "مصاصيّ الدماء". قارن: **المعرفة المرحة**، §§ 333 و372.

2 – das "Vergehen".- يلعب نيتشه هنا على مراوحة خفية بين دلالتين للفعل الألماني "vergehen" الذي يعني تواليا: 1. مضى وانقضى ومرّ؛ ولكن أيضا 2. أثِم وأذنب وجنى وأساء وأجرم. وهي مراوحة في المعنى لا تؤديها الترجمات.

3 – Fatalismus

4 – حول قدريّة الروس، قارن: **هذا هو الإنسان**، "لِمَ أنا جدّ حكيم"، § 6.

5 – Handhabung

6 – Klugheit

7 – قارن: المقالة I، § 11.

8 – "Schaden macht klug"

9 – schlecht. علينا أن نضع في الاعتبار أنّ نيتشه يشير هنا إلى معنيين معاً: 1. معنى السياق:

.16

الآن، وقد بلغت هذا الموضع، لم يعد ممكنا أن أبطئ في مساعدة فرضيّتي الخاصة عن أصل "الضمير المعذّب" على أن تحصل على إبانة أولى مؤقتة: فليس من اليسر أن نحملها إلى الأسماع وهي تريد أن يُتفكّر فيها وأن تُحرَس وأن تُعاشَر لأمد طويل. إنّما أنا آخذ الضمير المعذّب بمثابة إصابة بمرض دفين، لابد وأن يقع فيه البشر تحت وطأة الأعمق من كلّ تلك التغيّرات التي مرّ بها في حياته، - ذاك التغيّر الذي طرأ، حين [322] وجد نفسه عالقاً بلا رجعة في سحر[1] المجتمع والسلم. وليس ذلك بمغاير في شيء لما ينبغي أن يكون حدث للحيوانات المائية، حيث كانت قد أرغمت على أن تصبح حيوانات برّية أو أن تأخذ في الانقراض، كذا جرى الأمر مع هذا الرهط من أنصاف الحيوانات، التي كانت لحسن الحظّ مهيّأةً لحياة القفار، للحرب، للترحال وللمغامرة، - ودفعة واحدة، صارت كلّ غرائزهم بلا أدنى قيمة و"تعطّلت"[2]. قد بات يجب عليهم منذ الآن أن يسعوا على أقدامهم و"أن يحملوا أنفسهم بأنفسهم"، حيث كانوا إلى حدّ الآن محمولين على الماء: إنّ ثقلاً مريعاً قد أخذ يهدّ كاهلهم. فإذا داهمتهم أبسط الملمّات وجدوا أنفسهم لَخَمَةً فاترين، ما عاد لهم في وجه هذا العالم الجديد المجهول أحدٌ من القادة[3] القدامى، من تلك الغرائز الناظمة، المسدّدة الخطى من حيث لا تدري- رُدّوا إلى التفكّر والنظر في العواقب والحساب وتركيب العلل والمعلولات، هؤلاء التعساء، قد رُدّوا إلى "وعيهم"[4]، إلى عضوهم الأكثر بؤساً والأكثر عرضة للأخطاء! أعتقد أنّه لم يكن أبداً على الأرض هكذا شعور بالفاقة، هكذا ضيق ثقيل، - وفضلا عن ذلك فإنّ تلك الغرائز القديمة لم تكفّ في كرّة واحدة عن فرض مطالبها! بيد أنّه كان يعسر ونادراً ما كان يمكن للمرء أن يكون طوع إرادتها: بالأساس كان ينبغي عليها أن تبحث عن أوطار[5] جديدة وبوجه ما سردابيّة[6]. ألا إنّ كلّ الغرائز التي لا تنفجر خارجاً،

معذّب؛ 2. المعنى التأويلي: لئيم، وضيع، دنيء.

1 – der Bann

2 – "ausgehängt"

3 – die Führer

4 – "Bewusstsein"

5 – Befriedigungen

6 – unterirdisch

تنقلب نحو الباطن- ذلك ما أسمّيه **استبطان**[1] الإنسان: بذلك تنبّت لأوّل مرة في الإنسان شيءٌ ما سيُسمّى لاحقاً "نفسه"[2]. إنّ العالم الباطني برمّته، الذي كان في أصله رقيقاً كأنّما هو مشدود بين أَدَمتين[3]، قد توسّع في مقاسه وتفتّح، وأخذ عمقاً وعرضا وعلوّاً، وذلك بقدر ما يتمّ **كبح** انفجار الإنسان نحو الخارج. وإنّ كلّ تلك الحصون المرعبة التي احتمت بها منظومة الدولة ضدّ الغرائز القديمة للحرية- وهل العقوبات إلاّ شيء يقع على رأس هذه الحصون- قد أفلحت في أن تجعل كلّ غرائز الإنسان المتوحش الحرّ المترحّل هذه تنقلب على نفسها القهقرى، تنقلب **ضدّ الإنسان** [323] **نفسه**. عداوةٌ وقساوةٌ ولذّة في الطريدة والتهجّم والتقلّب والدمار- كلّ ذلك منقلِباً ضدّ أصحاب تلك الشاكلة من الغرائز: **ذلكم** هو أصل "الضمير المعذّب". إنّ الإنسان الذي لِنقص فيْ أعداء تهدّده من خارج أو عوائق تقف في طريقه، وقد زُجَّ به في ضيقة حاصرةٍ وفي رتابة العادات، فطفق في لهفةٍ يمزّق نفسه ويطاردها ويعضّها ويزعجها وينكّل بها، هذا الحيوان الدَّفوع[4] حتى يُدمي على قضبان قفصه، الذي يريد المرء أن "يدجّنه"، هذا الـمُعدَم الذي أهلكه الحنين إلى الصحراء، الذي كان عليه أن يخلق من نفسه مغامرةً ومرتعاً للعذاب وفلاةً غيرَ مأمونة محفوفةً بالمخاطر- هذا المخبول، هذا الأسير الملهوف القنوط هو الذي صار مخترعَ "الضمير المعذّب". بيد أنّه معه إنّما افتتح أيضا المرضَ الأكبر والأوحش الذي منه لم تبرئ الإنسانية إلى حدّ اليوم، أَلَمَ[5] الإنسان **من الإنسان، من ذاته**: باعتبار ذلك نتيجةً ناجمة عن فصلٍ عنيف عن الماضي الحيواني، عن قفزةٍ ووقعةٍ بوجه ما في وضع جديد وشروط جديدة للبقاء[6]، عن إعلان حرب ضدّ الغرائز القديمة، التي عليها ارتكزت قوّتُه ومتعتُه ومهابتُه إلى حدّ الآن. علينا أن نضيف للتوّ، من جهة أخرى، أنّه مع واقعةِ نفسٍ حيوانية مرتدّة ضدّ نفسها، وتقف من نفسها موقف الضدّ، إنّما حصل أيضا علَى الأرض

1 – *Verinnerlichung* . – الاستبطان أو تحويل وجهة الإرادة نحو الباطن هو المسار الارتكاسي الذي من طريقه تنقلب قوة فاعلة إلى قوة منفعلة. وذلك عندما يشتغل الاضطغان بوصفه فصلا للقوة عن مفعولها الطبيعي وحرمانها من اندفاعها وانبساطها الحيوي العفوي. والنتيجة هي إفراز ضمير شقي يحوّل السيد إلى عبد.

2 – “seine” Seele

3 – die Haut

4 – من الدوابّ الكثير اللبط والضرب بقوائمه.

5 – das Leiden

6 – Daseins–Bedingungen

شيءٌ هو من الجدّة والعمق والروعة والإلغاز واحتمال التناقض **والامتلاء بالمستقبل**، بحيث أنّ منظر الأرض قد تغيّر بذلك تغيّرا جوهريّا. وفي الواقع، كان ذلك يحتاج إلى مشاهدين إلهيين لتقدير هذا المشهد الذي بدأ على هذا النحو ولا ريب أنّ نهايته لا تزال بمنأى عن كلّ إبصار، - مشهد جدُّ رائق، جدٌّ عجيب، جدُّ محال، حتى يمكن أن يجري، في غفلة حمقاء، على أيّ كوكب ضاحك اتفق! إنّ الإنسان قد صار يُحسَب منذئذ من بين رميات الحظّ الأقلّ انتظارا والأكثر استفزازا، التي رماها[1] "الطفل الكبير" لهراقليطس[2]، أتسمّى زوس أم البخت، - هو قد أثار نحوه اهتماماً [324] وشوقاً وأملاً وأكاد أقول يقيناً، كما لو أنّ شيئا معه قد أنبأ عن نفسه، أنّ شيئا قد تهيّأ، كما لو أنّ الإنسان لم يكن هدفاً، بل كان طريقاً فحسب، حادثةً في وسط الطريق[3]، جسراً، وعداً كبيراً...

17.

إنّ أوّل ما يدخل في مقدّمات هذه الفرضية عن أصل الضمير المعذَّب هو أنّ ذلك التغيّر لم يكن متدرِّجاً أو طوعاً ولا هو تبدّى في شكل نماءٍ عضويّ ضمن شروط جديدة، بل بوصفه كسراً، وثبةً، إكراهاً، قضاءً مبرماً، ما كان ثمّة ضدّه من كفاح بل ولا حتى شيء من الاضطغان. بيد أنّ الأمر الثاني هو أنّ تكييف جماعة سكّانية[4]، ظلّت إلى حدّ الآن لا هيئة لها ولا كابح، مع صورة ثابتة، ومثلما أخذت بدايتَها من عمليّة عنف، هو شيء ما كان له أن يُدفَع به إلى النهاية إلاّ من طريق عمليّات عنف خالصة، - أنّ أقدم "دولة" هي قد حدثت طبقا لذلك في شكل طغيان مرعب، في شكل آلة[5] ساحقة باطشة واستمرّت في عملها حتى صارت تلك المادة الخام من الشعب وأنصاف الحيوانات ليس فقط مطحونةً وطوعَ

---

1 - spielt

2 - تلميح إلى الشذرة 52: "الزمان: إمارة طفل يلعب بالنرد". - عن هراقليطس راجع: **مولد التراجيديا**، § 24. وكذلك: **مولد الفلسفة**، التصدير والفقرات 5-8. عن زهر النرد كعلامة جوهرية على الحرية الجذرية للبشر أمام المصير، أنّ الإنسان، كما قال محمود درويش ذات قصيد، هو "الوعد والموعود والموعد"، قارن: **حدّث زرادشت قال**، أحاديث "عن الألواح القديمة والألواح الجديدة" و"الأختام السبعة" و"قبل الشروق".

3 - ein Zwischenfall

4 - Bevölkerung

5 - Maschinerie

العنان، بل و**مشكّلة**[1] أيضا. لقد استعملتُ لفظةَ "دولة": من البيّن بنفسه من هو مقصود بذلك - أيّ قطيع[2] اتفق من الحيوانات المفترسة الشقراء[3]، عرقٌ من الغزاة والأسياد، منظَّم تنظيماً حربياً ويملك قوّة التنظيم، ودونما تردّد، يضع مخالبه المرعبة على جماعة سّكانية هي على الأرجح متفوّقة في العدد بشكل هائل، لكنّها لا تزال بلا هيئة، لا تزال شاردة. فإنّما على هذا النحو بدأت "الدولة" على الأرض: أظنّ أنّنا قد انتهينا من تلك الحماسة التي جعلتها تبدأ بواسطة "عقد" ما[4]. من يمكنه أن يأمر، من كان "سيّدا" بطبعه، من يبدو عنيفاً في أفعاله وحركاته- ماذا عساه يصنع بالعقود! كذا كائنات لا تقع للمرء في حسبان، فهم يأتون كما قدر، دونما سبب أو عقل أو اعتبار أو ذريعة، هم هناك مثلما تكون الصاعقة هناك، جدُّ [325] مرعبين، جدُّ خاطفين، جدُّ مُفحِمين، جدُّ "آخرين" فلا يمكن حتى أن يصبحوا مكروهين فحسب. إنّ عملهم بمثابة خلقٍ وسكٍّ غريزيّ للأشكال، إنّهم الفنّانون الأكثر لاإراديّة، الأكثر لاوعياً، الذين وُجدوا يوما ما: - ما أسرع ما ينتصب شيءٌ جديد حيثما ظهروا، شكل من السيادة التي **تحيى**، فيها الأجزاء والوظائف قد حُدِّدت وتناسبت، حيث ليس ثمّة من مكان لأيّ شيء لم يكن له "معنى" بالنظر إلى الكلّ. هم لا يعرفون ماذا يكون الذنب، ما المسؤولية، ما الاعتبار، أولاء المنظمون جبلّةً ومولداً؛ الذين تغلب عليهم تلك الأنانيّة المرعبة للفنانين، ترنو كما معدن وامض[5] وتعرف سلفاً ولأبد الآبدين كيف تبرّر "أفعالها" كما الأمّ في طفلها. **هم** ليسوا من نبت "الضمير المعذّب" لديهم، ذلك أمرٌ بيّنٌ بنفسه من بادئ الأمر، - لكنّه ما كان له أن ينبت **من دونهم**، هذه النبتة الكريهة، إذ كان شأنها أن تُفتَقد لو أنّه، تحت وطأة ضربات مطرقتهم، وقساوة الفنانين التي فيهم، لم تنقطع كميّة هائلة من الحرية عن العالم أو على الأقلّ عن الرؤية، وبوجه ما لم تحمَل على **الكمون**[6]. هذا النحو من **غريزة الحرية** التي حُملت بشكل عنيف على الكمون- قد فهمنا ذلك للتوّ- غريزة الحرية هذه، المكبوتة، المرتدّة، المحبوسة

---

1 – *geformet*

2 – das Rudel

3 – قارن: المقالة I، § 11 .

4 – تعريض واضح بروسو وفلاسفة العقد الاجتماعي من ورائه.

5 – das Erz. المعدن. ويبدو أنّه من اللفظ اللاتيني "aeris" الاسم القديم للبرونز. وهي لفظة لم تعد تُستعمل إلاّ في الشعر، مثل l'airain في الفرنسية. وهي في المجاز تشير إلى معنى "الصلابة" و"القسوة" والتشبّه بالحجر أو بالمعدن.

6 – *latent*

في الداخـل، التي لم تعد تملك، آخر الأمر، أن تنفجر وأن تنصبّ إلاّ على ذاتها: إنّ هذا، في بدايته، هذا وحده، هو **الضمير المعذّب**.

.18

ليحذر المرء من أن يستخفّ بعدُ بهذه الظاهرة برمّتها، لا لسبب سوى لكونها هي منذ أوّل أمرها كريهة وأليمة. في الأســاس إنّما هي هذه القوة الفاعلة عينها، التي تعتمل بشكل بارع لدى فنّانيّ العنف وصانعيّ النظام، وتبني الدول، تلك التـي هاهنا، في الداخل، وعلى نحو أصغر حجماً، بشـكل أكثـر تفاهةً، باتجاه الخلـف، وفي "غيابة الصدور"، حتى [326] نتكلّم مثل غوته[1]، هي تخلق الضمير المعذّب في نفســها وتبني المُثُلَ العليا الســالبة، بل هي بالتحديد ذلك النحو من **غريزة الحرية** (ومتى تكلّمنا في لغتي: إرادة الاقتدار): ســوى أنّ المادّة التي عليها تمارس الطبيعةُ المكوِّنةُ والمغتصِبةُ هذه القوّةَ، إنّما هي هاهنا الإنســان ذاته، كلّ ذاته[2] الحيوانية القديمة- و**ليس**، كما في تلك الظاهرة الأضخم والأكثر جلاءً، الإنســان **الآخر**، والبشر **الآخرين**. هذا الاغتصاب السرّي[3] للذات، هذا النحو من قساوة-الفنّان، هذه المتعة في أن نمنح لأنفسنا شكلاً كما لمادّةٍ عسرة، كارهةٍ، أَلِمَةٍ، في أن نسم بالنار على ذاتنا إرادةً ما، نقداً ما، تناقضاً ما، احتقاراً ما، لاَ معيّنة[4]، هــذا العمــل الموحش والمليء بمتعــة مريعة، الآتي من نفسٍ في شــقاق طوعيّ مع ذات نفســها، تؤلم نفســها لذّةً في الإيلام، هذا "الضمير المعذّب" **الفاعل**[5] بكلّيته، إنّــما حمل إلى النــور أيضاً في نهاية الأمر- كما قد يخمّن المرء- من حيث هو الرحم الأصيل للأحداث[6] المثالية والخيالية[7]، ثروة غزيرة من الجمال والرضا[8]، وربّما، لأوّل مرة، الـجمال بعامة... فما الذي سيـكون "جميلا"، إذا لم يكن التناقض قد بلغ إلى

1 – من قصيدة غوته "*An den Mond*" – "إلى القمر".

2 – das Selbst

3 – heimlich

4 – ein Nein

5 – "ضمير معذّب فاعل" لا ينتج إلاّ "عالما مقلوبا" (المقالة III، § 14).

6 – das Ereignis

7 – كان نيتشه قد وصف الاضطغان بأنّه ثأر "خيالي وروحاني"، قارن: المقالة I، §§ 7 و10.

8 – Bejahung

الوعي بنفسه، إذا لم يكن القبيح[1] قد قال لنفسه: "أنا قبيح"؟... على الأقلّ إنّ اللغز سيكون، تبعاً لهذا الإشارات، أقلّ إلغازاً، نعني بأيّ وجه يمكن الإشارة من خلال مفهومات متناقضة[2]، من قبيل **الإيثار على النفس**[3] **وإنكار الذات والتضحية بالنفس**، إلى مثل أعلى، إلى جمال ما؛ وأوّل شيء سيعلمه المرء من الآن فصاعداً، لا شكّ عندي في ذلك-، هو أيّ نوع من **المتعة** سيشعر بها من يؤثر على نفسه وينكر ذاته ويضحّي بنفسه: هذه المتعة إنّما تنتمي إلى دائرة القساوة.- قد أصبنا مؤقتاً ما يفي بالحاجة عن مصدر "اللاّأنانيّ"[4] من حيث هو قيمة **أخلاقية** وعن تحديد الأرض التي منها نمت تلكم القيمة[5]: وحده الضمير المعذّب، وحدها إرادة الإساءة لأنفسنا [327]، من شأنها أن توفّر الشرط المسبق[6] حتى تنعقد **قيمة** اللاّأنانيّ.-

.19

إنّه لمرضٌ، هذا الضمير المعذَّب، ليس في ذلك من شكّ، إلاّ أنّه مرض، كما يكون الحملُ مرضاً. فلنبحث عن الشروط التي تحتها بلغ هذا المرض إلى ذروته الأشدّ رعباً والأكثر جلالة: - سوف نرى، ما الذي تسبب حقّاً في دخوله إلى العالم لأوّل مرة. بيد أنّ ذلك قد يحتاج إلى نَفَس طويل، - وقبلُ ينبغي أن نعود مرة أخرى إلى جهة نظر أقدم عهداً. إنّ علاقةَ المدين بدائنه، في القانون

1 – das Hässliche. هنا نقف على السبب الذي جعلنا لا نعوّل على الثنائي القديم "حسن وقبيح" في ترجمة "gut und schlecht".

2 – "الإيثار على النفس وإنكار الذات والتضحية بالنفس" هي حسب نيتشه مفهومات متناقضة لأنّها في جوهرها ضدّ إرادة الحياة، ومن ثمّ هي فقط إرادة تخفي "متعتها": متعةَ مركزيةٍ متنكّرة وخجولة من نفسها، متعة أن يجعل المرء نفسه إلهاً لنفسه، يدور حول نفسه. كل إنكار للذات يخفي عنّا مصلحته وطريقته في تبرير نفسه. قارن: الفجر، § 215.

3 – Selbstlosigkeit. نلاحظ أنّ ترجمة غاليمار 1971 : 98، تضع لفظة "désintéressement" وهو غير دقيق، لأنّ المعنى المقصود هو "الإيثار" ومحبة "الغير" أو الإخلاص. وحتى لو أخذنا اللفظة الفرنسية في معنى "التعويض للدائنين" أو إرضائهم بشيء ما، فإنّ اللفظة "الفرنسية" ذاتها قد استعملها نيتشه في فقرات أخرى في معنى آخر(المقالة III، 6) ومن ثمّ فإنّ وضعها هنا من شأنه أن يدخل اضطرابا وخلطا يمكن تفاديها.

4 – das "Un-egoistische"

5 – قارن : التصدير § 4

6 – Voraussetzung

المدني[1]، التي جرى الكلام عنها بعدُ بإسهاب، إنّما تُؤوِّلت مرة أخرى، وذلك بطريقة مريبة في عين المؤرّخ ولافتة تماما، ضمن علاقة هي بالنسبة إلينا نحن البشر المحدثين ربما تكون من أكثر الأشياء اعتياصا على الفهم: نعني ضمن علاقة **أبناء الحاضر بـأسلافهم**. ففي داخل الاجتماع القبليّ[2] الأصلي- نحن نتحدث عن الأزمنة الأولى- يعترف الجيل الحيّ في كل مرة للأجيال الأقدم منه وبالخصوص للأجيال الأقدم على الإطلاق، المؤسِّسة للقبيلة، بولاء[3] قانونيّ (وليس مجرّد رابطة[4] عاطفية: بل يحقّ للمرء، وليس دون سبب، أن ينكر وجود هذه الرابطة لاسيّما أثناء المدة المترامية الطول من بقاء[5] الجنس[6] البشري). هاهنا تسود قناعةٌ بأنّ القبيلة لا **تستمرّ** في البقاء[7] بأيّ حال من الأحوال إلاّ بفضل تضحيات[8] الأسلاف ومآثرهم، - وأنّ على المرء أن **يسدّد**[9] لهم ما عليه من ذلك بالتضحيات والمآثر: إنّ المرء يعترف من ثمّ بـدينْ ما، هو ما يلبث أن يزداد باستمرار، بأنّ هؤلاء الأجداد في وجودهم الدائم، كأرواح جبارة، لم يكفّوا، بما فيهم من قوة، عن منح القبيلة ميزات وسُلفات جديدة. هل كان ذا شيئاً مجّاناً؟ بيد أنّه لم يكن ثمّة [328] "مجّاناً" بالنسبة إلى تلك الأزمنة القاسية و"الفارغة الفؤاد"[10]. ماذا عسى المرء أن يعطيهم بدلاً؟ - أضاحيَ[11] (في البدء كان الأمر طعاماً، ولنفهم ذلك بأشنع

1 - privatrechtlich

2 - Geschlechtsgenossenschaft

3 - Verpflichtung

4 - Verbindlichkeit

5 - die Dauer. يستعمل نيتشه هذه الكلمة في معنيين معا: 1. المدة أو الفترة ؛ ولكن أيضا 2. البقاء والدوام.

6 - das menschliche Geschlecht. من المفيد أن نرى إلى نيتشه كيف يصرّف المعاني المختلفة للفظة "Geschlecht" حيث تعني هنا: 1. الجنس (البشري)؛ ولكن قبل ذلك 2. القبيلة والعرق. ولكن أيضا: 3. الجيل؛ و4. الجنس (المذكّر والمؤنث وما وراء ذلك)؛ و5. العائلة والنسب. وكان دريدا قد وقف طويلا ذات مرة عند ثراء وتعدّد هذه اللفظة الألمانية المثيرة.

7 - *bestehen*

8 - das Opfer

9 - *zurückzahlen*

10 - “seelenarm“

11 - das Opfer. قبل قليل استعمل نيتشه نفس اللفظة للدلالة على معنى "التضحية". والآن للدلالة على "الأضحية".

الطرق)، أعراساً، كنائسَ، شهاداتٍ شرفيةً، وبالأخصّ طاعةً - ذلكم بأنّ كلّ العادات هي أيضا، بما هي من أعمال الأسلاف، لوائحُ وأوامر-: هل أعطاهم المرء كفايةً يوماً ما؟ هذا الارتياب يظل قائما بل يتنامى: بين الفينة والأخرى هو يفرض خلاصا[1] كبيرا في صفقة واحدة[2]، نحوا من التسديد[3] الفاحش لديون "الغرماء" (التضحية سيّئة السمعة بالمولود الأوّل مثلاً، بالدمّ، بالدمّ البشريّ على كلّ حال).إنّ **الخوف** من الجدّ الأعلى وسلطانه[4]، والشعور بالدَّيْن تجاهه، إنّما يزداد ضرورةً، تبعاً لهذه الشاكلة من المنطق، بقدر ما يزداد بالتحديد سلطانُ القبيلة ذاتها، بقدر ما تكون القبيلةُ ذاتها على الدوام أعلى نصراً وأشدّ استقلالا وأسنى شرفاً وأكثر هيبة. وليس العكس! إنّ كلّ خطوة نحو اندثار القبيلة، كلّ الحادثات التي تنزل بها، كلّ الأمارات على تفسّخها وتحلّلها القادم، إنّما شأنها أن **تُضعِف** دوماً على الأرجح من الخوف من روح مؤسّسها وتمنح على الدوام صورةً فاترة عن حكمته وبصيرته وسلطانه على الحاضر. لنتصوّر هذا الشكل الخام من المنطق وقد بلغ إلى نهايته: لابدّ أنّ الأجداد الأوائل للقبائل **الأقوى سلطانا**[5] قد صاروا في آخر الأمر، عبر تخييل الخوف المتفاقم ذاته، في قامة الجبابرة[6] وزُجّ بهم في ظلمات وحشة إلهيّة لا يمكن تمثّلها:- لابدّ أنّ الجدّ الأوّل في آخر الأمر قد أخذ هيئةَ[7] **إله**. إنّما هاهنا على الأرجح يكمن حتى أصل الآلهة، كذا أصل ينحدر من **الخوف**! ... ومن رأى ضرورةً في أن يضيف: "ولكن أيضا من التقوى!" فإنّه يصعب أن يكون على حقّ بالنسبة إلى ذلك الزمن السحيق من الجنس البشري،

---

1 – Ablösung. علينا أن نرى هنا كيف يجمع نيتشه بين 1. معنى "الخلاص" الديني ؛ و2. معنى "الشراء ثانية" الاقتصادي. وهو وضع دلالي تؤديه العربية صراحة: حيث نجد لفظة "الخلاص" تعني: 1. الخَلاص، في معنى النجاة والفوز بالمعني الديني (المخلّص هو المسيح)؛ و2. الخِلاص، في معنى ما يُعطى بوصفه "مِثْلَ الشيء" أو فديةً عنه؛ وهذه اللفظة الأخيرة قد شاعت في العربية المعاصرة، لاسيّما في المعجم التجاري.

2 – in Bausch und Bogen

3 – Gegenzahlung

4 – لا يمكن إثبات لفظة واحدة مقابلا للفظة " die Macht" فهي تعني: 1. القدرة والمقدرة والاقتدار والوسع والاستطاعة ؛ 2. الطاقة والقوة والطَّول والحول؛ 3. الشوكة والنفوذ والسلطة والحكم والسلطان والقضاء. – وإنّ نيتشه ليصرّف هذه المعاني تصريفا حرّا ماكراً غزيراً.

5 – die *mächtigste*

6 – in's Ungeheure gewachsen

7 – transfigurirt

بالنسبة إلى الزمن الأوّل. لاسيّما وأنّه لكذلك، والحق يُقال، فيما يتعلق بالزمن **الأوسط**، الذي فيه تشكّلت الأعراق[1] النبيلة:- فهذه في الواقع قد أعادت إلى مؤسّسيها وأجدادها الأوائل (إلى أبطالها وآلهتها)، وذلك مع الأرباح والفوائد[2]، كلّ الشيم[3] [329] التي كانت في الأثناء قد تجلّت فيها، الشيم **النبيلة**. سوف نلقي نظرةً فيما لحق على تأثيل[4] نسب الآلهة وتحسينه وتطعيمه[5] (الذي هو بلا ريب شيء مختلف عن "التقديس"[6]): أمّا الآن فعلينا فحسب أن نسير مؤقتاً على طريق هذا التطوّر الكامل في الشعور بالذنب[7] إلى النهاية.

.20

إنّ الشعور بأنّ لنا ديونًا إزاء الآلهة[8] هو، كما علّمنا التاريخ، أمر لم يبلغ خاتمته حتى بعد انحطاط شكل "الجماعة" المنظّمة على قرابة الدمّ؛ كذلك فإنّ الإنسانية، مثلما ورثت مفاهيم "الكريم والدنيء"[9] عن نبالة النسب[10] (بنزعتها النفسية الأساسية لتعيين المراتب)، هي قد تلقّت أيضا مع ميراث آلهة القبيلة والسلالة، أعباء الديون التي لم تُسدَّد والرغبة في خلاصها. (ربّ انتقال قامت به

---

1 – Geschlechter

2 – mit Zins

3 – Eigenschaft

4 – Veradligung

5 – Veredelung

6 – “Heiligung”

7 – قد نلاحظ أنّ استعمالات نيتشه لعبارة "die Schuld " مضاعفة غالبا: فهي تحتمل في نفس الوقت، ولكن بنبرتين إشكاليتين مختلفتين ولكن متضافرتين، 1. معنى "الذنب" ؛ ولكن أيضا، وهو رهان تأويل نيتشه في هذا المقالة، 2. معنى الدَّيْن. إنّه يريد أن يثبت أصل الذنب الأخلاقي في واقعة الدَّين الاقتصادي والقانوني: هو شعور بالذنب متحدّر من **شعور بالدَّين**. (وهو أمر طريف بالنسبة إلى اللغة العربية، ولكن في صعيد آخر: حيث يمكن إرجاع "الدِّين" أيضا إلى "الدَّيْن"، أي ردّ الديانة إلى الاقتصاد والقانون المنجرّ عنه). كأن يقول: في السابق كان للبشر ديون أرضية، ومع مرور الوقت الأخلاقي، صار لهم ذنوب أخرويّة. أليس التنوير هو أن نردّ الذنوب إلى الديون التي صدرت منها ومن ثمّ التحرّر منهما معا؟

8 – Gottheit

9 – "gut und schlecht" في معنى "كريم الأصل" و"دنيء الأصل"، أو الشريف والوضيع.

10 – Geschlecht

تلك الجموع[1] العريضة، المستعبدة والتابعة، التي تكيّفت مع طقوس آلهة أسيادها، أكان ذلك إكراهاً أم استكانةً وmimicry[2]: فمنها[3] خرج هذا الميراث وفاض من بعدُ على كلّ الجهات.) لم يكفّ الشعور بالدين إزاء الآلهة عن التنامي لقرون عديدة، وذلك دوماً بقدر ما كان مفهوم الإله والشعور بالألوهية يُنمَّى على الأرض ويُحمَل إلى الأعالي. (إنّ كلّ تاريخ الكفاح والانتصار والصلح والاندماج بين الأقوام، كلّ ما سبق التراتب النهائيّ لجملة عناصر شعب ما في تلك التوليفة العرقية[4] الكبرى، إنّما ينعكس في الفوضى الجينيالوجية لآلهتها، في الأساطير عن معاركها وانتصاراتها ومصالحاتها؛ إنّ السير نحو الممالك الكونية إنّما هو دوما سير نحو الآلهة الكونية، وإنّ الاستبداد، بقهره [330] للنبالة الحرة، إنّما يعبّد الطريق أيضا على الدوام نحو توحيديّة ما.) إنّ مجيء الإله المسيحي، من حيث هو الإله-الأقصى[5]، الذي تمّ البلوغ إليه إلى حدّ الآن، هو قد أدّى أيضا، لهذا السبب، إلى ظهور أقصى ما يمكن من الشعور بالدَّين على الأرض. لو فرضنا أنّنا دخلنا أخيراً في حركة **معاكسة**، فإنّه يمكن للمرء، وليس دون مصداقيّة ما، أن يستنتج من الانهيار المحتوم للإيمان بالإله المسيحي، أنّه ثمّة الآن انهيارٌ خطير في الشعور الإنساني بالذنب؛ بل ليس علينا أن نستبعد الأمل[6] في أنّ النصر التامّ والنهائيّ للإلحاد قد يخلّص الإنسانيةَ من كلّ هذا الشعور بالدَّين تجاه بداياتها، تجاه ال causa prima[7] التي تدين لها بوجودها. الإلحادُ ونوعٌ من **البراءة[8] الثانية** إنما ينتميان إلى معدن واحد[9].-

---

1 - Bevölkerung

2 - بالانجليزية في النص: "تمويهاً وتنكّرا وتخفّيا" . قارن: **الفجر**، § 26 . – *mimicry* مصطلح وضعه الطبيعيون الانجليز لوصف سلوك بعض الحيوانات التي تتخفّى عن الأعين إمّا بالتلوّن بلون محيطها أو بالتماوت أو باتخاذ شكل أو لون حيوان آخر أو لون الرمل أو الأوراق...

3 - الجموع المستعبدة.

4 - Rassen

5 - der Maximal–Gotte . الإله الأقصى في معنى أقصى ما يمكن من الإله: أكثر وأكبر وأعلى ما يمكن من الألوهية. وكان هيدغر الثاني قد فكّر في معنى "الإله الأخير" (der letzte Gott)، الأخير في معنى الأقصى والنهائي.

6 - Aussicht

7 - باللاتينية في النص "علّتها الأولى".

8 - *Unschuld*

9 - هذا ليس الرأي الأخير لنيتشه حول حرية "الملحد". ففي المقالة الثالثة سوف يدفع بنقده

.21

ذلك، مؤقّتا، باختصارٍ وإجمالاً ما يتعلّق بتواشج مفهوميْ "الذنب" و"الواجب" مع مسبّقات دينية: وقد تركت جانباً التلويث الأخلاقي[1] الحقيقي لهذين المفهومين إلى حدّ الآن عمداً (نعني ارتجاعهما[2] إلى داخل الضمير، وعلى نحو أدقّ، تشابك الضمير **المعذّب** مع مفهوم الإله) وفي خاتمة الفقرة السابقة، تمّ الكلام، كما لو أنّ هذا البناء الأخلاقي لم يكن موجودا أبدا، وبالتالي، كما لو أنّ هذه المفاهيم قد آلت الآن بالضرورة إلى نهايتها، بعد أن سقطت المسبّقة التي تشدّها، الإيمان بـ"دائننا"، الإيمان بالربّ. بيد أنّ واقع الأمر إنّما يختلف عن ذلك اختلافا شديدا. فمع البناء الأخلاقي لمفاهيم الذنب والواجب، ومع ارتدادهما إلى داخل الضمير المعذّب، إنّما وقعت فعلاً وبشكل كامل محاولةُ **عكس** وجهة التطوّر الذي وصفناه للتوّ، أو على الأقلّ إيقاف حركته: أمّا الآن فإنّ الأمل [331] في خلاص نهائيّ للديون **يجب** أن ينسدّ لآخر مرة على نحو متشائم، الآن **يجب** أن ينخسف النظر ويرتدّ وهو حسير، أمام إمكانية لا ترحم، الآن **يجب** على مفاهيم "الذنب" و"الواجب" أن تنقلب على عقبيها - ولكن ضدّ من؟ لا يمكن للمرء أن يداخله شكّ: بادئ ذي بدء ضدّ "المدين"، الذي في صلبه منذ الآن ترسّخ الضمير المعذب وانحفر وتفشّى وتنامى مثل إخطبوط في كلّ جهة وغورٍ، وبلغ حدّا بحيث أنّه في نهاية الأمر مع عدم إمكانية خلاص[3] الدَّين، تمّ أيضاً تصوّرُ[4] عدم إمكانية خلاص الغرامة[5]، وفكرةُ عدم إمكانية دفعها ("العقاب **الأبدي**")-؛ إلاّ أنّ الأمر من شأنه أن ينقلب في النهاية حتى ضدّ "الدائن" ذاته، ليفكّر المرء للتوّ في الـ

إلى النهاية: حيث يبيّن أنّ الإلحاد نفسه يعاني هو بدوره من آثار المثل النسكيّة التي طالت العلم والعلماء في عصرنا. لا يزال الإلحاد يرزح تحت ديانة "لا" ولم يرتق إلى ديانة "نعم".

1 - Moralisirung

2 - Zurückschiebung. ارتجع الشيءَ ردّه إلى الخلف وارتدّه ودفعه إلى الوراء.

3 - Unlösbarkeit

4 - concipiren. الآن نقول (في الرسم المعاصر للغة الألمانية) "konzipieren": خطّط ورسم وتصوّر.

5 - لا يخفى أنّ نيتشه يستثمر هنا (كما في مواضع سابقة) الاستعمال المزدوج (القانوني والديني) لنفس الألفاظ في الألمانية: حيث أنّ "die Busse" تعني في نفس الوقت: 1. الغرامة ودفع غرامة بالمعنى القانوني؛ ولكن أيضا 2. التوبة والكفّارة بالمعنى الديني. والعمل الجنيالوجي هنا هو إرجاع الديني إلى القانوني.

causa prima[1] للبشر، في بداية الجنس البشريّ، في جدّه الأوّل، الذي صار منذ الآن مصاباً بلعنةٍ ما ("آدم"، "خطيئة أولى"[2]، "عبودية"[3]) أو في الطبيعة، التي من رحمها خرج الإنسان والتي فيها أُودِع منذ الآن مبدأ الشرّ ("شيطنة الطبيعة") أو في الوجود[4] بعامة، من جهة أنّه سيظلّ **في ذاته بلا قيمة** (الإدبار العدمي عنه، الشوق إلى العدم أو التوق إلى "ضدّنا"، إلى كيان مغاير[5]، إلى بوذيّة ما وما شابه)- حتى نقف مرة واحدة أمام الوسيلة[6] العجيبة والمروّعة التي عثرت فيها الإنسانية المعذَّبة[7] على ارتياح طويل الأمد، تلك اللمسة العبقرية **للمسيحية**[8]: الإله ذاته الذي يضحّي بنفسه من أجل ذنوب الإنسان، الإله ذاته الذي دفع لنفسه بنفسه، الإله بوصفه الوحيد الذي يمكنه أن يفتدي من[9] الإنسان ما صار عند الإنسان ذاته غير قابل

1 – باللاتينية في النص: "العلة الأولى".

2 – die Erbsünde. بالمعنى الحرفي: "الخطيئة الموروثة" وهو أدقّ من العبارة الشائعة "الخطيئة الأصلية".

3 – "Unfreiheit des Willens". بالمعنى الحرفي "عدم حرية الإرادة". لكنّ نيتشه يستثمر هنا معنيين معاً: 1. معنى لغويا: غياب حرية الإرادة ومن ثمّ معنى الجبريّة وأنّ الإنسان مسيَّر في أفعاله ولا يقصدها ولا يختارها ؛ ولكن أيضا: 2. معنى تاريخيا يعود إلى عصر الإقطاع: unfrei تشير إلى القنّ أو العبد أو المملوك أو المستعبد أو الأسير أو التابع.

4 – das Dasein

5 – ein Anderssein

6 – das Auskunftsmittel.

7 – gemartert

8 – ينظر نيتشه إلى المسيحية بوصفها الشكل الأعلى والحديث من أخلاق الشفقة، فهي "ديانة الشفقة" بامتياز، وهو نقد موجّه بشكل غير مباشر لموقف شوبنهاور. قارن: التصدير، §§ 5–6؛ وكذلك المسيح المضادّ، § 7.

9 – ablösen von. "خلّص من" في معنى افتدى أي أعاد شراء دين أُكره المرء على بيعه، وفكّ رهنه. ومن ثم جاء معنى "التخليص" (Erlösung) بالمعنى الديني أي تحرير الإنسان من مسؤولية ذنوبه. – نلاحظ كيف يلتقي هنا المعنيان اللذان ما فتئ نيتشه يلمّح إليهما: 1. معنى "الخلاص" بالمعنى الاقتصادي أي دفع المستحقّ علينا أو دفع بدل أو تعويض؛ و2. "الخلاص" بالمعنى الديني أي الغفران. والقصد هو أنّ الإله هو الوحيد الذي يستطيع أن "يشتري" من الإنسان "ديونه"، ومن ثمّ هو الوحيد الذي يستطيع أن "يخلّصه" من "ذنوبه". ولا يبدو أنّ القصد هو تخليص الإنسان ذاته بل تخليص ما حمل الإنسان من ديون/ ذنوب لم يعد بإمكانه أن يفتدي نفسه منها بمعنيي الافتداء: دفع الفدية وتحرير النفس. مثلا: افتدت المرأة نفسَها من زوجها أي دفعت له مالاً حتى تخلّصت منه بالطلاق. و"الفادي" هو لقب المسيح الذي فدى البشر بدمه.

للفدية- الدائن الذي يضحّي بنفسه من أجل مَدِينِه، **محبّةً** (هل يمكن لأحد أن يصدّق ذلك؟)، - محبّةً لـمَدِينِه.-

.22

لابدّ أنّ المرء قد خمّن بعدُ، ماذا حدث على الحقيقة مع كلّ ذلك **وتحت** كلّ ذلك: تلك الإرادة [332] لإيلام النفس[1]، تلك القساوة المرتدّة للإنسان-الحيوان الذي نُصّب في الباطن، المطرود إلى داخل ذاته، المحبوس في "الدولة" بغرض التدجين، الذي اخترع الضمير المعذّب، ابتغاء الإساءة[2] إلى نفسه، بعد أن عُطّلت الطريق **الطبيعية** لإرادة الإساءة، - هذا، إنسان الضمير المعذّب قد استولى على المسبّقة[3] الدينية، حتى يبلغ بتعذيبه لنفسه[4] شدّةً وحدّةً ترتجف لها الأوصال. دَيْنٌ إزاء **الربّ**:هذه الفكرة إنّما تصبح عنده آلة تعذيب[5]. هو يقبض في "الربّ" على ما يمكن له أن يعثر عليه من الخلافات القصوى مع غرائزه الحيوانية الصميمة التي لا فكاك منها، بل هو يؤوّل هذه الغرائز ذاتها بوصفها ديوناً إزاء الربّ (باعتبارها عداوةً، تمرّداً، عصياناً ضدّ "السيّد" و"الأب" والسلف وبداية العالم)، ويشدّ وتره داخل التناقض بين "الرب" و"الشيطان"، ويلقي بكلّ "لا"، قالها لذات نفسه، للطبيعة، للفطرة، لواقعة كيانه، خارج نفسه، بوصفها "نعم"، بوصفها شيئا كائنا، متجسّداً[6]، فعليّاً، بوصفها ربّاً، بوصفها قداسة الربّ، بوصفها حكم الربّ، بوصفها جلّاد الربّ، بوصفها آخرة، بوصفها أبديّة، بوصفها عذاباً[7] بلا نهاية، بوصفها جحيماً، بوصفها تفاوتا لا يمكن سبره بين العقوبة والذنب.ذلك ضربٌ من إرادة-الجنون تثوي في قساوة على النفس ليس لها على كلّ حال من مثيل: إرادة الإنسان لأنْ يجد نفسه مذنباً ومنبوذاً إلى درجة ما

1 – Selbstpeinigung

2 – sich wehe zu tun

3 – Voraussetzung

4 – Selbstmarterung . علينا أن نأخذ فعل "martern" الذي يعني عذّب حتى الشهادة في معنى مسيحي (وليس إسلاميا مثلا). ذلك بأنّ القصد هو تعذيب النفس إلى حدّ الموت طوعاً، ومن ثمّ القبول بالموت طوعاً، وليس استبسالاً ضدّ عدوّ جبّار.

5 – Folterwerkzeug

6 – leibhaft

7 – die Marter

لا يمكن التكفير عنه[1]، **إرادته** لأنْ يرى نفسه معاقَباً، دون أن يمكن للعقاب أن يكون مساوياً للذنب أبداً، **إرادته** لأنْ يلوّث[2] وأن يسمّم الأساس الدفين للأشياء بمشكلة العقاب والذنب، وذلك حتى يقطع على نفسه مرة واحدة أيّ مخرج من هذه الغيابة من "الأفكار الثابتة"، **إرادته** لأنْ ينصب مثلا أعلى- مثل "الربّ المقدّس"-، حتى يكون في مواجهته على يقين ملموس بوضاعته[3] المطلقة. آه، أيّة بهيمة مخبولة وحزينة هو الإنسان! أيّة خواطر داهمته، أيّة طبيعة شاذّة، أيّة تباريح خبل، أيّة **بهيميّة** [333] **في الفكرة**[4] تتفجّر[5] منه على الفور، ما إنْ يتمّ منعه ولو قليلا من أن يكون **بهيمة الفعل!**[6] ... كلّ هذا مثير للاهتمام إلى حدّ الشطط، إلاّ أنّه أيضا مدعاةٌ إلى حزن حطيم، عابس، أسود، بحيث أنّه ينبغي على المرء أن يمنع نفسه شديداً من أن يحدّق طويلا في هذه المهاوي[7]. هاهنا يوجد **مرضٌ**، ليس في ذلك من شكّ، المرض الأكثر رعباً، الذي أمكن أن يتفشّى إلى حدّ الآن بين بني البشر:- أمّا من لا يزال باستطاعته أن يسمع (وإن كان المرء لم يعد لديه اليوم الآذان المناسبة لذلك! -) كيف صلصلت، في غور هذا الليل من العذاب[8] والجنون، الصيحةُ **محبّة**، صيحةُ الصبابة الملهوفة، صيحةُ الخلاص في **المحبّة**، فإنّه سينقلب على عقبيه، وقد أخذته رجفةٌ لا تُغلَب... كم في الإنسان من شيء مريع!... لقد كانت الأرض لأمد طويل مارستاناً للمجانين! ...

---

1 - Unsühnbarkeit

2 - inficieren

3 - Unwürdigkeit. بالمعنى الحرفي: "عدم أهليته" أو "عدم كرامته". - قد نرى هنا تخريجا آخر: أنّ حطّ إنسان الضمير المعذّب من قدره وإهانته الإرادية لنفسه هي ما يقابل ذلك "التكريم" الإلهي لآدم في إحدى آيات القرآن (الإسراء، 70). هل يكون الرب قد كرّم الإنسان لكنّ الإنسان هو الذي أهان نفسه ؟؟ - لكنّ نيتشه يسكت عن هكذا فرضية.

4 - *Bestialität der Idee*

5 - herausbrechen

6 - من الفشل الأخلاقي في إرادة الحياة يصبح الطريق سالكا إلى التعلق بالنجاح الديني في عالم آخر. لكنّ الدين أيضا، مثل الأخلاق، ليس له معنى واحد. قارن: الفقرة 23.

7 - Abgründe. - هاويةٌ هي في العربية من أسماء جهنّم.

8 - Marter

23.

إنّ هـذا ليكفي مرةً واحدة فيما يتعلق بمصدر "الإله المقدس".- أمّا أنّ تصوّر الآلهة ليس ينبغي **في ذاته** أن يؤدّي بالضرورة إلى هذا الإفساد للمخيّلة، الذي لم نستطع للحظة أن نُعفيَ أنفسنا من استحضاره، أنّ ثمّة أنواعاً **أكثر نبلا** من الاستعمال لاختراع الآلهة[1]، غير صلب الإنسان لنفسه وتدنيسه لذاته، هذا، الذي فيه نالت أوروبا لألفيْ سنة ريادتها، - فذلك أمر، لحسن الحظّ، لا يزال يمكن أن نظفر به[2] عند كلّ نظرة يلقيها المرء على **آلهة اليونان**[3]، هذه المرائي التي ينعكس عليها بشرٌ نبلاء أسياد على أنفسهم، فيهمُ كان **الحيوانُ** في الإنسان يشعر أنّه مؤلَّهٌ وأنّه **لا** يمزّق نفسه، **لا** يبطش بنفسه بيديه! هؤلاء الإغريق لطالما استخدموا آلهتهم رأساً من أجل أن يقفوا على مسافة[4] من "الضمير المعذّب"، حتى يظلّوا قادرين على الابتهاج بحريّة أنفسهم: كذا في معنى[5] معاكس لاستعمال المسيحية [334] لإلهها. وفي ذلكم هم ذهبوا **شأوًا بعيدا**، هؤلاء الأطفال الكبار المترعون بهاءً المستأسدون؛ لا أقلّ من سلطان[6] زوس هوميروس ذاته يُفهمهم

1 – هذه فكرة على قدر عال من الطرافة والخطورة الفلسفية: أنّ ثمّة أنواعا عدة من الدين، وأنّ الدين المسيحي لم يكن غير الصورة الارتكاسية من التديّن، وأنّ ثمّة طرقا أخرى للتألّه ولاستعمال الآلهة في مغامرة الحياة على الأرض، – إنّما يعني أنّ نيتشه ليس مجرّد ملحد حديث، كما قد تكون أوحت بذلك الفقرة 20 من هذه المقالة الثانية وما سيتوضح جيدا في المقالة الثالثة. والمهمّ جدّا أنّ هذه الفكرة متواترة تحت قلم نيتشه وليست خاطرة عابرة. إنّ النتيجة الحاسمة هي هذه: أنّ نيتشه يعتقد أنّ هناك ديانات فاعلة ومثبتة للحياة ومن ثمّ أنّ ثمّة آلهة غير ارتكاسية، دون حاجة إلى جهاز الذنب أو الضمير الشقي أو الاضطغان. هنا يصبح الدين أداة لإرادة الحياة وليس غاية في ذاته. قارن: **إنساني، مفرط في إنسانيته**، I، §§ 110 و114؛ **ما وراء الخير والشر**، §§ 1 6-62؛ **المسيح المضاد**، §§ 16، 20-23، 31-35، 40-41.

2 – sich abnehmen lassen. لهذه الصيغة استعمال في ميدان الرسم والتصوير: تعني جعله يضع له بورتريه (faire faire son portrait). والأغلب أنّ قصد نيتشه هو "ارتسام الملامح" في نظرة واحدة.

3 – قارن: **ما وراء الخير والشر**، § 49.

4 – sich einen vom Leibe halten. بالمعنى الحرفي: "إبقاء الشيء بعيدا عن الجسد". ولابدّ أنّ نيتشه لا يكتفي هنا بالمعنى المتداول للعبارة بل يقصد أيضا معناها الحرفي. حيث التقابل بين "عذاب الضمير" وبراءة "الجسد".

5 – der Verstand

6 – keine geringere Autorität als

هنــا أو هناك أنّهم قد أخــذوا الأمر هزواً. "عجباً! قالها ذات مــرة – يتعلق الأمر بحالة أغيستوس[1]، بحالة جدُّ منكرة[2]-

"فوا عجباً، لَكَمْ يشتكي الزائلون من الآلهة!

"**فمنّا فحسب تكون الشرور**، كذا يزعمون؛ ولكنّهم بأنفسهم

صنعوا بؤسهم، غباءً، وإن كان ضدّ القدر."[3]

إلاّ أنّ المرء يرى ويســمع هاهنا في ذات الوقت أنّ هذا المتفرّج والقاضيَ الأولمبي هو بمنأى عن أن ينقم عليهم لهذا الأمر أو أن يضمر لهم شرّا: "أيّ **حمقى** همُ!"، كذا هو يرى إلى أخطــاء الزائلين، - "حمقٌ"[4] و"غباءٌ" وبعــض "اضطراب في الدماغ"[5]، تلك أمورٌ حتى يونانُ في زمانها الأعزّ ويومها الباســل، **أباحتها** عند نفســها، أساســاً لكثير من المنكر وكثير ممّا تُخشــى عواقبُه:- حمقٌ، **وليس** خطيئةً! هل تفهمون هذا؟... ولكن حتى هذا الاضطراب في الدماغ إنّما كان أمرا مشكلا- "طبعاً، أنّى لهذا أن يكون حتى ممكنا؟ مــن أيــن أمكن له أصلا أن يحدث، لأدمغــة، مثل التي لدينا **نحــن**، نحن أناس المحتد النبيل والحظّ والتوفيق والمجلس الأحبّ والحســب والفضيلــة؟"- كذا كان اليوناني النبيل يســأل نفســه طيلة قرون عدّة عند كلّ شــناعة أو جريرة لا يفهمها، تلطّخت بها أيدي واحد من نظرائه. "لابدّ أنّ **إلهاً** قد خلب عقله"، كان يقول لنفسه آخر الأمر، وهو يهزّ رأسَه... هذا المخرج **نمط** خاص عند الإغريق...بحيث كان الآلهة يصلحون عندئذ لتبرير الإنسان حتى، إلى حدّ ما، في المنكر، إنّهم يصلحون باعتبارهم [335] سببا أصليا للشر- وعندئذ هم ما أخذوا العقاب على أنفسهم، بل، وهو **أكثر نبلا**، أخذوا الذنب...

24.

- سوف أختم هذا بعلامات استفهام ثلاث، كما سنرى للتو. "هل نرفع هاهنا على الحقيقة مثلا أعلى أم نكسره؟" كذا ربّما سُــئلْتُ... ولكن هل حدث مرة

1 – Ägisthos

2 – schlimm

3 – هوميروس، **الأوديسا**، النشيد الأول، الأبيات 32-34.

4 – Thorheit. الحمق في معنى أنّه لا يخلو من براءة.

5 – “Störung im Kopfe” – بالمعنى الحرفي "اضطراب في الرأس". ولذلك ارتأينا حلاّ وسطا بين "الرأس" (وهو حرفي جدّا) وبين "العقل" (وهو تأويل)، هو لفظ "الدماغ".

أن سألتم أنفسكم كفايةً، كم كان دُفع ثمناً لقاء تشييد **كلّ** مثل أعلى على الأرض؟ كم من واقع كان ينبغي أن يُغتاب وأن يُنكَر، كم من أكاذيب كان يجب أن تُقدَّس، وكم من ضمائر كان ينبغي أن تُكدَّر، وكم من "إله" كان يجب أن يُضحّى به؟ حتى يمكن أن يُشيَّد معبدٌ[1]، **ينبغي أن يُهدم معبد**: ذا هو القانون- وليُرني المرء حالةً، لم يكن فيها سارياً! ... نحن، البشر المحدثين، نحن ورثة تشريح لَلضمائر وتعذيبِ حيواناتٍ ذاتيٍّ[2] دام آلاف السنين: ففي ذلكم حصلنا على تدرّبنا الأطول مدى، وربما على براعتنا الفنّية، وفي كلّ الأحوال على رهافة حسّنا وعلى تدلّلنا الذوقي[3]. لطالما نظر الإنسان إلى دوافعه الطبيعية "بعين الشر"[4]، بحيث أنّها قد تآخت فيه آخر الأمر مع "الضمير المعذّب". إنّ أمرا آخر كان ليكون **في ذاته** ممكنا- ولكن من ذا الذي يملك القوة الكافية لذلك؟- نعني أن نؤاخي مع الضمير المعذّب كلّ **الدوافع غير الطبيعية**، كلّ تلك الصبوات إلى الآخرة، كلّ ما يُضادّ الحواس ويُضادّ الغرائز ويضادّ الطبيعة ويضادّ الحيوان، وباختصار المثل العليا إلى حدّ الآن، التي هي كافّةً مثلٌ معادية للحياة، مثلٌ منكِرة للعالم. ولكن إلى من نولّي وجوهنا اليوم **بهكذا** آمال[5] ودعاوَى؟... إنّ من سيكون ضدّنا في هذا الأمر هم بالذات الناس **الخيّرون**؛ وفوق ذلك، كما يقتضي الأمر، المترفون والراضون والخاوون والمتهوّسون والمتعبون...هل شيءٌ أعمق إهانةً، هل شيءٌ يبتر من الأساس على هذا النحو، مثل أن ندع شيئا يُلاحَظ عن الصرامة والعلياء التي بها [336] نعامل أنفسنا؟ وفي المقابل- كم يبدو كلّ الناس مجاملين، كم متعاطفين إزاءنا، ما إن نأخذ في الأمر مثل كلّ الناس وأن "نستسلم"[6] مثل كلّ الناس! ... قد يحتاج درك هذا المبتغى إلى **نوع آخر** من العقول[7]، غير التي يُحتمل أن توجد في هذا العصر:

---

1 – ein Heiligthum. قد نقول: "مقدِس".

2 – Selbst-Thierquälerei

3 – unsre Geschmacks-Verwöhnung

4 – mit "bösem Blick" . قد نقول: "بنظرة شرّيرة" أو "بعين الاستقباح" وربما "بعين حسودة". لكن حافظنا على لفظة "الشر" لدورها الاصطلاحي في هذه المقالة.

5 – Hoffnungen. كعادته يستثمر نيتشه في هذا اللفظة دلالتيها الكبريين معا: 1. المعنى الديني أي "الرجاء"؛ و2. المعنى غير الديني أي "الأمل". الأوّل يلمّح له ساخرا؛ والثاني يقصده جادّاً.

6 – sich "gehen lassen". أي أن ننسى أنفسنا وأن نتهاون وأن نخوض مع الخائضين وأن ندع الأمور تجري سدى.

7 – قارن: ما وراء الخير والشر، §§ 42-44، 203، 210، 213.

عقول قد ازدادت قوّة بالحروب والانتصارات، بل حتى الغزوة والمغامرة والخطورة والوجيعة قد صارت عندها ضربا من الحاجة؛ قد يحتاج ذلك إلى التعوّد على هواء الأعالي اللافح، إلى ترحال شتائيّ، إلى الثلج والجبال بكلّ المعاني، يحتاج ذلك إلى نوع من الخبث[1] الجليل، إلى ضرب أقصى وواع بذاته من مجون المعرفة، ذاك الذي ينتمي إلى الصحّة الكبرى، بل يحتاج، باختصار واحَسْرَتاه، إلى هذه **الصحّة الكبرى**[2] بالذات ! ... هل توجد هذه الصحة اليوم بالتحديد حتى ولو على صعيد الإمكان؟ بيد أنّه في أيّما وقت، في زمن أصلب عودا، من هذا الحاضر الهشّ، الذي هو من نفسه في ريبة، لابدّ وأن يأتينا الإنسان **المخلِّص**[3]، إنسان الحبّ الكبير والازدراء الكبير، الروح الخلاّق، الذي تسوقه قوّته الدافعة دوما من جديد خارج كلّ وراء وما وراء[4]، الذي وحدتُه يُساء فهمها من الشعب كما لو كانت هروباً **أمام** الواقع-: والحال أنّها ما كانت عنده إلاّ غوصاً في الواقع واندفاناً فيه وطلباً لأعماقه، وذلك من أجل أن يعود إلينا، ذات مرة، متى برز من جديد إلى وضح النور، حاملا **خلاص**[5] هذا الواقع: خلاصه من اللعنة، التي ألقاها عليه المثل الأعلى السائد إلى حدّ الآن. إنسان المستقبل[6]، هذا، الذي سيخلّصنا من المثل الأعلى السائد إلى حدّ الآن، كما **ممّا كان ينبغي أن يتولّد عنه**، من الاشمئزاز الكبير، من إرادة العدم، من العدميّة، هذا الجرس الذي يدق ساعة الظهيرة[7] والقرار العظيم، الذي يجعل الإرادة حرة من جديد، الذي يردّ إلى الأرض هدفها وإلى الإنسان رجاءه[8]، هذا المسيح المضادّ والعدميّ المضادّ، هذا المنتصر على الإله والعدم- **إنّما ينبغي أن يأتي يوما ما...**

---

1 – Bosheit

2 – حول معنى "الصحة الكبرى"، راجع: **المعرفة المرحة**، § 382.

3 – der *erlösende* Mensch .

4 – aus allem Abseits und Jenseits

5 – *Erlösung*.

6 – لطالما انشغل نيتشه بوجهة المستقبل الذي يمكن الدفاع عنه. قارن: **الفجر**، § 575.

7 – "الظهيرة" عبارة مفكّرة جدّ خطيرة في كتاب زرادشت، مثلا: الكتاب الثالث، السطر الأخير من حديث "الشرور الثلاثة".

8 – Hoffnung. يبدو أنّ نيتشه استعاد هنا مفردات المعجم الديني، ولذلك فضلنا هنا عبارة "الرجاء" على لفظة "الأمل".

[337]

.25

- ولكن ما الذي قلتُ هاهنا؟ كفى! كفى! عند هذا الموضع، إنّما يجدر بي شيءٌ واحد، أن أصمت: أو[1] أن أدّعيَ شيئاً وحده من هو أكثر فتوّة، "أكثر مستقبلا"، أكثر قوّة، منّي، هو حرّ لأن يقوم به[2] - شيء وحده **زرادشت**[3] حرّ لأن يقوم له، **زرادشت الذي لا إله له**[4]...

---

1 – sonst

2 – freistehen. بالمعنى العادي يعني هذا الفعل: "جاز" له أن يفعل كذا؛ أو انفرد وعزل نفسه. لكنّ المعنى الذي يلمّح له نيتشه هو على الأرجح مرتبط بالحرية: أن يكون المرء "حرّا" (frei) كفاية حتى يستطيع أن "يقوم" (stehen) به.

3 – قارن: **المسيح المضاد**، § 54.

4 – gottlos

[339]

المقالة الثالثة

أيّ معنى لِمُثُلِ التنسّك؟

"غيرَ عابئين بشيء، مستهزئين، جبّارين
-كذا تريدنا الحكمة أن نكون: فهي امرأة[1]،
ولا تحبّ على الدوام إلاّ رجلاً محارباً"

حدّث زرادشت قال[2]

.1

أيّ معنى لـمُثُلِ التنسّك؟- لدى الفنّانين لاشيء أو أشياء شتّى؛ أمّا عند الفلاسفة والعلماء فشيئاً كما الحدس أو الغريزة يصلح لاقتفاء الأحوال التي هي أليق بروحانية عليا؛ وأمّا عند النساء فهي تعني، على الأكثر، تعطفاً مغرياً آخر، قليلاً من الـ morbidezza[3] على الجلود الناعمة، ملائكيّةَ حيوانٍ غضّ بضّ؛ وأمّا عند الذين تردّت أبدانهم وتعكّر مزاجها (أي عند غالبيّة البشر) فمحاولةٌ لأنْ يبدوا وكأنّهم "طيّبون جدّا" لأنْ يكونوا[4] من هذا العالم، شكلاً مقدّساً من الدعارة، وسيلتهم الكبرى في الصراع مع الألم الطويل ومع السأم؛ وأمّا عند الكهنة[5] فعقيدةَ الكهنوت بالمعنى الصحيح، وسيلتهم إلى السلطة[6] الفضلى وكذلك

---

1 - قارن: **ما وراء الخير والشر**، التصدير؛ **المعرفة المرحة**، التصدير.

2 - مقطع من حديث "القراءة والكتابة" من الكتاب الأول من **حدّث زرادشت قال**. إلاّ أنّه حذف صفة أولى سابقة هي "بواسل" وأثبت الحرف الغليظ في ضمير نحن في عبارة "تريدنا".

3 - بالإيطالية في النص: رقّة، رخاوة، لطف.

4 - "zu gut" für

5 - die Priestern

6 - die Macht

التحليل[1] "الأسمى" للسلطة؛ وفي خاتمة المطاف هي تعني لدي القدّيسين[2] ذريعةً لنوم شتويّ، آخر novissima gloriae cupido[3] لديهم، راحتهم في العدم ("الله")، طريقتهم في الجنونّ. ولكن أنّ المثل الأعلى التنسّكي بعامة قد عنى للإنسان كلّ هذا المعنى[4]، إنّما يعبّر ذلك عن الواقعة الأساسية للإرادة الإنسانية، ما فيها من herror vacui[5]: **فهي تحتاج إلى هدف**، - وأولى بها أن تريد **العدم**، على أن **لا** تريد شيئا.- هل يفهمني أحدٌ؟... هل فهمني أحدٌ؟... **"دونما مواربة، كلاّ! سيّدي!"**- لنأخذ الأمر إذن منذ البداية[6].

[340]

.[7]2

أيّ معنى لـمُثُل التنسّك؟[8] - أو، حتى آخذ حالة بعينها، في شأنها سئلت ذات المرار واستُشرت كفايةً، أيّ معنى لها، حين يأخذ فنّانٌ، مثل **ريشارد فاغنر**[9]، وقد بلغ من الكِبر عِتيّاً، في التغنّي بالعفّة والطهارة[10]؟ أجل، هو بمعنى ما قد فعل ذلك على الدوام؛ إلاّ أنّه لم يأخذ ذلك في معنى

---

1 – die Erlaubnis. التحليل هنا من الحلال، أي عكس التحريم بالمعنى الديني. إذ حاولنا أن نجمع بين معنى الإذن والترخيص (بالمعنى القانوني) و"الحلال" و"الإباحة" (بالمعنى اللاهوتي).

2 – die Heiligen

3 – باللاتينية في النص: "آخر أوسمة المجد" لديهم أو "آخر رغبة لهم في المجد". عبارة مأخوذة من: تاسيت، **التواريخ**. IV، 6. وسبق لنيتشه أن استعمل هذه العبارة في: **المعرفة المرحة**، § 330.

4 – هنا نفهم مغزى إشارة نيتشه عن التأويل في الفقرة 8 من التصدير: إنّ تعدّد المعاني هو الأصل لأنّ الحياة متعددة في طبعها. وذلك يعني أنّ المثل النّسكي ليس له معنى واحد أي "ماهية" أو هدف واحد بل كلّ إرادة اقتدار تؤوّله حسبما تقضي بذلك إرادة الحياة.

5 – باللاتينية في النص: "الخشية من الفراغ" (في معنى "إنّ الطبيعة تخشى الفراغ" في تقليد يعود إلى اليونان).

6 – يتعلق الأمر في هذه المقالة بالفحص عن معنى المثل النسكيّة وقيمتها في كل مرة بالنظر إلى أهمّ الأنماط البشرية، والتي تعود حسب نيتشه إلى خمسة: الفنان والمرأة والفيلسوف والكاهن والعالم. وكنا رأينا في الفقرة 8 من التصدير كيف وصف نيتشه هذه الفقرة 1 بأنّها عيّنة عمّا يسمّيه "تأويلا": أي فهم المثل النسكية بوصفها أشكالا من إرادة الاقتدار الملوّثة بضروب من العدمية.

7 – في الفقرات 2–5، يكشف نيتشه عن معنى المثل الأعلى النّسكي في الفن. قارن: **حالة فاغنر** وضدّ فاغنر.

8 – was bedeuten asketische Ideale ?

9 – Richard Wagner

10 – Keuschheit. في معاني: العفاف والطهارة والعذريّة والصون.

تنسّكيّ إلاّ في الأخير. علامَ يدلّ هذا التغيّر في "المعنى"[1]، هذا التقلّب[2] الجذري في المعنى؟ - إذ الأمر كان بهذه الصفة، لقد انقلب فاغنر بذلك رأساً إلى ضدّه. ماذا يعني، أن ينقلب فنّان إلى ضدّه؟... هنا يخطر في بالنا للتو، متى فرضنا أنّنا نريد أن نعرّج قليلا على هذه المسألة، شيء من ذكرى تلك الحقبة التي كانت على الأرجح الأجمل والأقوى والأشدّ مرحاً **والأكثر شجاعة**، من حياة فاغنر: كان ذلك حينما سيطرت عليه في داخله وأعماقه فكرةُ[3] أعراس لوثر. من يدري بسبب أيّة صدفة أنّنا اليوم، بدلا من موسيقى-الأعراس تلك، نحن حصلنا على موسيقى *Die Meistersinger*[4]؟ وكم في هذه ربما مازال يتابع رنينه من تلك؟ ولكن لا يخامرنّنا أيّ شكّ في أنّ الأمر كان سيتعلّق أيضا في "أعراس لوثر" هذه بمديح في العفّة والطهارة. وعلى ذلك أيضا بمديح للشهوة الحسيّة[5]:- فإنّما على هذا النحو كان الأمر سيبدو لي مستقيماً، هكذا تحديدا كان يكون "فاغنريًّا"[6] أيضا. ذلكم بأنّه ما بين العفّة والشهوة ليس هاهنا من تناقض بالضرورة؛ فكلّ زواج سعيد[7]، كلّ غرام[8] حقيقيّ إنّما هو أكبر من هذا التناقض. وعلى ما يظهر لي، كان فاغنر سيُحسن صنعاً لو أنّه أشعر ألْمَانَه بهذه الواقعة **اللذيذة** وزيّنها في قلوبهم[9] مرة أخرى، بمعونة كوميديا عن لوثر[10]، عذبة وجسورة، إذْ أنّه ثمّة وكان ثمّة دوماً من بين الألمان نمّامون على الشهوة كُثُرٌ؛ وما كان فضل لوثر على الأرجح كبيرا في شيء مثلما كان بخاصة في أنْ كانت له الشجاعةُ على **شهوته** [341] (-التي كانت تُسمّى عندئذ، بشيء من اللطف، "حرية إنجيلية"...) بيد أنّه حتى في تلك الحالة، حيث يوجد فعلاً تناقضٌ ما بين العفّة والشهوة، فلاشيء يدعو أبداً، لحسن الحظّ، لأن يكون تناقضا مأساويّا. وهذا أمر حقيقٌ على الأقلّ بأن يصدق على كلّ من كان من البشر أحسنهم خلقة[11]، وأزكاهم روحاً[12]،

---

1 - diese "Sinnes"-Änderung

2 - der Umschlag

3 - der Gedanke

4 - Die Meistersinger . "أساتذة الغناء". أوبرا قدّمها فاغنر سنة 1868 .

5 - Sinnlichkeit

6 - "Wagnerisch"

7 - gut. على وزن "gutes Ende" – نهاية سعيدة. إذ يشير " gut " أيضا إلى معجم: جميل وراض ورغد وسارّ،...

8 - Herzensliebschaft

9 - etwas zu Gemuthe zu führen.

10 - عن لوثر، قارن: الفجر، § 88؛ المسيح المضاد، § 61.

11 - wohlgerathen

12 - wohlgemuth

الذين هم أبعد الناس عن أن يعجلوا فيحسبوا تقلّب ميزانهم ما بين "الحيوان والملاك" من بين الدواعي ضدّ الوجود، - بل إنّ أرهفهم حسّاً وأصفاهم عيناً، مثل غوته، مثل حافظ[1]، قد رأوا في ذلك جاذبيّة **أخرى** في الحياة. فإنّ هكذا "تناقضات" إنّما تُغري بالوجود...من جهة أخرى، من اليسير أن نفهم أنّه متى كُتب للخنازير المتردّية[2] أن تحبّ العفّة إلى حدّ العبادة- وإنّه لثمّة هكذا خنازير!- فإنّها لن تحبّ فيها ولن ترى فيها إلاّ نقيضها، نقيض خنزير رَدٍ- آه، بأيّ نخير مدمدم وفي أيّة سَورة! شيء يمكن للمرء أن يتخيّله- هذا التناقض المخزي بلا طائل، الذي ما فتئ فاغنر في نهاية حياته يريد أن يصوغه موسيقى وأن يحمله إلى المسرح. **ولكن لأيّة غاية؟** كما يحقّ لأيّ كان أن يسأل. إذْ ما همّه، ما همّنا والخنازير؟-

.3

على أنّه بذلك لم يتمّ تحاشي هذا السؤال الآخر، ما همّه وهذا الفحل الفحيل[3] (آه، المتفحّل بلا فحولة[4])، "ساذج القرية"، **بارسيفال**[5] هذا البائس، القرويّ الفظّ[6]، الذي تحوّل على يديه في نهاية المطاف، بوسائل جدّ محرجة، إلى كاثوليكي؟ - كيف؟ هل كان **جادّا** فيما عناه عموماً في **بارسيفال** هذا؟ قد يودّ المرء أن يفترض العكس، بل حتى أن يتمنّاه، - أنّ **بارسيفال فاغنر** قد يكون شيئا قصده في صفوة بال، كما خاتمة أو دراما ساخرة، بها أراد **فاغنر** التراجيدي، بطريقة مناسبة تليق به، أن يرحل عنّا، أن يرحل عن نفسه أيضا، [342] وقبل كلّ هذا، **عن التراجيديا**، وذلك بشيء من الإفراط في التهكّم، في أكبر وأمكر ضرب من التهكّم بالتراجيديّ[7] نفسه، بكلّ الجِدّ الأرضيّ الرهيب والبؤس الأرضيّ الذي خيّم فيما مضى، **بالشكل الأكثر فظاظة**، الذي تمّ أخيراً تخطّيه، الثاوي في الطبيعة المضادّة لمثال التنسّك. كان يكون ذلك، كما قلت، شيئا يليق حقاً

---

1 - حافظ الشيرازي (ت. 1389) شاعر غنائي وصوفي فارسي. قارن: **المعرفة المرحة**، § 370؛ **ما وراء الخير والشر**، § 198.

2 - verunglückt. - "المتردّية" أي الميتة بسبب سقطة في هوة، وقد نقول "الموقوذة" أي الميتة أو المشرفة على الموت من ضرب شديد. را: القرآن، المائدة، الآية 3.

3 - männlich

4 - unmännlich

5 - *Parsifal*. هو بطل أوبرا ألّفها فاغنر تحت نفس الاسم وأُدِّيت لأوّل مرة سنة 1882.

6 - der Naturbursche. من يبدو في حالة الطبيعة؛ المزارع القروي في الدانوب (Danube).

7 - das Tragische

بتراجيـديّ كبير: ذاك الذي، كما كلّ فنّان، لا يبلغ إلى أوج عظمته إلاّ متى عـرف كيف ينظر إلى نفسـه وإلى فنّه كشيء يقع في **أسـفل** ذاته[1]، - متى عرف كيف **يضحك** من نفسـه. هل كان "بارسـيفال" فاغنر هو ضحكه الحكيم السرّي من ذات نفسه، انتصار حريّة الفنّان العليا والقصوى التي أحرزها، انتصار مـا ورائيّة الفنّـان[2]؟ قد يودّ المرء، كما سـلف، أن يتمنّى ذلـك: إذْ ماذا كان يكون بارسيفال لو كان **قصداً جدّاً**؟ هل على المرء فعلاً أن يرى فيه شيئاً (كما عبّر عن ذلك أحدهم بمحضر منّي) "وليد كرهٍ مسعور للمعرفة والروح وشهوة الحـسّ"[3]؟ لعنةً عـلى الحواس والروح تتنفّس كرهـاً؟ ردّةً وعودةً إلى المثل العليا المسـيحية المريضة والظلاميـة[4]؟ وفي آخر المطاف نفياً للذات، شـطباً للذات، من جانـب فنّان كان يتوق بكلّ مـا في إرادته من قدرة، إلى الضدّ، نعني لأنْ يدفع بفنّـه إلى **أقصى مـا في الروح من الروح وأقـصى ما في الحسّ من الحـس**[5]؟ وليس بفنّه فحسـب: بل بحياته أيضا. ليذّكر المرء بأيّ شغف سار فاغنر في وقته على خطى **فيورباخ** الفيلسـوف: على خطى كلمة فيورباخ عن "الشـهوة المقدّسة"[6]- تلك التي رنّت في سـمع فاغنر مثلما في أسـماع كثيرٍ من ألمان الثلاثينات والأربعينات (- إذْ كانوا يُسـمّون "الألمان **الشـبّان**") وكأنّما هـي كلمة الخلاص[7]. هل **غير** فضـلاً عن ذلك **من طريقته في التعلّم**[8] في آخـر الأمر؟ إذْ يبدو على الأقلّ أنّه **غيّر من تعاليمه**[9]... وليس ذلك من طريق أبواق **بارسيفال** من على المسرح، فحسب:- ففي التآليف الحيرى للسنوات الأخيرة، تلك التي جاءت باهتة بقدر ما هي بلا حريـة، إنّما توجد [343] مئات المواضع، حيث ترشـح رغبـة سرّية وإرادةٌ، إرادة قانطة، مهتزّة، غير معترَف بها، في الوعظ والتبشير بارتداد حقيقي وتام إلى الوراء، بالاهتداء إلى الطريق القويم، بالنفي، بالمسيحية، بالعصور الوسطى، وأن يقول إلى

---

1 - *unter* sich

2 - *Künstler-Jenseitigkeit*. هي ضرب من الآخرة أو من التعالي الخاص بالفنان الحقيقي: أن يكون "ما وراء" ذاته وفنّه.

3 - Sinnlichkeit

4 - obskurantistisch

5 - *höchste Vergeistigung und Versinnlichung*

6 - "gesunde Sinnlichkeit"

7 - Erlösung

8 - *umlernen*

9 - *umlehren*

أتباعــه "لاشيء! ابحثـوا عن الخلاص في مكان آخر!". بـل إنّ "دم المخلص" قد استُشهِد به ذات المرار...

.4

أَنْ أقـول رأيي في هكذا حالــة، وهي لَجدُّ محرجة - على أنّهـا حالة هي **نمط برأسه**[1]-: هو أمر أحســن ما يأتيه المرء في شــأنه هو بلا ريب أن يفصل الفنّان عن عملـه فصلا حـادّا، فلا يأخذه مأخذَ جدٍّ، لا هو ولا عمله. فهل هو في آخر الأمر إلاّ الشرط السابق لعمله، رحم الأم، التربة، وفي بعض الأحايين السماد والسرجين الذي عليه، ومنه ينبت، - ومن ثمّة، في أكثر الأحوال، شيءٌ، ينبغي علٰى المرء أن ينســاه، متى أراد أن يمتّع بالعمل بحدّ ذاتــه. فإنّما التمحيص في **أصل** عمل ما هو من شــأن الفزيولوجيين وفنّيي التشريح الحيواني للروح: لا ولن يهمّ الاستطيقيين[2] والفنانين أبداً! لم يزل على الشــاعر ومؤلّف البارســفال أن ينغمس في روح القرون الوســطى وتضارباتها وأن يغوص فيها على نحو عميــق، موغل، وحتى مريب، لم يزل عليه أن يقف على حدة معادياً لكلّ رفعةٍ وكلّ شدّة وكلّ تأديب للروح، لم يزل عليه أن يقع في نحو من **فساد** العقل (إذا سُمح لي بالتعبير على هذا النحو)، مثلما لا يمكن لامرأة حامل أن تتجنّب قُزوز الحمل وغرائبه: أنّ على المرء، كما قيـل، أن **ينسى**، حتى يهنأ بالولد. وعلى المرء أن يحـترس من هذا الخلط الذي ما أيسر ما يقع فيه أيّ فنّان، بسبب contiguity[3] نفسانية، حتى نتكلّم كالانكليز: أن يتصرّف كما لو أنّه **سيكون**[4] هو ذاته ما هو قادر على تمثّله أو تخيّله أو التعبير عنــه. وفي واقع الأمر: لو كَانَــهُ لما أمكن له بلا ريب أن يتمثّله أو يتخيّله [344] أو يعبّر عنه؛ ما كان هوميروس ليقول شــعراً في أخيل ولا غوته في فاوســت، لو كان هوميروس أخيلاً أو كان غوته فاوســاً. إنّ فنّانــاً تامّا كاملاً إنّما هو، إلى أبـد الآبدين، منفصل عن "الواقــع" وعمّا هو فعلي؛ إلاّ أنّ المــرء يفهم كيف أنّه يمكــن أن يأخذه تعبٌ كأنّه يأسٌ من هــذا "اللاّواقع" الأبدي وهذا الزيف في

1 - typisch

2 - die ästhetische Menschen

3 - بالانكليزية في النص الأصلي: امتداد حبل (الأفكار) وهو مبدأ من مبادئ تداعي الأفكار استعمله هيوم (القرن الثامن عشر) وعلم النفس المنفعي البريطاني (القرن التاسع عشر).

4 - wäre

كيانه[1] الأكثر حميميّة، - كيف أنّه قد تأخذه الرغبة ذات المرار في أن يتخطّى بخاصة أكبر المحظورات لديه، أن يتخطّى الواقع الفعلي، أن **يكون** فعليّا. وماذا كانت النتيجة؟ للمرء أن يخمّن... إنّ هذا هو **الوهن النمطيّ**[2] للفنّانين: ذلك الوهن نفسه، الذي أصاب فاغنر شيخاً، وكلّفه ثمناً جدّ غال وعواقب جدّ وخيمة (- لقد خسر معه أنفس صداقاته[3]). ولكن، في آخر المطاف، وبقطع النظر عن هذا الوهن، من لن يودّ على العموم، محبّةً لفاغنر ذاته، لو أنّه كان ودّعنا وودّع فنّه وداعاً **آخر**، ليس من خلال بارسفال، بل على نحو أكثر ظفراً، وأثبت نفساً، على نحو فاغنريّ أكثر، - أقلّ خداعاً، أقلّ التباساً بالنسبة إلى إرادته في جملتها، أقلّ شوبنهاوريّة، أقلّ عدميّة؟...

.5

- أيّ معنى إذن لمثل التنسّك؟ في حالة الفنان، لقد فهمنا ذلك آخر الأمر: **لا شيء أبدا!**... أو أشياء لا تُحصى بحيث أنّ ذلك يعادل اللاّشيء! ... أعرضوا للتوّ عن الفنّانين: فهؤلاء ليسوا أبداً من الاستقلال والكفاية داخل العالم **وضدّه** حتى تكون تقويماتهم أو تقلّباتها ممّا يستحقّ الاهتمام **في حدّ ذاته!** هل كانوا في كلّ عصر إلاّ خَدَماً لأخلاق ما وفلسفة ما ودين ما؟؛ وذلك فضلاً عن أنّهم كثيراً ما كانوا للأسف يتزلّفون المعجبين بهم ويجرون في هوى أشياعهم، ويبرعون في تملّق القوى الحاكمة[4] أكانت قديمة [345] أم مستجدّة. ومهما يكن من أمر، فهم يحتاجون دوماً إلى حماية، إلى سند، إلى سلطة[5] بعدُ قائمة: إنّ الفنّانين لا يوجدون أبدا من أجل أنفسهم، إنّ الاستقلال والتوحّد شيء هو بعين الضدّ من غرائزهم الدفينة. كذا، مثلا، كان ريتشارد فاغنر قد اتّخذ الفيلسوفَ شوبنهاور، عندما "حان الوقت"، واقياً وحامياً: - من بإمكانه حتى أن يفكّر في أنّه كان يملك **الشجاعة** لأنْ يبحث عن مثله الأعلى في التنسّك، من دون السند الذي تمنحه له فلسفة شوبنهاور، من دون **الثقل الكبير** الذي بلغه نفوذ شوبنهاور في أوروبا

1 - Dasein

2 - *typische Velleität*

3 - لا يقصد نيتشه على الأغلب إلاّ نفسه (صديق فاغنر إلى سنة 1876).

4 - Gewalten

5 - Autorität

إبّــان الســبعينات؟ (وذلك دون أن نأخذ في تقدير مــا إذا كان ممكناً بعامة في ألمانيا **الجديدة** أن يوجد فنّانٌ من دون حليب التفكير[1] الذي يدرّ بالتقوى، تقوى الإمبراطوريــة[2]). – وها نحن وصلنا إلى ســؤال أعلق بالجــدّ وأخطر: ما معنى أن يعمد **فيلســوفٌ** حقيقيّ إلى امتداح التنسّــك واتّخاذه مثلا أعلى، عقلٌ معتمدٌ فعلاً على ذات نفســه مثل شــوبنهاور، رجلٌ وفارسٌ حديد البصر، يملك الشــجاعة على أن يكون لذاته، ويعرف كيف يســتقلّ بنفســه متوحّداً ولا ينتظر أئمّةً ولا إشــارات من أعــلى؟ - دعونا ننظر للتــوّ في الموقف اللافت بل المثير بالنســبة إلى صنف معيّن من الناس، والذي اتّخذه شــوبنهاور من **الفن**: إذ من الواضح أنّه إنّما من أجله اعتنق فاغنر **أوّل الأمر** مذهب شوبنهاور (آخذا في ذلك بنصيحة شاعر، كــما نعلم، بنصيحة هارفيغ[3])، وذلك إلى القدر الــذي معه انبثق تناقضٌ نظري تامّ بين عقيدته الجماليــة المبكّرة وعقيدته اللاحقة، أولاهما كما عبّر عنها، مثلاً، في "أوبــرا ودراما"، وأخراهما كما في الكتابات التي نشرها بدءً من 1870. وعلى الخصــوص أنّ فاغنــر، وهذا ربّما هو أكثر ما يريــب في الأمر، قد غيّر منذئذ من حكمه على ما **للموسيقى** ذاتها من قيمة ومنزلة: ما الذي دفعه إلى أن يجعل منها إلى حدّئذٍ أداةً، وسطاً، "امرأةً"، هي في حاجة ماسّة إلى هدف، إلى رجل، حتى تنمو وتفلــح- أي إلى [346] دراما! لقد تصــوّر، في كرّة واحدة، أنّه، من خلال نظرية شــوبنهاور وتجديده، قد كان ثمّــة **مزيدٌ** يمكن فعلــه in majorem musicae gloriam[4]، - أي من خلال **سيادة** الموسيقى، كما تصوّرها شوبنهاور: الموسيقى وقد أُفردت فنّاً مقابل كلّ الفنون الأخرى، فنّا مســتقلّا بذاته، **ليس** شــأنه، مثل تلــك، أن يعرض صور الظواهر، بل يتكلّــم لغة الإرادة ذاتها، خارجاً للتوّ من "الهاويــة"، بوصفه تجلّيها الأخصّ، الأكثر أصالة والأقــل اتّباعاً. بيد أنّه مع هذا الرفع غير المعهود من قيمة الموسـيقى، كما ينتج في الظاهر من فلسفة شوبنهاور، ازداد في نفــس الكرّة أيضا تقريض **الموسيقيّ** ذاته على نحو لم يُســمع بمثله من قبــل: لقد صــار منذ الآن محدِّثــاً، كاهناً، أكثر من كاهن، هــو فوهة "ذات"

---

1 – Denkungsart. سبق لنيتشه أن استخدم عبارة "حليب التقوى" في ما وراء الخير والشر، § 229. وهي صيغة أخذها من مسرحية غيوم تال (Guillaume Tell) لشيلر (المشهد IV، المقطع 3)، حيث ترد عبارة "حليب التفكير التقيّ" (die Milch der frommen Denkart).

2 – reichsfrommer

3 – Georg Herwegh. شاعر ألماني (1817-1875) معاصر لشوبنهاور.

4 – باللاتينية في النص: "من أجل مجد الموسيقى"، وهو معارضة لقولة مسيحية شهيرة: "من أجل مجد الرب".

الأشـياء[1]، هاتف الآخرة[2]، - هو منذ الآن ليس فقط ينطق موسيقى، هذا المقهاق[3] الإلهي، - بل ينطق ميتافيزيقا: أيّ عجب في كونه سوف ينطق في النهاية يوماً ما مُثُلاً تنسّكيّة؟...

.[4]6

إنّ شـوبنهاور[5] إنّما اسـتعمل التصوّر الكانطي للمشكل الجمالّي لصالحه، - وإنْ كان قطعـاً لم ينظر إليه بأعـين كانطية. قد كان في خلد كانط أنّه يحيط الفـنّ بشرف كبـير إذْ فضّل من صفات الفنّ، ووضَـع في الصدارة، تلك التي تشـكّل شرف المعرفة: أنّه لا شـخصي[6] وأنّه ذو صلاحية كونيـة[7]. أمّا ما إذا لم يكن هذا الأمر في أساسـه خطأً، فليس هذا بموضع للتفاوض في شـأنه؛ إذ أنّ الأمـر الوحيـد الذي أريد أن أضعـه في الصدارة هو أنّ كانط، مثل الفلاسـفة جميعـا، بدلاً من أن يواجه المشـكل الجمالي انطلاقا من تجـارب الفنان (المبدع)، هو قـد تفكّر في الفن والجميل انطلاقا من "المتفـرّج" وحده، وبذلك، دون أن يلحظ، هـو قد زجّ بـ"المتفرّج" ذاته في مفهوم "الجميـل". ولكن، على الأقلّ، لو أنّ هـذا [347]" المتفرّج" قـد كان معروفا كفايةً لدى فلاسـفة الجميل! أعني بـما هو واقعـة وتجربة **شخصيّة** كبرى، بما هو وفـرةٌ من الخبرات الحيّـة[8] القويّة المخصوصـة، والرغبات والفُجاءات والبهجات، في ميدان الجميل! غير أنّ الضدّ، على ما أخشـى، هو ما كان يحدث: فإذا بنا نتلقّـى منهم منذ البداية تعريفاتٍ في قلبهـا يقبع، كما في ذلك التعريف المشـهور الذي أعطـاه كانط عن الجميل،

1 - das "An-sich" der Dinge

2 - ein Telephon des Jenseits

3 - der Bauchredner. يتكلّم من بطنه، دون تحريك الفم.

4 - من الفقرة 6 إلى الفقرة 10، يحلّل نيتشه دلالة المثل الأعلى النّسكي لدى الفيلسوف.

5 - عن التصوّرات الجمالية لدى شوبنهاور، راجع: **العالم إرادةً وتمثّلا**، الكتاب الثالث والملحق للكتاب الثالث. وحول الموسيقى، الكتاب الثالث، الفصل 52 والملحق للكتاب الثالث، الفصل 49.

6 - Unpersönlichkeit

7 - قارن: كانط، **نقد ملكة الحكم**. تحليلية الجميل. استنتاجات اللحظة الأولى (§ 5) واللحظة الثانية (§ 6) واللحظة الثالثة (§ 9).

8 - Erlebnisse

افتقــارٌ صارخٌ إلى أيّة تجربــة خاصة[1] على قدر من الرهافة والتهذيب، في شــكل دودة بدينة من الضلال الكبير. "إنّ الجميل، كذا قال كانط، هو ما يُعجب **بلا مصلحة**"[2]. بلا مصلحة[3]! على المرء أن يوازن هذا التعريف مع ذاك الذي وضعه "متفرّج" وفنان بحقّ - ستوندال[4] الذي سـمّى الجميل ذات مرة une promesse de bonheur[5]. فإنّ ما هو **مستهجَنٌ** ومشطوب ههنا هو تحديدا ما وضعه كانط موضــع الصدارة في الحالة الجماليــة[6]: le désintéressement[7]. من منهما على حقّ، كانــط أم ســتوندال؟ إذا كان جماليّونــا[8] لم يتوانوا عن ترجيــح كفّة الميزان، لصالح كانط، بأنّ المرء، تحت سحر الجمال، إنّما يمكنه أن ينظر **حتى** إلى تماثيل نســاء عارية "دونــما اهتمام ولا مصلحــة "[9]، فإنّه يحقّ لنا أن نتّخذهــم هُزُواً:- فإنّ تجــارب **الفنّانين** هي في هذا الأمر الجلل "أكثر مثــاراً للاهتمام"[10]، وإنّ بغماليون، عــلى أيّة حال، لم يكن بالضرورة "إنســاناً لا-جماليّــاً"[11]. لتكن لنا أفضل فكرة عن براءة جمالييّنا، التي تتراءى لنا في هكذا أدلّة، ولنعدّ من أفضال كانط، على ســبيل المثال، ما كان يجيد تعليمه عن خصوصيّة حاســة اللمس بســذاجة قسّ

---

1 - Selbst-Erfahrung

2 - ohne Interesse. يعنى das Interesse في الألمانية معنيين مترابطين: 1. الاهتمام والاكتراث والمبالاة؛ 2. المصلحة والمنفعة. ولذلك فإنّ قصد كانط هنا مضاعف: ohne Interesse أي بلا مصلحة قد تجعلني أكترث لأمر ما وأهتمّ به. الجميل هو ما يعجبني بقطع النظر عن أيّ غرض أو منفعة.

3 - ما يعيبه نيتشه على كانط هو كونه قد حوّل الفن إلى ظاهرة مفهومية صورية "بلا مصلحة". مثلما فعل مع المسائل الخلقية. وفي الواقع فإنّ موقف كانط من الفن أو من الأخلاق لم يكن "بلا مصلحة" بل كانت تحرّكه مصلحة حادة ناجمة عن نمط بشري معيّن وإرادة اقتدار محدّدة تعود إلى اللاهوت المسيحي وقد أخذ لبوس "الفلسفة المتعالية". إنّه قد رعى في كل مرة نوعا معيّنا من القيم.

4 - Stendhal

5 - بالفرنسية في النص الألماني: "وعد بالسعادة". قارن: ستوندال، في الحب. الكتاب I، الفصل XVII.

6 - der ästhetische Zustande

7 - بالفرنسية في النص الألماني: "الخلوّ من المصلحة".

8 - unsre Aesthetiker

9 - ohne Interesse قد تعني هنا، على الأرجح، "دونما اكتراث" أو "اهتمام" أو "مبالاة". وليس "انعدام المصلحة" بالمعنى النفعي.

10 - "interessanter"

11 - ein "unästhetischer Mensch"

ريفـيّ[1]! -نحن نعود هنا إلى شـوبنهاور الذي خالط الفنـون بطريقة مغايرة تماما لطريقـة كانـط، وعلى ذلك هو لم يفلت من فتنـة التعريف الكانطي: كيف حدث ذلك؟ إنّها لحالة عجيبة: لقد تأوّل عبارة "بلا مصلحة" على النحو الأكثر شخصيّة، انطلاقا من تجربة ينبغي أن تكون عنده في زمرة أكثر التجارب رتابةً وانتظاماً. قليلة هي الأشياء [348] التي تكلّم فيها شوبنهاور بهذا القدر من الثقة كما عن تأثير التأمّل الجمالي: إذ يقول عنه إنّه يُضادّ "الرغبة" **الجنسيّة**[2]، تقريبا كما الجنجل والكافور، وهو لم يتعب أبدا من تمجيد **هذا** التخلّص من "الإرادة" بوصفه الميـزة الكبرى للحالة الجمالية وفائدتها. بل قد يودّ المرء أن يسـأل ما إذا لم يكن تصوّرُه الأسـاسي لـ"إرادة والتمثّل"، والتفكيرُ بأنّه لا يمكن أن يوجد خلاصٌ من "الإرادة" إلاّ من طريق "التمثّل" فحسـب، قد أخذ مصدره من تعميم ما لهذه التجربة الجنسية. (في كلّ الأسئلة التي تتعلّق بفلسفة شوبنهاور، لنقل ذلك على سبيل التعليق، لا ينبغي أن نغفل أبدا عن أنّها تَصَوّرُ شابٍّ في السادسة والعشرين من العمر؛ بحيث أنّها لم تكن فقط قسماً ممّا يميّز شوبنهاور، بل أيضا ممّا يميّز هذه الفترة من الحياة.) لنستمع إلى واحد من بين المقاطع الأكثر بياناً، والتي لا تُحصى، التي كتبها تمجيداً للحالة الجمالية (**العالم إرادةً وتمثّلاً**، ج 1، ص231)[3]، لنستمع إلى النبرة والوجيعة والسعادة والمنّة، التي بها قيلت هكذا كلمات: " هي الحالة الخلوُ من أيّ ألم، تلك التي امتدحها أبيقور بأنّها الخير الأسـمى، وبأنّها الحالة التي هي أليـق بالآلهة؛ فإذا بنا، في تلك اللحظـة، ننعتق من قيد الإرادة البغيض، ونحتفل بالسـبت راحةً من الأشغال الشـاقة في سـجن الإرادة، وإذا بعجلة الإكسيون[4] تتوقّف"... يا لِسَـوْرة الكلمات! يا لهذه الصُوَر من التفجّع والتبرّم! وأيّ تقابل في الزمـان، يكاد يكون مرضيّاً، بين "تلكم اللحظة" وبين "عجلة الإكسـيون" المعتادة و"الأشـغال الشاقة في سجن الإرادة" و"قيد الإرادة البغيض"! ولكن هبْ أنّ شوبنهاور قد كان مائة مرة على حقّ فيما يتعلق بشخصه، فماذا قد يفيد ذلك

1 – قارن: كانط، **الأنثروبولوجيا من وجهة نظر براغماطية**، § 17. – كان أبو نيتشه قسّا ريفيّا. لكنّ كانط يملك لدى نيتشه أدوارا أخرى: 1. هو صورة "العالم" (الفيلسوف المجهَض)؛ 2. ورمز "المؤمن" (القس البروتستانتي بوصفه الجدّ الأكبر للفلسفة الألمانية)؛ 3. ووجه "السوقي" أو "العامي" أو "الشعبوي" (اعتناق أفكار روسو عن المساواة، نقص في التلطّف النفساني،..).

2 – die geschlechtliche "Interessirtheit"

3 – قارن: شوبنهاور، **العالم إرادةً وتمثّلاً**، الكتاب II، الفصل 38.

4 – Ixion. ملك أسطوري يوناني حاول إغراء هيرا، زوجة تزوس، ملك الآلهة. ولأنّه خالد فقد وقع شدّه بالمسامير على عجلة تدور أبدا في لهب الترتار، نهر في الجحيم.

في الإبصار بماهية الجميل؟ لقد وصف شوبنهاور أحد مفاعيل الجمال، أنّه مهدِّئٌ للإرادة- فهل هو على الأقلّ شيءٌ يجري على وتيرة ثابتة؟ إنّ ستوندال، كما سبق أن قيل، الذي هو طبعٌ لا يقلّ حسّاً، وإنْ كان أكثر حظّا [349] في صبغته من شوبنهاور، قد ألْمَعَ إلى مفعول آخر للجميل: "أنّ الجميل بالسعادة **يَعِدُ**"، إذْ يظهر عنده، أنّ ما يقع على وجه الدقة إنّما هو **إثارة الإرادة** (أو إثارة "الاهتمام"[1]) بالجميل. ثمّ، ألا يمكن للمرء في آخر الأمر أن يعترض على شوبنهاور، بأنّه قد ظنّ نفسه كانطيّاً بغير حقّ، بأنّه لم يفهم التعريف الكانطي للجميل فهماً كانطيّاً أبداً ولا بوجه من الوجوه، - بأنّه هو أيضا قد التذّ بالجميل وفقا لـ"مصلحة"[2] ما، بل وفقاً لأقوى المصالح وأكثرها صبغةً شخصيّة: مصلحة المعذَّب الذي يتخلّص من عذابه؟... وحتى نعود القهقرى إلى سؤالنا الأوّل، "ماذا **يعني**، أن يتغزّل فيلسوفٌ بالتنسّك مثلاً أعلى؟"، نحن بذلك على الأقلّ قد حصلنا هنا على إلماحةٍ ألوى: إنّه يريد أن **يتخلّص من عذاب ما**.-

.7

حذارِ من أن نَلقى كلمة "العذاب" بوجوه واجمة: إذ لا يزال، في هذه الحالة تحديداً، كثيرٌ ممّا يمكن أن نحتسبه في الموازنة، كثيرٌ مما يمكن أن نطرحه، بل لا يزال شيء ما مثارٌ للضحك. علينا بخاصة ألاّ نقلّل من شأن هذا الأمر، أنّ شوبنهاور، الذي كان يعامل الجنس[3] في واقع الأمر كعدوّ شخصي (بما في ذلك أداته، المرأة، هذا "instrumentum diaboli"[4])، إنّما كان **محتاجاً** إلى أعداء، حتى يظلّ صافي المزاج؛ أنّه كان يحبّ من الألفاظ اللاذعة، المرّة، الوحشية، الفجّة؛ أنّه كان يغضب، للغضب، ويأخذ الأمر عن الهوى؛ أنّه كان يمكن أن يصير مريضا، كان يمكن أن يصير **متشائما**[5] (- إذ هو لم يكن بالقدر الذي تمنّاه لنفسه) من دون أعدائه، من دون هيغل[6] والمرأة وشهوة الحسّ

1 – das Interesse

2 – das Interesse

3 – Geschlechtlichkeit

4 – باللاتينية في النص. "الأداة الشيطانية" أو "أداة الشيطان".

5 – ein Pessimist

6 – قارن: ما وراء الخير والشر، § 204.

وإرادة الوجود والبقاء برمّتها. ما[1] كان شوبنهاور، لولا ذلك، لِيبقى، وهذا أمر يمكن المراهنة عليه، بل يكون منه قد ولّى هارباً: إلاّ أنّ أعداءه قد أمسكوا به، إنّ أعداءه ما فتئوا يُغرونه بالوجود، وإنّ غضبه، تماما كما لدى الكلبيين القدامى، إنّما كان بلسَمَهُ ونقاهتَه و[350] مكافأتَه، عقّارَه ضدّ التقزّز ومنبع **سعادته**. إنّ في هذا لكفايةً فيما يتعلّق بأخصّ ما هو شخصيّ في حالة شوبنهاور؛ وإن كان لديه، من جهة أخرى، شيء ما نمطيّ[2]، - وإنّما به فحسب نحن نعود مرة أخرى إلى المشكل الذي يخصّنا. إنّه كلّما يكون ثمّة فلاسفة على الأرض وكلّما كان ثمّة فلاسفةٌ (من الهند إلى انجلترا[3]، حتى نأخذ بالقطبين المتقابلين في الموهبة الفلسفية)، إنّما يوجد، على نحو لا مراء فيه، ضربٌ حقيقيّ من غيض الفلاسفة وحقد[4] الفلاسفة على شهوة الحسّ- وليس شوبنهاور غير الانفجار الأفصح بياناً عن هذا الأمر، ولمن له آذان لذلك، الانفجار الأشدّ أخذاً بالأفئدة والأكثر سحراً-؛ أمَا ويوجد أيضا ضربٌ من تحيّز الفلاسفة وتعطّف الفلاسفة إلى المثل الأعلى التنسّكي بكلّيته، وحول هذا الأمر وبإزائه يجب على المرء ألاّ يخدع نفسه. هذان أمران ينتميان، كما سبق أن قيل، إلى نوع[5] [الفلاسفة]؛ فإذا غابَا عن فيلسوف ما، فلا يكون -تأكّدوا من ذلك- إلاّ "مدّعياً"[6]. ماذا **يعني** ذلك؟ إذْ أنّ هذه واقعة علينا قبلُ تأويلها: إذ **في ذاتها**، هي قائمة ههنا عبثاً لأبد الآبدين، مثل كلّ "شيء في ذاته". إنّ كلّ حيوان، كذا هو أيضا حال la bête philosophe[7]، إنّما يصبو بغريزته إلى أقصى ما يمكن من الظروف الملائمة، التي يستطيع من خلالها أن يطلق كلّ قوّته[8] وأن يبلغ إلى أوج شعوره بالاقتدار[9]؛

---

1 – *nicht*

2 – Typisches. أي من "نمط" بشري أو فزيولوجي أو أخلاقي أو قيمي معيّن. إنّ "النمط" هو عند نيتشه مفتاح التأويل لأنّه هو تربة التقويم الحاسمة. وهو ما يعكس دور السؤال "من؟" في معادلة نيتشه.

3 – "من الهند إلى انجلترا" تعني هنا: من الأفضل إلى الأسوأ في الفلسفة. قارن: **ما وراء الخير والشر**، § 252.

4 – Rancune

5 – Typus

6 – "sogenannt". مزعوم أو فيلسوف "مظنون" حسب عبارة الفارابي.

7 – بالفرنسية في النص الألماني: "الدابّة الفلسفية"

8 – قارن: **ما وراء الخير والشر**، § 13.

9 – Machtgefühl

وكلّ حيوان هو، بغريزته أيضا وبرهافة حسّ، "أعلى شأوا من كلّ عقل"[1]، إنّما يمقت أشدّ المقت كلّ ضرب من التطفّل أو الشغب أو الموانع التي تقف أو يمكن أن تقف أمامه في هذه الطريق نحو أقصى المستطاع (- **ليس** طريقه نحو "السعادة" هو ما عنه أتكلّم، بل طريقه نحو الاقتدار، نحو الفعل، نحو الفعل الأشدّ اقتداراً، وفي أكثر الأحوال هو في الواقع طريقه نحو الشقاء).كذا الفيلسوف يمقت **الزواج** مع كلّ ما يمكن أن يُقنعنا به، - الزواج بوصفه عائقا وقدراً مناوئاً[2] يسدّ طريقه نحو أقصى المستطاع.أيّ فيلسوف كبير تزوّج إلى حدّ الآن؟ إنّ هرقليطس وأفلاطون وسبينوزا وليبنتز وكانط وشوبنهاور- لم يتزوّجوا؛ بل أكثر من ذلك، لا يمكن للمرء أن **يتخيّلهم** متزوّجين. إنّ [351] فيلسوفاً متزوّجاً إنّما يجد مكانه[3] **في الكوميديا**، هذه أطروحتي: وأمّا عن هذا الاستثناء السقراطي[4]، فإنّ سقراط الداهية، إنّما تزوّج، على ما يبدو، ironice[5]، وتخصيصاً من أجل البرهنة على **هذه** الأطروحة. كلّ فيلسوف إنّما شأنه أن يتكلّم، كما تكلّم بوذا[6] ذات مرة، إذ أخبروه بأنْ قد وُلِدَ له طفلٌ: "وُلِد رَهُولا[7]، وصنع لي قيداً" (رَهُولا يعني هنا "عفريت صغير")؛ لكلّ "روح حرة" إنّما ينبغي أن تأتي ساعةٌ للتفكّر، متى فرضنا أنّه قد مرّت عليه ساعةُ غفلةٍ، كما حدث مرّة لبوذا هذا- " عسرةٌ خانقةٌ، قال في نفسه، هي حياة البيوت، إنْ هي إلاّ بؤرة للقذارة[8]؛ هل الحريَة إلاّ في ترك البيوت": "وإذْ قال ذلك ترك البيت من ورائه ورحل". إنّ المثل الأعلى التنسّكي إنّما يخبر عن جسور عدّة إلى **الاستقلال**[9]، بحيث إنّ أيّ فيلسوف لا يمكنه، من دون أن يطرب قلبه أو تصفّق يداه، أن يسمّع إلى قصّة أولي العزم هؤلاء جميعاً، الذين قالوا يوماً ما "لا" لكلّ ضرب من الاستعباد[10]

1 – قارن: القديس بولس، رسالة إلى أهل فيليبي 4: 7. قارن أيضا: **ما وراء الخير والشر**، § 218.

2 – das Verhängnis

3 – gehören. في معان عدة: 1. ينتمي إليها بحيث هي تملكه؛ 2. يناسبها؛ 3. يجد مكانه فيها.

4 – عن سقراط والمرأة، قارن: **إنساني، مفرط في إنسانيته I**، § 433.

5 – باللاتينية في النص: "تهكّماً".

6 – الدلالة الموجبة للبوذية، بوصفها "دينا يقع ما وراء الخير والشر"، قارن: **المسيح المضاد**، § 20.

7 – Râhula

8 – Unreinheit

9 – *Unabhängikeit*

10 – Unfreiheit

وذهبـــوا في أيّ **صحراء**: متى قبلنا أصلا بأنّهم كانوا مجرّد حمير قويّة[1] وبعين الضدّ تماما من روح حرّة. أيّ معنى إذن لمثل أعلى تنسّـــكي لدى فيلســـوف؟ إنّما جوابي هو- والمرء لابدّ وأنّه قد حرزه منذ مدة: إنّ شـــأن الفيلســـوف أن يبتسم لمرآه كما للحـــدّ الأقصى من شروط الروحانية العليا والأشـــدّ بلاءً، - وهو بذلـك **لا** ينفي "الكيـــان"[2]، بل هو بذلـك، عـــلى الأرجح، يثبت كيانـــه[3]، وكيانه **فحسب**، وذلـــك ربّما إلى حدٍّ بحيث أنّه يقف ليس ببعيد عن هذه الأمنية المجرمة: pereat mundus, fiat philosophia, fiat philosophus, *fiam*!...[4]

.8

من له عين فليبصر، ليســـوا بشـــهود أو قضـــاة مُنَزَّهِين[5] على **قيمة** المثل الأعلى التنسّـــكي، أولاء الفلاسفة! إنّما يفكّرون في **أنفســـهم**، - ما شأنهم و"القدّيس"[6]! هم يفكّرون في ما[7] لا يمكن **لهم** أبدا الاستغناء عنه [352]: الحرية من الكلفة والإزعاج والضوضاء والمشاغل والواجبات والهموم؛ الصفاء في الذهن؛ أن تكون الفِكـــرُ رقصاً ووثْباً وتحليقاً؛ هواءً عليلا، رقيقاً، رائقا، حرّا، جافّاً، كما هو هواء الأعـــالي، حيـــث يصبح كلّ كائن حيوانـــي روحانيّا أكثر وتنبـــت له أجنحة؛ ســـكوناً في كلّ الدهاليز[8]؛ حيث كلّ الكلاب شُدّت برفقٍ إلى سلاسلها؛ لا نباح عداوة ولا حقد متلبّد؛ ولا ديدان تقرض النفس بالطموحات الجريحة؛ أحشاء قنوعة ومذعنة، مُجِدّة مثل عملِ الطواحين، ولكن من بعيد؛ قلب غريبٌ، يرنو إلى ما وراء المدى[9]، مســـتقبليٌّ، كما مولودٌ بعد موته[10]، - هم يفكّرون، على الجملة،

1 - صورة سبق أن وردت ضمن: ما وراء الخير والشر، § 8.

2 - das "Dasein"

3 - *sein* Dasein

4 - باللاتينية في النص الألماني: "ليفن العالم، لتكن الفلسفة، ليكن الفيلسوف، **لأكن أنا**!"

5 - unbestochnen. من bestechen رشا. والقصد أنّهم لا يقبلون الرشاوى لنزاهتهم.

6 - "der Heilige"

7 - an Das

8 - das Souterrain

9 - jenseits

10 - posthum

من وراء المثل الأعلى النّسـكي، في التنسّك[1] المرح للحيوان الذي صار مؤلّهاً ومجنّحاً، إذْ يجوب فوق الحياة بدلَ أنْ يسكن إليها. إنّ المرء ليعرف الكلمات الثلاث الكبرى التي هي موضع فخار المثل الأعلى التنسّكي: الفقر والخشوع والعفّة: فلينظر المرء مرةً إلى حياة كلّ العقول الكبرى الخصبة والنابغة عن كثب، - إذن ليجدنّ هذه الثلاثة ماثلة أبداً بهذا القدر أو ذاك. ولكن **ليس**، مثلما هو بيّنٌ بنفسه، كما لو كانت بوجه ما "فضائلهم"- إذْ ما عسى هذا النوع من البشر أن يصنع بالفضائل[2]!- بل بوصفها الشروط الأخصّ والأكثر طبيعيّة لبلوغ **أفضل** ما يكون لهم من الوجود، **وأجمل** ما يكون لهم من الخصوبة.وعلى ذلك من الممكن بلا ريب أن تكون روحانيتهم المهيمنة قد وضعت قبلُ أزمّةً لكبرياء جامحة وغضوبة أو حساسيّة ماجنة، أو أنّها على الأرجح لم تُبق إلاّ بشقّ الأنفس على إرادة "الصحراء" التي فيهم صادقةَ الإصرار كفايةً ضدّ ميل ما إلى الترف، كما ضدّ تحرّرية[3] مسرفة في القلب واليد. بيد أنّها لم تفعل ذلك بالذات إلاّ لأنّها الغريزة **الغالبة**[4]، التي تفرض مطالبها على الغرائز الأخرى- هي لا تزال تفعل ذلك؛ فإذا هي لم تفعل، إذن لما كان لها أن تهيمن على شيء. لا يتعلق الأمر إذن بأيّة "فضيلة". أمّا **الصحراء** التي عنها تكلّمت للتوّ، حيث تعتزل العقول القويّة، التي خُلقت مستقلّة، وتتوحّد- أه كم تبدو مغايرة لأيّ صحراء قد تخطر على بال المثقفين-[353] بالمناسبة إنّهم هم أنفسهم الصحراء، أولاء المثقّفون. ومن المؤكّد أنّ كلّ كوميديّ[5] الروح ما كان لهم أن يصمدوا فيها، - إنّها بالنسبة إليهم ليست رومانسيّة كفايةً وشاميّة[6] كفايةً، ليست بصحراء مسرح[7] كفايةً! لا ريب، هي لا تخلو أيضا من الإبل والجِمال: غير أنّ كلّ التشابه إنّما يقف عند هذا

1 - der Ascetismus

2 - هنا نقف على تمييز لطيف بين "الفضائل" أو "المعايير الكونية" للفعل الأخلاقي وبين "القيم". إنّ الفيلسوف لا يحتاج إلى الفضائل بل إلى القيم بوصفها مجرّد "وسائل" في خدمة إرادة الاقتدار التي تحرّكه.

3 - Liberalität

4 - der *dominirende* Instinkt

5 - die Schauspieler. المقصود هم "الممثّلون" المسرحيون.

6 - syrisch. علينا أن نتساءل عن دلالة هذه الصفة لدى نيتشه. يبدو أنّه يشير إلى العبارة: "die Syrische Wüste" – "بادية الشام".

7 - lange nicht Theather–Wüste genug. ربّما يستعمل نيتشه لفظة "die Wüste" (الصحراء) في معنى الصفة "wüst" (مقفر) فنقرأ: "ليست قفراء من المسرح كفاية". قارن: **حدّث زرادشت قال**، الكتاب الأول، "التحوّلات الثلاثة".

الحدّ. ربما هي غموضةٌ مقصودة ؛ هروبٌ[1] من أمام أنفسـهم؛ خشيةٌ من الضوضاء والتشريـف والجريدة والتأثير؛ منصـبٌ صغير، حياة عاديـة، شيءٌ يحجب أكثر ممّـا يضع أمـام الأضواء؛ رفقةٌ في بعض الأحايين مع جمع مـن الحيوانات والطيور اللطيفة والأنيسـة، التي يبعث منظرها على الانشراح؛ صحبةُ الجبل، ولكن ليس جبلا ميّتا، بل جبل له **عيون** (أعني له بحيرات)؛ وبالمناسبة حتى غرفة في نزل يعجّ بالنـاس، حيث يكون المرء على يقين مـن أنّه صار نكرة[2]، ويمكنه أن يتكلّم دونما محاسـبة مع أيّ كان، - فهاهنا توجد "الصحراء": ليت شعري، إنّها مدعاة كافية للشـعور بالوحدة، صدّقوني! حين اعتكف هرقليطس في باحات معبد أرتميس المهيب وأروقته، إنّما كانت هذه "الصحراء" أرفع منزلة، أقرّ بذلك: لماذا **تنقصنا** هكذا معابد؟ (- ربما هي **لا** تنقصنا: إذ تذكّرت فقط غرفة عملي البهيّة، في Piazza di San Marco[3]، في الربيـع طبعاً، وصباحاً أيضا، ذلك الوقت ما بين العاشرة والثانية عشرة.) لكنّ ما كان هرقليطس ينأى بنفسه عنه إنّما لا يزال عين الشيء الذي **نحن** الآن منه هاربـون: الضوضاء والهراء الديمقراطي للإيفيزيين[4]، سياستهم، أخبارهم عن "الإمبراطورية" (الفارسية، على المرء أن يفهمني[5])، سوقهم الرخيصـة[6] عن "الراهن"[7]، - ذلك بأنّنا نحن الفلاسـفة إنّما نحتاج قبل أيّ شيء إلى السـكون: قبل أيّ "راهن". فهل نمجّـد إلاّ الصامت، البارد، النبيل، البعيد، المـاضي، وبعامة كلّ ما عنـد مرآه لا تضطرّ النفـس إلى أن تدافع أو تضيّق على نفسـها، - شيء ما، يمكن للمرء أن يتحدّث عنه، دون أن **يرفع** صوته. على المرء فقط أن ينصت إلى النبرة التي تتخذها روحٌ ما، حينما تتكلّم: لكلّ روح نبرتها، وهـي لَتُحِـبُّ نبرتها. وها نضرب مثـلاً: فذلك عليه أن يكون مشـاغبا، أعني رأسـاً فارغة، قِـدْراً فارغة: فإذا كلّ ما يدخل فيهـا [354]، يخرج غائراً وخائراً، يـرزح تحت الصدى الذي يبعثه الفراغ المطبـق. أمّا ذاك فإنّه يكاد لا ينطق إلاّ مبحوحـاً: أيكون، على الأرجح، قد **فكّر** حتـى بُحّ صوته؟ قد يكون ذلك

1 - ein Aus-dem-Wege-Gehn

2 - verwechselt. مختلط بالآخرين إلى حدّ أنّه صار يشبه أيّ أحد أو أنّه لا أحد.

3 - ساحة القديس مرقس في Venise.

4 - die Ephesier. إشارة إلى أهل "إيفيز" (Ephèse)- بلدة هرقليطس.

5 - نلمح هنا ضربا من التقيّة في الكتابة: إنّ المقصود دون تسميته هو دولة بسمارك.

6 - die Markt-Kram. سوق الأمتعة الرخيصة أو القديمة.

7 - das Heute. "اليوم" أو "العصر". كان ابن خلدون قد استعمل عبارة قريبة من هذا هي "سوق العالم".

ممكنا- على المرء أن يسأل الفزيولوجيين-، لكنّ من يفكّر **بالكلمات**، إنّما يفكّر كخطيب وليس كمفكّر (ذلك يرشح بأنّه في واقع الأمر لا يفكّر في الأشياء المادية[1]، لا يفكّر بشكل ماديّ[2]، بل بالنظر إلى الأشياء المادية، أنّه على الحقيقة يفكّر في **نفسه** وفي مستمعيه). وأمّا هذا الثالث هناك فهو يتكلّم كفضوليّ، إنّه يرفسنا من قريب على أبداننا، ولهاثه يلفح وجوهنا، - وبشكل لاإرادي نحن نغلق أفواهنا، رغم أنّ ما كان يكلّمنا عبره إنّما هو كتاب: إنّ نبرة أسلوبه لَتُنبئ عن السبب، - أنّ لا وقت لديه، أنّ إيمانه بنفسه ضعيف[3]، أنّ عليه أن يقول كلمته[4] اليوم أو لن يفعل ذلك أبدا. لكنّ عقلاً، على يقين من ذاته، لا يتكلّم إلا همساً؛ إنّه يطلب الغيبة[5]، إنّه يدفع الناس إلى انتظاره. وإنّما يُعرَف الفيلسوف بسيماه، كونه يُعرض في طريقه عن ثلاثة أشياء ساطعة وذات ضجيج، عن الشهرة والملوك والنساء: ذلك لا يعني أنّها لن تأتي إليه. هو يخشى الأضواء الوهّاجة: ولهذا هو يخشى عصره و"يومه". إنّه في ذلك يشبه ظلاً: كلّما غابت الشمس عنه، كلّما صار أكبر. أمّا عن"تواضعه"، فهو، كما يتحمّل الظلّ، إنّما يتحمّل أيضا تبعيّة ما وتعتيماً ما: بل أكثر من ذلك، هو في وجل من أن تزعجه ومضة البرق، هو يرتعب من الشعور باللاّحماية كما شجرة جدّ معزولة ومهدورة، عليها يصبّ كلّ طقس سيّء تقلّبه، وكلّ تقلّب طقسه السيّئ. إنّ غريزته "الأمومية"، والمحبّة المكنونة لما ينمو في داخله، إنّها تشير عليه بأن يركب مواقف، حيث يتخلّى المرء عن ضرورة التفكير في **ذاته**؛ في نفس المعنى الذي به تكون غريزة الأمومة في المرأة قد رسّخت الوضع التابع للمرأة بعامة إلى حدّ الآن. إنّهم لا يطلبون في آخر الأمر إلاّ شيئا قليلا، أولاء الفلاسفة، إنّ شعارهم هو "من يملك، يصبح مملوكا"[6]-: **ليس**، كما ينبغي عليّ أن أقول المرة تلو المرة، طلباً لفضيلة ما أو بفضل إرادة محمودة في القناعة و[355] البساطة، بل من أجل أنّ سيّدهم الأعلى يأمرهم بذلك، يأمرهم بحكمة وصرامة: ذاك الذي

---

1 – die Sachen

2 – sachlich

3 – schlecht

4 – zu Worte kommen

5 – die Verborgenheit

6 – "wer besitzt, wird besessen" – من يملك (الأملاك) يصاب بمسّ من الشيطان: من يملك، يصبح مملوكا، أي مأخوذا بما يملك، مولعا به إلى حدّ الخبل أو العبودية.

صرف باله[1] إلى أمر واحد، استجمع له كلّ ما لديه من وقت وقوة[2] ومحبة واهتمام، وجعلهـا له وحده مدّخَرا. هذا الرهط من البشر لا يحبّ أن تزعجه العداوات ولا الصداقات: فما أيسر ما ينسـى وما أهون عليه أن يحتقر. وفي ظنّه أنّه من البلادة في الذوق أن يموت المرء شـهيداً؛ "أن **يتألم** من أجـل الحقيقة"- هم يتركون ذلك للطامحـين وأبطال العقل وفيما خلا ذلك لكلّ من كان لديه لهذا الأمر متّسـع من الوقت[3] (- فهم أنفسـهم، الفلاسـفة، لهم شيءٌ ما عليهـم أن يفعلوه من أجل الحقيقة). هم يقتصدون في استعمال الكلمات الكبرى؛ يقول الناس إنّهم يعافون حتى لفظة "الحقيقة": إنّ لها رنينًا بهرجاً... أمّا فيما يخصّ "عفّة" الفلاسـفة، فإنّ هذا النـوع من العقل إنّما يجد خصوبته، كما هـو بيّن، في شيء آخر غير الأطفال؛ ربما أيضا في موضع آخر يكمن بقاء أسمائهم وخلودهم الأصغر (كان المرء، في الهند القديمة، يصارح أقرانه من بين الفلاسـفة، على نحو أقلّ تواضعاً قائلا: "لِمَ النسل[4] للذي نفسُـه[5] العـالم؟"). ليس هاهنا شيء مـن العفّة[6] المتأتّية عن تطهّر متَنسّـك أو كـرهٍ للحـواس، بقدر ما لا وجـود للعفّة، حينما يكون ريـاضيّ أو مروّض للخيل[7] محجما[8] عن النسـاء: كذا تريد على الأرجـح، على الأقلّ في فترة الحمل، غريزة السـيطرة التي في داخلهم. إذ يعـرف كلّ فنّان كم يكون الجماع مضرّا في حـالات التوتّر والتهيّؤ الروحي الكبير؛ وبالنسـبة إلى أكثرهم قدرة وأقواهم غريـزة، لا يتطلّب ذلك التجربة، التجربة المريرة، - بل إنّ غريزة "الأمومة" التي بداخلهم هي التي تهب هنا، من غير هوادة، للعمل الذي لا يزال في طور التكوّن، كلّ مخزون أو رافد آخر من قوة ومن vigor[9] الحياة الحيوانية: فإذا بالقوة الكبرى **تستهلك** الصغـرى.- وبعد فإنّ المرء ليجد هنا، تبعا لهذا التأويل، ترتيبا مناسـبا لحالة شـوبنهاور التي تحدّثنا عنه فيم سـبق: إنّ منظر الجمال إنّما يعمل عنده، كما

---

1 – Sihn

2 – Kraft

3 – قارن: ما وراء الخير والشر، § 25.

4 – Nachkommenschaft

5 – die Seele

6 – قارن: **حدّث زرادشت قال**، الكتاب الأول، حديث "العفة".

7 – ein Jockey. فارس سباق أو مروّض الخيل.

8 – enthalten. أمسك وأحجم عن شيء ما. وقصد نيتشه هو أنّ "الممتنع" و"المحجم" عن النساء لأسباب رياضية، ليس هو "enthaltsam" – أي متعفّفا أو زاهدا.

9 – باللاتينية في النص: "عنفوان".

هو جليّ، بمثابة إثارة مهيّجة **للقوة الكبرى** في طبيعته [356] (قوة الاعتبار[1] والنظر العميـق)؛ بحيث أنّ هذه متى انفجرت أصبحت في كرّة واحدة سـيدة الوعي. ذلـك لا يجب دون ريب أن يغلق الباب أمـام إمكانية أن تكون هذه الحلاوة والوفرة، التي هي خاصة بالحالة الجمالية، إنّما تسـتمدّ أصلها من عنصر "الشهوة"[2] تحديدا، (الذي هو عين العنصر التي تنحدر منه تلك "المثالية"، التي تميّز الفتيات في سنّ البلوغ) – أنّ الشهوة بذلك لا ترتفع[3] بمجيء الحالة الجمالية، كما اعتقد شـوبنهاور، بل تغيّر وجهها[4] فحسب ولن تلج إلى سـاحة الوعي في شكل إثارة جنسـية. (سـوف أعود مرة أخرى إلى هذه الناحية من النظر، في صلة بالمشاكل الأكثـر لطافة وصعوبة، تلـك المتعلّقة بضرب هو بوجه ما غير مطروق إلى حدّ الآن، وغير مستساغ بوجه ما، من **فزيولوجيا الجماليات**.

9.

إنّ ضربـاً ما من التنسّـك، كما رأينـا، نحواً من التجـرّد[5] الصارم والصافي للإرادة الحسـنى[6] إنّما ينتمي إلى جملة الشروط الملائمة للروحانية العليا، كما أيضا إلى نتائجهـا الطبيعيـة: لذلك لن يتعجّـب المرء لأوّل وهلة مـن أنّ المثل الأعلى التنسّكي لم يُدرَس من قِبل الفلاسفة من دون تحيّز معيّن. إذ عند مراجعة تاريخية جدّيـة إنّما ينكشـف الرابط ما بين المثل الأعلى التنسّـكي والفلسـفة على نحو أوثق وأشدّ حبكة. وقد يمكن للمرء أن يقول إنّما **بالتوكّأ على عصا**[7] هذا المثل الأعلى تعلّمت الفلسـفة أن تمشي خطواتها وخُطيّاتها الأولى على الأرض- آه، إذ لا تزال غرّة تماما، آه، إذ لا تزال بتلك الملامح العابسة، آه، مهيّأة هكذا لأن تسقط

1 - Besinnung

2 - Sinnlichkeit

3 - aufgehoben

4 - transfigurirt. ولا ننس المرجع الديني هنا كما في عبارة "عيد التجلي" المسيحي.

5 - Entsagsamkeit. التجرّد والتنازل والهجران والتزهد والتضحية والتخلي.

6 - bester Willen

7 - am Gängelbande.- يستعمل نيتشه هنا تعبيرا جاهزا يدل على الاتكال على الآخرين والخضوع لوصايتهم. لكنّ المرجع هنا هو معنى لفظة "das Gängelband" - شريطة معلقة بثوب طفل تمسكه فلا يقع عند المشي أو حبال أو سيور لمساعدة الطفل على المشي. وتحرير المعنى هو أنّ الفلسفة قد توكّأت على المثل الأعلى التنسّكي كأنّما على عصا لتعلّم المشي وهي صغيرة تخطو خطواتها الأولى.

وأن تضطجع على بطنها، هذه الخرقاء الصغيرة، الناعمة، ذات السيقان المقوّسة! لقد حدث للفلسفة في البداية ما يحدث لكلّ الأشياء الجميلة، - إذ تظلّ لأمد طويل لا تملك الشجاعة على أن تكون ذاتها، تظلّ دوما تحدّق من حولها ما إذا كان أحدٌ يريد أن يمدّ لها يد العون، [357] بل أكثر من ذلك، هي ما تفتأ في خوف من كلّ الذين يتفرّجون عليها. لنحصي الغرائز والفضائل الخاصة بالفلاسفة، واحدة تلو الأخرى – غريزة الشكّ التي لديه، غريزة النفي، غريزة التأنّي ("الشكوكية"[1])، غريزة التحليل، غريزة البحث والتنقيب والمجازفة، غريزة المقارنة والمماثلة، إرادة المحايدة والموضوعية، إرادة كلّ ما هو sine ira et studio[2]-: من تصوّر بعدُ أنّ هذه كلّها إنّما كانت لمدّة طويلة بعين الضدّ من الإلزامات الأولى للأخلاق والضمير؟ (ولا نحتاج أبدا لأن نتحدّث عن **العقل** بعامة، ذاك الذي كان لوثر[3] لا يزال يحبّ أن يسمّيه "سيّدة الحكمة، المومس الحكيمة"). أنّ فيلسوفاً، فيما **لو كان**[4] له أن يعي بنفسه، إنّما كان ينبغي عليه أن يشعر رأساً بأنّه صيغة مجسّدة من "vetitum in nitimur"[5]- وأنّه تبعا لذلك كان يحترس من "أن يشعر بنفسه"، أن يكون له وعيٌ بنفسه؟... لم يكن الأمر، كما سلف من القول، على نحو مغاير بالنسبة إلى كلّ الأشياء الحسنة التي بها نحن اليوم فخورون؛ حتى لو قيست بمقاييس الإغريق القدماء، فإنّ كينونتنا الحديثة في جملتها، من جهة ما هي ليست ضعفا وإنّما اقتدارا ووعيا بالاقتدار، ستبدو بمثابة تكبر[6] صارخ وهرطقة[7]: ذلك بأنّ الأشياء التي هي على العكس من التي نمجّدها اليوم، هي التي كانت لأزمان متطاولة تحوز على الضمير في صفّها وعلى الربّ حارسا لها. تكبّرٌ هو اليوم موقفنا من الطبيعة برمّته، جورُنا[8] على الطبيعة بواسطة الآلات وقوة الاختراع التي تحدو تقنيينا ومهندسينا دونما حرج

1 – ephektisch. شكّي وشكوكي.

2 – باللاتينية في النص: "دون غضب ولا انفعال". والعبارة مأخوذة عن: تاسيت، **الحوليات** (I، 1).

3 – قارن" المقالة III، 2 و22.

4 – wäre

5 – باللاتينية في النص: "إنّما نحن في شغف بالممنوع". أو كما قال الشاعر: "أحبّ شيء إلى الإنسان ما مُنع". صيغة تعود إلى أوفيد (Ovide)، **العشق والعشاق**، III، 4، 17. والعبارة وردت في: **ما وراء الخير والشر**، § 227.

6 – die Hybris

7 – Gottlosigkeit

8 – Vergewaltigung. العسف والعنف والجور ولكن أيضا (في حالة المرأة) الاغتصاب.

يُذكـر، تكبّرٌ هو موقفنا من الإله، أعني من أيّ عنكبوت مزعوم من الغايات والأخلاق[1] وراء نسيج أحبولة السببية- وقد يحقّ لنا أن نقول كما شارل الجسور[2] في صراعه مـع لويس الحادي عـشر[3]: "je combats l'universelle araignée"[4]-؛ تكبّر هو موقفنا من **أنفسنا**، - فها نحن نجرّب على أنفسـنا، كما لا نُبيحُه على أيّ حيوان، ونشقّ بأيدينا في مسرّة وفضول على النفس وهي في الجسد حيّاً: ما همّنا بعدُ و"خلاص"[5] النفس! وفي أعقاب ذلك [358] نحن نشـفي أنفسنا بأنفسنا: أن يكون المرء مريضا هو أمر مفيد، نحن لا نشّـك في ذلك، بل أكثر إفادة من أن يكـون صحيحا، - إنّ **المتسبّبين في المرض**[6] يظهـرون لنا اليوم أكثر ضرورة حتى من أيّ رهط من المطبّبين أو "المخلّصين"[7]. نحن اليوم نعنّف أنفسـنا بأيدينا؛ ليس في ذلك من شـكّ، نحن كسّـارة جوز النفس، نحن السـائلين والذين هم مدعاة للسـؤال[8]، كما لو أنّ الحياة لم تكن غير ضرب من تكسـير الجوز؛ ولذلك تحديدا نحن ينبغي أن نصبح بالضرورة يوما بعد يوم وعلى الدوام أكثر مدعاة للسـؤال، **أكثر أهلا**[9] لأنْ نطرح الأسئلة، ولذلك تحديدا، على الأرجح، أكثـر أهلاً أيضا – لأنْ نعيش؟... كلّ الأشـياء الحسـنة إنّـما كانت من قبلُ أشياء سيّئة؛ ومن كلّ خطيئة أصلية[10] حدثت فضيلة أصلية. فإنّ الزواج مثلاً قد

1 – Sittlichkeit

2 – Karl der Kühne، والعبارة هي ترجمة ألمانية من الفرنسية: Charles le Téméraire.

3 – Ludwig dem Elfen، من الاسم الفرنسي " Louis XI".

4 – بالفرنسية في النص الألماني: " إنّها أصارع العنكبوت الكوني". – "العنكبوت" هنا رمز لروح الثأر والضغينة العميقة في فكرة الرعاية الإلهية: سببية، غائية، تمنع الكينونة من تقدير نفسها من دون علة أولى، تستعمل "التعالي" و"المفارقة" ضدّ الطابع "الديونيزوسي" للحياة الإنسانية. قارن: **حدّث زرادشت قال**، الكتاب الثاني، حديث "العناكب".

5 – das Heil. السلامة والراحة، ولكن الأقرب هو "الخلاص" بالمعنى الديني، مادام نيتشه قد وضع اللفظة بين هلالين.

6 – die Krankmacher

7 – علينا أن نضع هنا في الاعتبار أنّ "der Heiland" هو لقب المسيح "المخلّص".

8 – Fragwürdigen

9 – würdiger. يستثمر نيتشه هنا بنية اللفظ الألماني "fragwürdig": "مدعاة" للسؤال، مشكوك فيه، مريب، ولكن أيضا بالمعنى الحرفي "أهلٌ لأنْ يُسأل عنه" و"يستحقّ" المساءلة. وربما نقول إنّ المعنى الأول سالب، لكنّ المعنى الثاني موجب.

10 – die Erbsünde

ظهر ولمدة طويلة بمثابة اعتداء[1] على حقوق الجماعة؛ كان المرء في سالف الأزمان يدفع غرامة بأنّه كان على غاية من عدم التواضع إذ تجرّأ على أن يستحوذ على امرأة لنفسه (في هذا يدخل مثلا الـ jus primae noctis[2]، الذي لازال إلى اليوم، في الكومبودج، هو امتياز الكاهن، هذا الحارس "للأخلاق الحميدة"). إنّ المشاعر اللطيفة والطيّبة والرقيقة والحنونة – التي درجت شيئا فشيئا في سلّم القيم إلى أن كادت تكون هي "القيم في ذاتها"- إنّما كانت لأزمان طويلة تُواجَه تحديدا بضرب من احتقار النفس: كان المرء يخجل من اللين، كما يخجل اليوم من الشدّة (قارن: "ما وراء الخير والشرّ" ص 232[3]). الخضوع **للقانون**[4]: - آه بأيّ ضرب من مقاومة-الضمير[5] كانت الأعراق النبيلة على جميع بقاع الأرض قد استطاعت التخلّي عن الـ vendetta[6] والإقرار للقانون[7] بسلطة[8] عليهم! كان "القانون" ولأمد طويل ضربا من الـ vetitum[9]، جنايةً، بدعةً، ظهر بالعنف[10]، **وبصفته عنفا**، لا يذعن له المرء من دون أن يستحي من نفسه. كلّ خطوة صغيرة على الأرض إنّما لم يُظفر بها في الأزمان القديمة إلاّ بعد عذابات روحية وبدنية[11]: كلّ ذلك الرأي القائل "بأنّه ليس التقدّم في الخطو فحسب، كلاّ! بل الخطو، التحرّك، التحوّل، قد تطلّب عددا من الشهداء لا يُحصى"، إنّما له اليوم وقعٌ غريب تماما في أسماعنا، - شيء كنت قد كشفت النقاب عنه في كتاب "الفجر" ص 17 وما بعدها[12]. "لم يُشرَ شيءٌ بأغلى ثمن، أعني خاصة ص 19، من هذا القليل من العقل البشري و[359] من الشعور بالحرية، الذي يمثّل الآن تاج فخارنا. بيد أنّ

---

1 – Versündigung

2 – باللاتيني في النص: "حقّ الليلة الأولى".

3 – ما وراء الخير والشر، § 260. فقرة أساسية في فهم نيتشه حيث وضع منهجه "التيبولوجي" في التمييز بين نمطين كبيرين من القيم: أخلاق الأسياد وأخلاق العبيد.

4 – das Recht

5 – Gewissens–Widerstand

6 – بالإيطالية في النص الألماني: "الثأر".

7 – das Recht

8 – Gewalt

9 – باللاتينية في النص: "الممنوع".

10 – Gewalt

11 – هذه الجملة مستقاة من الفقرة 18 من كتاب **الفجر** مع تحوير ضئيل.

12 – كتاب **الفجر**، § 18. عنوان الفقرة "أخلاق المعاناة الإرادية".

هكذا فخارا إنّما هو السبب في أنّه كاد يصبح من غير الممكن الآن أن نشعر بتلك الأشواط الزمنية الهائلة من "أخلاق العادات والتقاليد"[1]، تلك التي تقع قبل "تاريخ العالم"، بوصفها التاريخ الأكبر، الفعلي والحاسم، الذي عيّن طباع البشريّة[2]: يوم كان يُعدُّ الألمُ فضيلةً والقسوة فضيلة والمداراة فضيلة والثأر فضيلة وإنكار العقل فضيلة، وبعين الضدّ من ذلك كان يُعدّ الهناءُ خطراً والرغبة في المعرفة خطرا والسلم خطرا والشفقة خطرا وأن يكون المرء موضعا للشفقة عاراً والعمل عاراً، أمّا الجنون فنفحة إلهيّة وأمّا **التغيّر** فخُلقٌ قبيح وحملٌ فاسد. "-

.10

لقد بُيِّن في الكتاب عينه (ص 39)[3]، وفق أيّ تقدير، تحت **ثقل** أيّ ضرب من التقدير كان على أقدم جيل من البشر التأمّليين[4] أن يعيش، - بالتحديد كان محتقرا بقدر ما كان غير مُهاب ولا مرهوبا! لقد ظهر التأمّل، لأوّل مرة على الأرض، في هيئة متنكّرة، بسمعة مشبوهة، وقلب رديء وعلى الأغلب برأس تمور قلقاً وخوفاً: ليس في ذلك من شكّ. إنّ ما هو منفعل ومتمعّن ومسالم في غرائز التأمّليين قد أحاطهم لأمد طويل بريبة عميقة: ضدّها لم يكن ثمّة من وسيلة أخرى سوى أن يثيروا إزاءهم **خوفا** شديدا. وإنّه على هذا الأساس كان البراهمة القدماء قد فهموا أنفسهم! كان الفلاسفة الأقدمون يعرفون كيف يمنحون وجودهم ومظهرهم[5] معنى وسنداً وعمقاً، على أساسه يتعلّم الناس كيف **يخافون** منهم: ومتى فحصنا الأمر على نحو أدقّ، انكشفت لنا حاجة أخرى أشدّ غوراً، ألا وهي أن يفرضوا حتى أمام أنفسهم ذاتها ضربا من الخوف والاحترام. ذلك بأنّهم وجدوا في أنفسهم كلّ أحكام القيمة وقد انقلبت **ضدّهم**، وأنّ عليهم [360] أن يهزموا كلّ ضرب من الريبة والمقاومة ضدّ "الفيلسوف الذي في أنفسهم". هذا ما فعلوه، هم أبناء العصور المرعبة، بوسائل مرعبة: القسوة على النفس، إماتة النفس على نحو خلاّق- تلك هي الوسيلة

---

1 – Sittlichkeit der Sitte. قارن: التصدير، § 4؛ المقالة II، 2؛ الفجر، §§ 9 و19.

2 – Menschheit

3 – كتاب الفجر، § 42.

4 – contemplativ

5 – Dasein und Erscheinen

العظمى لهؤلاء الرهبان المتوحّدين المتعطّشين للقوة[1] والمبتدعين للفكر، الذين لم يجدوا بدّا من أن يتعسّفوا أوّلا على الآلهة والسنن في ذات أنفسهم، حتى يمكنهم من بعدُ أن **يؤمنوا** هم أنفسهم بما ابتدعوه. أنا أذكّر هنا بالقصة المشهورة للملك فيسفاميترا[2] الذي ظفر من بعد ألف سنة من تعذيب النفس بهكذا شعور بالقوة والثقة بالنفس، حتى تعلّقت همّته بأن يبني **سماءً جديدة: هوّذا** الرمز الموحش[3] لتاريخ الفلاسفة الأقدم والأحدث عهدا على الأرض، - كلّ من عملت نفسه يوما ما على بناء "سماء جديدة"، إنّما لم يجد من القوة على ذلك إلاّ في **جحيمه الخاص**[4]... لنستجمع كلّ هذه الحالة في صيغة موجزة: لقد كان على الروح الفلسفية في أوّل عهدها أن تتنكّر وتتشرنق[5] دوما في أنماط المتأمّلين التي **ترسّخت من قبل**، بوصفه كاهنا وساحرا وعرّافا وعلى العموم بوصفه صاحب دين، حتى **تكون ممكنة** فحسب، بأيّ قدر اتفق: إنّ **المثل الأعلى التنسّكي** قد خدم لدى الفيلسوف بوصفه شكلا للمظهر وشرطا للوجود، - كان عليه أن **يمثّله**[6] حتى يمكنه أن يكون فيلسوفاً، كان عليه أن **يؤمن** به هو بعينه، حتى يمكنه أن يمثّله. إنّ طريقة عمل الفيلسوف بخاصّته، النافية للعالم، المعادية للحياة، الكافرة بالحواس، المتجرّدة من شهوة الحسّ[7]، التي استمرّت إلى عهد جدُّ قريب ومن ثمّ تقريبًا اكتسبت صلاحية بوصفها **موقف الفيلسوف** كما ينبغي أن يكون **في ذاته**، - إنّما هي قبلُ نتيجةٌ لرداءة الأوضاع التي في ظلّها نشأت الفلسفة بعامة ونجحت في البقاء: ذلك بأنّ الفلسفة على الأرض، طيلة أزمان متطاولة، **لم** تكن

1 - machtdurstig

2 - Viçvamitra. قارن: **الفجر** الفقرة 113.

3 - unheimlich

4 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 129. ليس الفردوس حسب نيتشه سوى نتيجة تحويل العذاب الداخلي والجحيم الخاص إلى محبّة للذة المطلقة وللراحة الدائمة.

5 - verpuppen .- يستعمل نيتشه هنا معجم الحشرات لتخريج نبتة الفيلسوف: حيث يعني فعل "sich verpuppen" - "تشرنق" أي تحوّل إلى خادرة أو نغفة (فراشة). وبالعربية لدينا مرادفات كثيرة: حيث تعني "الشرنقة" و"الصلّجة" و"الفيلجة" غشاء دودة القزّ. وهي بيوت أو أغشية من حرير تنسجها السُّرفة (دويبة) وتتغلّف بها قبل أن تتحوّل إلى خادرة (الشكل الذي تكون عليه الفراشة في المرحلة التي بين البعوضة والحشرة الكاملة).

6 - *darstellen*. مادام نيتشه قد وضع اللفظ بخط مائل، فإنّ علينا أن نضع في الاعتبار جملة المعاني الأخرى من قبيل: أدّى دوراً وجسّم ورسم ولكن أيضا حضّر وأنتج بالمعنى الكيمياوي.

7 - قارن: ما وراء الخير والشر، §§ 62 و229.

لتكون ممكنة أبدا من دون نقاب وكساء تنسّكيّ، من دون سوء فهم تنسّكيّ لنفسها. ومتى عبّرنا عن ذلك بصورة منظورة وبادية للعيان: إنّ [361] **الكاهن المتنسّك** قد قدّم إلى عهد جدّ قريب شكل اليَرَقانةَ[1] الكريهة والمعتمة، التي في كنفها فقط كان يُسمَح للفلسفة بأن تعيش وتتجوّل... هل **تغير** ذلك فعلا؟ هل أنّ الحيوان المجنّح الأبرش المحفوف بالمهالك، هل أنّ تلك "الروح" التي ضمّتها تلك اليَرَقانة بين جنباتها، قد أفلحت بالفعل، بفضل عالم مشمس أكثر، أشدّ دفءً وأصفى إنارة، في أن تنزع أخيرا ثوب الراهب[2] وأن تخرج إلى النور؟ هل يوجد اليوم ما يكفي من كبرياء وجرأة وبسالة وطمأنينة وإرادة روحية وإرادة للمسؤولية **وحرية إرادة**، بحيث أنّ "الفيلسوف" على الأرض قد صار بالفعل منذ الآن أمرا **ممكنا**؟...

11.[3]

والآن لأوّل مرة، بعد أن صار **الكاهن المتنسّك** في مرمى النظر، لنتصدّ للمشكل الذي يهمّنا على نحو جدّي، - الآن فقط أصبح الأمر "جدّا": ها نحن منذ الآن أمام **الممثّل** الحقيقي **للجدّ** بعامة. "ما هو معنى كلّ ضرب من الجدّ؟"- هذا السؤال الذي هو أساسيّ أكثر يوجد على الأرجح هنا بعدُ على شفاهنا: سؤال للفزيولوجيين، كما هو مطلوب، سوف ندعه يفلت من أيدينا لبعض الوقت. إنّ الكاهن المتنسّك إنّما يجد في هذا المثل الأعلى ليس فقط إيمانه، بل أيضا إرادته وقدرته[4] ومصلحته. إنّ **حقّه** في الوجود يقوم ويسقط بذلك المثل الأعلى: أيّ عجب في أن نصطدم هنا بخصم مرعب، متى فرضنا طبعاً أنّنا خصوم لهذا المثل الأعلى؟ من ذاك النوع الذي إنّما من أجل وجوده هو يصارع المنكرين لهذا المثل الأعلى؟...- من جهة أخرى، ليس من المحتمل قبلُ أنّ طرحاً مُغرضاً[5] على هذا النحو لمشكلنا سيكون في صالحه بشكل خاص؛ إنّ الكاهن المتنسّك إنّما يعسر عليه أن يكون المدافع الأفضل عن هذا المثل الأعلى، لنفس السبب الذي

1 – die Raupe. هو الشكل الذي يتّخذه بعض الحيوانات، من حشرات أو أسماك، حين ولادتها.

2 – entkuttet. من لفظة die Kutte أي ثياب الرهبان.

3 – بعد تأويل معنى المثل الأعلى النّسكي لدى الفنانين والفلاسفة جاء دور الكهان، التربة الأولى للنزعة النّسكية. والكاهن هو حسب نيتشه آلة التنسّك بامتياز.

4 – Macht

5 – interessirt

بمقتضاه صار من عادة أيّ امرأة[1] أن تفشل متى [362] أرادت أن تدافع عن "المرأة في ذاتها"، -فما بالك بأن يكون حكماً أو قاضيا نزيها في المساجلة المثارة هنا. إذ قبل ذلك سيكون علينا أن نمدّ له يد العون- كما صار غنيّا عن البيان- حتى يمكنه أن يدافع عن نفسه ضدّنا جيّدا بدلا من أن يكون علينا أن نخشى أن نُهزم أمامه شرّ هزيمة...إنّ الفكرة التي هي قطب الصراع هنا إنّما هي **تقويم**[2] حياتنا في نظر الكاهن المتنسّك: فإنّ هذه (بكلّ ما ينتمي إليها، من "طبيعة" و"عالم" وكلّ دائرة الصيرورة وكلّ ما هو زائل) إنّما توضع لديه في علاقة مع نوع آخر تماما من الوجود، إزاءه هي تسلك بشكل مناوئ ومنافٍ، **اللّهمّ إلاّ أن** تنقلب بمعنى ما ضدّ نفسها، وأن **تنفي نفسها بنفسها**: في هكذا حالة، في حالة حياة متنسّكة، فإنّ الحياة إنّما تسوغ عنده بوصفها جسرا إلى ذلك الوجود الآخر. إنّ المتنسّك[3] يعامل الحياة وكأنّما هي طريق ضالة، منها قد ينبغي على المرء في نهاية المطاف أن يعود القهقرى، إلى الموضع الذي بدأ منه؛ أو كأنّما هي خطأ، يفنّده المرء بالأفعال- أو **يجب عليه** أن يفنّده: ذلك بأنّه **يشترط** على المرء أن يتبعه، إنّه يفرض، حيثما يمكنه، طريقة تقويمه للوجود. فما معنى ذلك؟ إنّ طريقة تقويم مرعبة من هذا النوع لن تُسجَّل بوصفها استثناء أو ضربا من الفضول في تاريخ الإنسان: إنّها من أشدّ الوقائع اتساعا والأطول عمرا التي وُجدت يوما ما. فمتى قُرئت من كوكب بعيد، ربما تقود الحروف الكبرى[4] لوجودنا على الأرض إلى الاستنتاج بأنّ الأرض إنّما هي بحقّ **كوكب متنسّك**[5]، بقعة لمخلوقات منزعجة، متعجرفة ومنفّرة، لم ترد أبداً فكاكًا ممّا ألّم بها من استياء عميق من نفسها، من الأرض ومن الحياة، وتسيء إلى نفسها بقدر الإمكان، إساءةً على سبيل التسلية: - من المحتمل أن تكون هي تسليتها الوحيدة. لننظر على أيّة وتيرة وعلى أيّ مدى كوني سجّل الكاهن المتنسّك ظهوره في كلّ الأزمان؛ إنّه لا ينتمي إلى أيّ عرق بعينه؛ فهو يزدهر في كلّ مكان؛ وينحدر من طبقات الناس[6] كافّة. ليس أنّه بوجه ما قام بتربية نمط تقويمه [363] بالوراثة وشتّله: إنّ ما

1 – ein Weib

2 – *Werthung*

3 – der Asket

4 – قارن: **المعرفة المرحة**، التصدير § 2.

5 – فكرة يفترض شرّاح نيتشه أنّها تحمل نَفَس فولتير.

6 – die Stände

يحدث هو العكس، - إنّ غريزة دفينة تمنعه على الأرجح، متى خرجنا عن اللياقة، عن التناسل[1]. لابدّ أنّ ضرورة[2] من الدرجة الأولى، قد جعلت هذا النوع **المعادي للحياة** ينمو على الدوام ويزدهر، - لابدّ أن تكون هناك **مصلحة ما للحياة نفسها** في أنّ مثل هذا النمط من التناقض مع النفس لا ينقرض. ذلك بأنّ حياة النسك هي ضرب من التناقض مع النفس: هاهنا تسود ضغينة بلا مثيل، تلك التي تحرّك غريزة غير مُشبَعة وإرادة اقتدار[3]، تريد أن تكون سيّدة، ليس على شيء في الحياة، بل على الحياة نفسها، على شروطها السفلى، الأشدّ عمقا والأكثر قوة؛ هاهنا تجري محاولةٌ كي تُستخدَم القوة[4] بهدف سدّ منابع القوة؛ هاهنا ينقلب النظر حسودا[5] وشامتا حتى ضدّ النموّ الفزيولوجي، وعلى الخصوص ضدّ أماراته، الجمال والبهجة؛ في حين أنّه مع الفشل والحرمان والألم والشؤم والقبح والخسارة الإرادية ونفي الذات[6] والتشنيع على النفس والتضحية بالنفس إنّما يكون الشعور بالرضا **والسعي** إليه. إنّ كلّ هذا لمفارقة من الطراز الرفيع: نحن نقف هنا أمام فتنة، **تريد** هي ذاتها أن تكون مفتونة، **وتمتّع** بذاتها في هذا الألم، وإنّما تكون دوما أكثر ثقة بنفسها وأكثر انتصارا، بقدر ما يتقلّص شرطُها، نعني الحيويّة الفزيولوجية. "إنّه الانتصار تحديدا في الرمق الأخير": وإنّما تحت هذه العلامة على طلب المزيد[7] كافح المثل الأعلى التنسّكي على الدوام؛ وفي هذا اللغز الذي قُدَّ من الإغراء وفي هذا المشهد من الافتتان[8] واللوعة هو يتعرّف إلى أوضح أنواره وخلاصه ونصره النهائي.crux, nux, lux[9]– كلّ ذلك عنده بمعنى.

---

1 - die Fortpflanzung. بالمعنى الحرفي: أن يواصل غرس نبتته.

2 - Necessität

3 - Machtwill

4 - die Kraft

5 - grün. بالمعنى الحرفي: "أخضر"؛ ربما القصد هو المرارة والمذاق الفجّ، كما هو حال الثمرة الخضراء التي لم تنضج بعد.

6 - Entselbstung

7 - superlativ

8 - das Entzücken

9 - باللاتينية في النص الأصلي: "الصليب والجوز والنور" (crux, nux, lux). تعريض ساخر بمصطلحات لاتينية مسيحية، لكنّ نيتشه يعوّض "nox" (ليل) بلفظة "nux" (جوز). وفي الفقرة 9 من هذه المقالة وصف نيتشه الفلاسفة قائلا:" نحن كسّارة جوز النفس، نحن السائلين والذين هم مدعاة للسؤال".

.12

لو فرضنا أنّ هذا النوع من إرادة التناقض ومضادّة الطبيعة، قد حُمِلت، بعظمها ولحمها، على **التفلسف**: [364] فعلامَ يا ترى ستصبّ تعسّفها الدفين؟ على الأمر الذي يشعر المرء بكلّ ثقة أنّه حقّ، أنّه واقع: سوف تبحث عن **الخطأ**، بالتحديد هاهنا حيث تكون الغريزة الصحيحة للحياة قد وضعت الحقيقة على نحو لا مشروط. سوف تعمد مثلا، كما يفعل النسّاك في فلسفة الفيدانتا[1]، إلى الحطّ من أمور الجسد[2] كي تصير وهماً، الألم كذلك، والكثرة وكلّ التقابل المفهومي "ذات" و"موضوع" – إن هي إلاّ أباطيل، لاشيء غير أباطيل! أن يمتنع المرء عن الإيمان بأنَاه، أن ينفي بنفسه "حقيقته"[3] -أيّ نصر هذا!- لم يعد مجرّد انتصار على الحواس، على ما تراه العين، بل ضرب من الانتصار، أسمى بكثير، إنّه جورٌ وقسوة على **العقل**[4]: ربّ متعة تبلغ عندئذ هالتها العليا بحيث إنّ الاحتقار التنسّكي للنفس والسخرية من النفس إنّما يسنّ مرسوما للعقل يقول:" إنّ **ثمّة** مملكة للحقيقة والكينونة، لكنّ العقل تحديدا **مستبعدٌ** منها!"... (لنقل طيّ هذا: حتى في المفهوم الكانطي عن "الطابع المعقول للأشياء"، لا يزال شيء من فتنة النسّاك النهمة راسباً، يحلو لها أن تقلب العقل ضدّ العقل: "الطابع المعقول" إنّما يعني لدى كانط هيئة مخصوصة للأشياء، تتصوّر القوة العاقلة[5]، بقدر لا مزيد عليه، أنّها بالنسبة إلى القوة العاقلة - **غير قابلة للتصوّر أبدا ولا بوجه من الوجوه**.) وفي الأخير علينا ألاّ نكون، نحن الباحثين عن المعرفة، ناكرين للجميل إزاء هذا النوع من الانقلابات الحازمة للمنظورات والتقويمات المعتادة، التي بها، لوقت طويل وعلى نحو يبدو منكرا ولا جدوى منه، تثور ثائرة الروح ضدّ نفسها: بحيث يكون لنا أن نرى إلى الأشياء مرة واحدة على نحو مغاير، فإنّ **إرادة** المرء أن يرى على نحو مغاير[6] ليست تربية أو تهيئة هيّنة للعقل من أجل "موضوعيّة" مرتقبة، - دون أن تُفهَم هذه الأخيرة باعتبارها "حدساً" خلوا من

1 – die Vedânta-Philosophie.

2 – Leiblichkeit

3 – seine "'Realität"

4 – die Vernunft

5 – der Intellekt

6 – anders-sehn-*wollen*

أيّ مصلحـــة" (إذ تكون بذلك تصـوّرا باطلا[1] ولا معنى)، بل بوصفها القدرة[2] على أن نملك نَعَمَنا ولاءَنا[3] **تحت سلطتنا** وعلى أن نرفعها أو نضعها كما نريد: بحيـث يعرف المرء حتى بإزاء **اختلاف**[4] المنظورات[5] [365] والتأويلات الوجدانية كيف يجعلها في خدمة المعرفة. لنقي أنفسـنا، سـادتي الفلاسفة، على نحو أفضل منـذ الآن من خطر تلك الخرافـات المفهومية[6] القديمة، التـي وضعت لنا "ذاتا معرفيـة محضة، غريبة عن الزمان، بلا إرادة ولا ألم"، لنقي أنفسـنا من مخالب هذا النحو مـن المفهومات المتناقضة مـن قبيل "العقل المحـض" و"الروحانية المطلقة" و"المعرفـة في ذاتهـا":- فهاهنا يُطلب منّا على الـدوام أن نفكّر في عين لا يمكن أن يُفكَّـر فيها أبدا، عـين، لا يجب أن تكون لها أيّة وجهـة على الإطلاق، وفي رحابهـا يجب على القوى الفاعلة والمؤوِّلـة أن تكون مقموعة، ويجب أن تكون مفقـودة، والحال أنّه إنّما عبرهـا تصبح رؤيةٌ ما رؤيةً لشيء ما، فـإنّ ما يُطلب منّا هاهنـا هو على الدوام شيء لا معقول[7] وتصوّر باطل عن العين. فليس ثمّة **سوى** رؤية منظوريّة[8]، **سوى** "معرفة" منظوريّة؛ **وبقدر** ما ندع قدراً أكبر من العواطف يقول كلمته[9] في أمر ما، نعرف كيف نقحم نحن أنفسنا قدرا أكبر من الأعين، مـن الأعين المختلفة بالنسـبة إلى نفس الأمر، ويكـون "مفهومنا" عن هذا الأمر و"موضوعيتنا" أكثر اكتمالا. أمّـا أن نحذف الإرادة بعامة، أن نعلّق العواطف جملةً وتفصيلا، متى فرضنا جدلا أنّنا نستطيع ذلك: فكيف؟ ألا يكون ذلك **إخصاء** للعقل[10]؟...

---

1 – Unbegriff

2 – das Vermögen

3 – sein Für und Wider

4 – *Verschiedenheit*

5 -- عن الطابع "المنظوري" و"التأويلي" اللامتناهي للوجود، قارن: **المعرفة المرحة**، § 374

6 – Begriffs-Fabelei

7 – ein Widersinn. المعنى الحرفي هو "ضدّ الحسّ"، من "der Sinn" – "الحس" ولكن أيضا "المعنى" ومن ثمّ "العقل".

8 – perspektivisch

9 – zu Worte kommen

10 – كل نبذ للعاطفة هو حسب نيتشه إخصاء للعقل: لأنّ العواطف والانفعالات هي فحولة الغرائز التي تعمل بشكل لاواع في أعماق كلّ إرادة اقتدار، بما في ذلك في صلب العقل نفسه. ونيتشه لا ينبذ العقل إلاّ أنّه يكشف عن ماضيه النّسكي وتورّطه الدفين في تربة المثل العليا التنسّكية.

.13

ولكن لنعد إلى الوراء. فمن الواضح لأوّل وهلة أنّ تناقضا مع النفس من هذا النوع الذي يبدو وكأنّه يجد صورته الجليّة في المتنسّك، من قبيل "الحياة ضدّ الحياة"[1]، هو، متى راجعناه على صعيد فزيولوجي وليس نفسانيّ كما كان يجري من قبل، لا يعدو أن يكون مجرّد سخافة بلا معنى. إنّه لا يمكن أن يكون إلاّ **ظاهرا**[2] فحسب؛ ينبغي أن يكون ضربا من التعبير المؤقت، تفسيرا[3]، صيغةً[4]، زينةً، سوءَ فهم نفسيًّا لشيء ما، لم تُفهَم طبيعته الحقّة لأمد طويل، ولم يمكن أن يُخصَّص في ذاته منذ أمد طويل، - مجرّد لفظ، انحصر في **فجوة** قديمة من المعرفة الإنسانية. وإنّي [366] سوف أستعرض الوقائع التي تتعلق به: **إنّ اتّخاذ التنسّك مثلا أعلى إنّما هو أمر ناجم عن غريزة الحماية والسلامة التي تحدو حياة في طريقها إلى الانقراض،** تسعى إلى البقاء بكلّ الوسائل وتصارع من أجل وجودها[5]؛ إنّه يدلّ على كبح وتعب نفساني جزئي، ضدّه ما لبثت الغرائز الأعمق غورا، التي لم يلحقها أذى، تكافح دون توقّف من خلال وسائل واختراعات جديدة. وما كان مثال التنسّك إلاّ واحدة من هكذا وسائل: كذا يجري الأمر على العكس تحديدا ممّا يظنّ المعجبون[6] بهذا المثال، - إنّ الحياة فيه ومن خلاله إنّما تصارع الموت وضدّ الموت، فإنّ مثال التنسّك هو خدعة فنّية[7] **للحفاظ** على الحياة. أنّه بلغ قدراً استطاع فيه، كما يعلّمنا إياه التاريخ، أن يسيطر على الإنسان وأن يصبح ذا سلطان، وعلى الخصوص في أيّ صقع حيثما تمّ تحويل البشر إلى حضر[8] وتدجينه[9]، فذلك يعبّر عن واقعة كبرى، ألا وهي **الحالة**

1 – كلّ ما يدور في فلك الإنسان هو حياة. ولذلك فإنّ الفصل بين الحياة والمعرفة هو موقف أخلاقي لا يسيطر على مفترضاته الدفينة، أي على العناصر الحيوية التي تعمل فيه. وهذا يعود كلّه حسب نيتشه إلى فهم نُسكيّ للحياة ولعلاقتنا مع غرائزنا. قارن: **ما وراء الخير والشر**، § 6.

2 – *scheinbar*

3 – Auslegung

4 – die Formel. في معنى الصيغة أو المعادلة الرياضية.

5 – بذلك فإنّ السؤال: "أيّ معنى للمثل النّسكية ؟" ليس له من جواب تأويلي آخر غير هذا: "إنّه العدمية".

6 – die Verehrer. من verehren – بجّل ووقّر، ولكن أيضا عبد وقدّس.

7 – ein Kunstgriff

8 – die Civilisation. من civilisieren – حضّر ومدّن. "الحضارة" هي حسب نيتشه الصيغة الضعيفة من "الثقافة": حيث تذبل الغرائز وتتضاءل إرادة الاقتدار.

9 – علينا الإبصار بالفرق الذي يفكّر به نيتشه بين "التربية" (Züchtung) الحيوية و"التدجين"

المرضيّة[1] الثاوية في صنف البشر إلى حدّ الآن، الثاوية على الأقلّ في البشر الذي تمّ تدجينه، الصراع الفزيولوجي للبشر مع الموت (بشكل أدقّ: مع الاشمئزاز من الحياة، مع التعب، مع الرغبة في "النهاية"). إنّ الكاهن المتنسّك هو الرغبة المتجسّدة في أن يكون آخرَ[2]، في أن يكون في غير هذا المكان[3]، وعلى الحقيقة هو الدرجة العليا من هذه الرغبة، حرارتها وسَورتها الصميمة: غير أنّ **قوّة**[4] رغبته بالذات هي القيد الذي يشدّه إلى هنا، ومن طريق ذلك بالذات هو يتحوّل إلى أداة، مجبراً بذلك على أن يعمل على خلق شروط ملائمة لأنْ يكون هنا[5] ولأنْ يكون إنساناً، - وإنّما بهذه **القوّة** بالذات هو يشدّ كلّ قطيع[6] الفاشلين والساخطين وسيّئي الحظّ والمصابين والمتألّمين من أنفسهم إلى هذا النوع من الكيان[7]، بأن يتقدّمهم بالغريزة كما يفعل الراعي. إنّ المرء قد فهم قصدي: هذا الكاهن المتنسّك، هذا العدو الظاهري للحياة، هذا الذي **يجيب بالنفي**[8]، - إنّما هو تحديدا ينتمي إلى أكبر قوى[9] الحياة **المحافظة** تماما والتي **خلقت نَعَمْ**[10]... إلام تعود هذه الحالة [367] المرضيّة؟ إذْ أنّ الإنسان هو أكثر مرضا وخوفا وتبدّلا وثباتا من أيّ حيوان، ليس في ذلك من شكّ، - إنّه الحيوان المريض[11]: من أين تأتّى هذا؟ بلا ريب، هو أيضا قد تجرّأ وجدّد

(Zähmung) الحضاري. راجع: المقالة II، 1؛ **أفول الأصنام**، فصل "عن محسّني الإنسانية"، §§ 2-5.

1 - *Krankhaftigkeit*

2 - ein Anders-sein

3 - ein Anderswo-sein

4- *Macht*. - نحن نقول "قوة" وليس "اقتدار" لأنّ نيتشه يتكلّم هنا عن "الكاهن" وليس عن طبقة "النبلاء". أمّا ما ينبغي أن نقف عنده هو أنّ إقحام مفهوم "die Macht" هو هنا منعطف حاسم في مسار هذه المقالة. حيث سيعمل نيتشه على إثبات أنّ المثل الأعلى النسكي هو في واقع الأمر ضرب مريض ومقلوب من إرادة الاقتدار. وليس من حلّ إلاّ في بلورة نوع من تأويلية الاقتدار هي الكفيلة بتخريج نظرية في تعدد المعاني بناءً على تعدد الأنماط البشرية وحروف السؤال "من".

5 - das Hiersein

6 - die Heerde

7- Dasein. في معنى "الحياة". لكنّنا قصدنا باختيار لفظة "الكيان" بناء تناظر مع عبارات سابقة هي "أن يكون هنا" و"أن يكون إنسانا".

8 - der Verneinende

9 - die Gewalten

10 - die Ja-schaffenden

11 - قارن: **حدّث زرادشت قال**، حديث "الأحداث الكبرى"، حيث يصف نيتشه "الإنسان" بأنّه اسم مرض من الأمراض الجلدية للأرض.

وواجه وتحدّى القدر أكثر من سائر الحيوانات مجتمعةً: هو، المجرّب الكبير على ذاته، الذي لا يرضى ولا يشبع، الذي يصارع مع الحيوانات والطبيعة والآلهة من أجل السيادة القصوى، - هو، الذي لم يُقهَر بعدُ على الدوام، الآتي-أبداً[1]، الذي لم يعد يجد أيّ شكل من الراحة من القوى التي تتزاحم في داخله، بحيث إنّ مستقبله ما فتئ ينكأ دونما رحمة في لحم كلّ حاضر كما بمهماز:- كيف لا ينبغي لهكذا حيوان شجاع وزاخر ألاّ يكون أيضا الأكثر عرضة للخطر على الإطلاق، الأطول والأبلغ مرضا من بين كلّ الحيوانات المريضة؟... إنّ الإنسان ليسأم من ذلك، وكثيرا ما توجد أوبئة كاملة من هذا السأم (- كما حدث حوالي 1348، في زمن رقصة الأموات[2]): بيد أنّه حتى هذا التقزّز، هذا الكلل، هذا الاشمئزاز من النفس- كلّ ذلك يخرج منه على نحو من القوة بحيث أنّه يتحوّل للتوّ مرة أخرى إلى قيد جديد. إنّ لاَءَهُ[3] التي يقولها للحياة، إنّما تحمل إلى النور، كما بشيء من السحر، وفرةً كبيرة من نعمات أكثر نعومة[4]؛ أجل، حين **يجرح** نفسه، هذا المايسترو في التدمير، في تدمير النفس، - فإنّ الجرح ذاته هو ما يجبره من بعد ذلك على **الحياة**...

.14

إنّه بقدر ما تكون الحالة المرضيّة في البشر أمرا اعتياديا أكثر[5]- ونحن لا يمكننا أن نضع هذه الاعتياديّة[6] موضع إنكار-، يجب على المرء أن يراعي تلكم الحالات النادرة من الاقتدار[7] النفسي والجسدي، بوصفها **ضربات الحظ** التي أصابها البشر، وأن يقدّرها تقديرا عاليا، ويكون عليه أن يعقد العزم أكثر على وقاية الأسوياء[8] من أكثر الأجواء[9] سوءًا، من جوّ المرضى.فهل نفعل

1 - der ewig-Zukünftige

2 - der Todtentanz. تشير العبارة في الفن إلى رسم من القرون الوسطى الأوروبية يمثّل الموتى من جميع الطبقات وهم يرقصون.

3 - sein Nein

4 - eine Fülle zarterer Ja's. حاولنا هنا أن نؤدّي "نعم" في الجمع، من خلال عبارة "نعمات"، وقد يجدر بنا أن نقول "إنعامات". والعربية تبزّ هنا على الألمانية واللغات الغربية، حين توفّر رابطا اشتقاقيا بين "نعم" و"النعومة" (Zartheit) التي يلمّح إليها نيتشه.

5 - normaler

6 - Normalität

7 - Mächtigkeit

8 - die Wohlgerathen

9 - die Luft. لابد أنّ نيتشه لا يقصد "الجوّ" فقط بل "الهواء" أيضا. والألمانية تشير إليهما بلفظ

ذلك؟... إنّ المرضى هم أكبر خطر على الأصحّاء؛ **ليس** من الذين هم الأقوى[1] يـأتي الويل إلى الأقوياء، بل من الذين هم [368] الأضعف. هل نعرف ذلك؟... وبالجملـة، ليس الخوف من الإنســان هو بأيّ حال ما يجدر بنـا أن نتمنّى التقليل منـه: إذ أنّ هـذا الخوف هو ما يجـبر الأقوياء على أن يكونـوا أقوياء، وفي بعض الأوقات أن يكونوا مصدرا للخوف، - إذْ هو ما يحفظ نمط الإنسـان السـويّ **منتصباً**[2]. إنّ مـا يدعو إلى الخوف، مـا يعمل على نحو أكثر شـؤما من أيّ قدر مشـؤوم، لن يكون الخوف الكبير، بل **الاشمئزاز** الكبير من الإنســان؛ كما **الشفقة** الكبيرة على الإنســان. لو حدث يوما لقاحٌ بين ذينك الأمرين إذاً لأتى إلى العالم للتوّ وعلى نحو لا مردّ له شيءٌ من أكثر الأشياء وحشة ورهبة، "الإرادة الأخيرة"[3] للإنسان، إرادته للعدم، للعدمية. وفي واقع الأمر: ألم يتمّ الإعداد لذلك بطـرق عدّة؟ من لا يحسّ بأنفه فقط بل بعينيـه وأذنيه أيضا، إنّما يلمس اليوم أينما حلّ تقريبا، شـيئا يشـبه بيت المجانين، وجوّ المستشفيات والمرضى، - أنا أتكلّم، حتى أكون منصفاً، عن مناطق الحضارة من الإنســان، عن كلّ أنواع "أوروبا" التـي أخذت تظهر على الأرض.إنّ **المرضى** هم الخطر الكبير الآتي من الإنســان: **ليـس** الأشرار و**لا** "الوحوش الضارية"[4]. إنّ الذين هـم منذ أوّل أمرهم مصابون، مطروحون أرضا، مكسورون- هم **الأكثر ضعفا**، وأكثر الذين ينسفون الحياة بين البشر، الذين يسـممون ثقتنا بالحياة، بالإنســان، بأنفسـنا، ويضعونها موضع سـؤال كأخطر ما يكون. كيف يفلت المرء من تلك النظرة المشـئومة التي منها يحمل المرء غمّا ثقيلا، تلك النظرة الحسـيرة للذي وُلد مشـوها منذ البداية، التي يرشـح منها كيف يكلّم هكذا إنســان نفسـه، - تلك النظرة التي هي ضرب مـن التحسّر. "هل يمكنني أن أكون أيّ شـخص آخر، هكذا تتحسّر هـذه النظرة: ولكن لا يوجد أدنى أمل في ذلك. أنا هو أنا: كيف أتخلّص من نفـسي؟ والحال – أنّني **قد سئمت من نفسي**"... على تربـة هذا النحو من الاحتقار للنفس، هذا المسـتنقع الحقيقي، تنبت كلّ عشبة ضارّة، كلّ نبتة سامّة، وكلّ

واحد. ولاسيما متى تعلق الأمر بالمرضى: إنّ تنفّس "هواء المرضى" هو أيضا خطر على الأسوياء.

1 – die Stärksten

2 – aufrecht. الانتصاب في معنى درويني ولكن أيضا في معنى أخلاقي أي البقاء وصيانة النفس.

3 – der letzte Wille. لكنّ العبارة تشير أيضا بالمعنى السائد إلى "الوصية الأخيرة" للإنسان. وليس ذلك بالأمر الذي لا يقصده نيتشه.

4 – قارن: المقالة I، § 11.

ذلك على نحو جدّ صغير، جدّ مستتر، جدّ خسيس وجدّ فاتر. هاهنا تدبّ ديدان الثأر و[369]مشاعر التأثّر؛ هاهنا تنبعث رائحة الأسرار وما لا يمكن الاعتراف به؛ هاهنا يُنسَج باستمرار شرك المؤامرة الأكثر خبثا، - مؤامرة المتألّمين من مصابهم ضدّ الأسوياء والمنتصرين، إنّ منظر المنتصرين هو هاهنا أمر **مكروه.** وأيّ كذب يُفترى، حتى لا يُعترَف بهذا الكره بوصفه كرهاً! وأيّ تبذّخ في الكلمات والمواقف الكبيرة، أيّ تفنّن في النميمة "الشريفة"! يا لهؤلاء الفاشلين: أيّة فصاحة نبيلة تسيل على شفاههم! كم من الاستسلام العسليّ، اللزج، الخاشع، يملأ عيونهم! ماذا يريدون على الحقيقة؟ على الأقلّ أن **يمثّلوا**[1] العدالة والمحبة والحكمة والتفوّق- هذا هو مطمح هؤلاء "الأسافل"، هؤلاء المرضى! ويا لهذا المطمح كم يجعل المرء ماهرا! وإنّ المرء ليُعجَب بمهارة مزيّفي النقود، تلك التي بها تقع هاهنا محاكاة صبغة الفضيلة، بل حتى الطنين، الطنين الذي ينبعث من ذهب الفضيلة. لقد استأثروا بالفضيلة لأنفسهم وجعلوها حكرا عليهم، أولاء الضعفاء والمرضى بلا شفاء، ليس في ذلك من شك: "نحن وحدنا الخيّرون وأهل العدل[2]، كذا يتقوّلون، نحن وحدنا الـ homines bonae voluntatis[3]." إنّهم يتقلّبون في البلاد بين ظهرانينا كما نُذُر متجسّدة، وتنبيهات لنا، - كأنّما الصحّة والخلقة السوية والقوة[4] والفخر والشعور بالاقتدار هي بعدُ في ذاتها أشياء شنيعة، ينبغي على المرء أن يُعاقب[5] عنها يوما ما، أن يكفّر عنها بمرارة: آه كم هم في أعماقهم هم أنفسهم جاهزون لذلك، لأنْ **ينزلوا** العقاب بغيرهم، كما هم بذلك متعطّشون لأنْ يكونوا **جلاّدين!** ثمّة بينهم عدد وافر من الحاقدين الذين يحدوهم حبّ الانتقام متنكّرين في جلابيب القضاة، الذين ما انفكّوا يلوكون

---

1 - "التمثّل" و"التمثيل" هو ما يميّز عالم العبيد. والمثل الأعلى النّسكي هو آخر حلقة في تخلّق الأخلاق على الأرض حيث يصبح العبيد هم الذين يمثّلون العدالة على الأرض. الضعيف لا يصنع إرادة الاقتدار بل يريد أن يمثّلها بأيّ شكل اتفق. التمثيل هو نمط من تزييف القيم: أن يصبح "الضعيف" مقياسا للفضيلة وللجودة. ويصبح تهمة "للأقوياء". تمثيل إرادة الحقيقة يسمّم الفلسفة، كما أنّ المثل الأعلى النّسكي يسمّم الحياة بقيم العبودية.

2 - قارن: المقالة I، §§ 7، 14.

3 - باللاتينية في النص: "أصحاب الإرادة الطيبة".

4 - die Stärke

5 - büssen. فعل تختلط فيه معاني الجزاء والمعاقبة وتحمّل العواقب ولكن أيضا التكفير عن الذنب والتوبة. ويبدو أنّ نيتشه يريد المرور من معنى "التكفير عن الذنب" إلى معنى تحمّل العواقب ومن ثمّة القبول بالمعاقبة أو الرغبة في المعاقبة.

لفظة "العدالة" بألسنتهم كلعاب مسموم، لسان سليط على الدوام، جاهز على الدوام لأنْ يبصق على كلّ ما لا يبدو ساخطا ويسلك طريقه بروح عالية.وبينهم لا نعدم أيضا ذلك النوع المقرّز جدا من المغترّين، المشـوهين جبلّةً الكاذبين، الذين يوجدون لتمثيل دور "النفوس الراضية"، ويدفعون إلى السوق بشهوتهم الفاسدة، وقد صيغت في قصائد وأقمطة أخرى، بوصفها ضربا من "طهارة [370] القلب": فضيلة الاستمناء الأخلاقي و"الإشباع الذاتي"[1]. إنّ إرادة المرضى لأنْ يمثّلوا أيّ شكل من التفوّق كائنا ما كان، ميلهم الغريزي للطرق الملتوية، التي تقود إلى الطغيان على الأصحّاء، - أيّ مكان يخلو من هذه الإرادة تحديدا، إرادة المرضى للاقتدار! المرأة المريضة بالخصوص: لا أحد يفوقها تفنّناً إذ هي تسود وتشِدّ وتطغى. لذلك فإنّ المرأة المريضة لا ترفُق بشيء، لا حيًّا ولا مَيْتاً، إنّها تنبش من جديد عن أعمق الأشياء الدفينة (وكما يقول قوم البوغوس[2]: "ما أشبه المرأة بالضبع"). فليلقي المرء ببصره في سراديب كلّ عائلة وكلّ هيئة[3] وكلّ جماعة[4]: أينما ولّى وجهه يرى صراع المرضى ضدّ الأصحّاء، - صراع صامت في الغالب بعبوّات صغيرة مسمومة، بوخزات الإبر، بملامح شهيد مضلّلة، ولكن أيضا بين الفينة والأخرى بذلك النحو من مُراء[5] المرضى ذي الحركات **الصاخبة**، الذي يتظاهر بمشاعر "السخط النبيل" كأحسن ما يكون. حتّى في داخل الرحاب المقدّسة للعلم، يرغب صوتٌ في أن يجعل نفسه مسموعا، نباح السخط المبحوح للكلاب المريضة، الإفك والحَنَق العقور لأولاء المرائين "النبلاء" (- وأنا أذكّر، مرة أخرى، من له آذان من القرّاء، بذلك البرليني أوغن دوهرينغ[6]، حواريّ الثأر، الذي يقوم بأقبح وأمقت استعمال للشطحات[7] الأخلاقية في ألمانيا الراهنة: إنّ دوهرينغ هو أكبر متشدّق أخلاقي وُجد في يوم من الأيام، حتى بين

1 – "Selbstbefriediger". وضع نيتشه هذه اللفظة بين ظفرين تلميحا إلى المعنى المجازي في العبارة في اللغة العادية (أي معنى الاستمناء).

2 – die Bogos

3 – Körperschaft

4 – das Gemeinwesen

5 – der Pharisäismus

6 – Eugen Dühring. قارن: المقالة II، 11.

7 – Bumbum. رقص أو طلسم ديني.

أمثالــه، من المعادين للســامية[1]). إنّما هم كلّهم أصحــاب[2] ضغينة، هؤلاء الذين بليــت جســومهم وعمل فيها الدود، تربــة[3] مهزوزة تماما لثــأر دفين، لا يخمد ولا تُروى له غلّة في ســوراته ضدّ الســعداء كما في أقنعة الثأر وفي ذرائع الثأر: فأنّى لهــم أن يفوزوا حتّــا بأقصى وألطف وأروع ما يمكنهم مــن الظفر بالثأر؟ ذاك بــلا ريب، متى أفلحوا في **دسّ** بؤســهم الخاص، وكلّ البــؤس بعامة، **في ضمير** السعداء: بحيث يبدأ هؤلاء يوما ما في الخجل من سعادتهم وربما [371] في الهمس فيما بينهم: "إنّه من العار أن يكون المرء ســعيدا! **ثمّة بــؤس كثير**!"... بيد أنّه لن يوجد أبدا ســوءُ فهم أكبر وأشــنع من أن يبدأ الســعداء والأسوياء والمقتدرون جســداً ونفســاً، في ألارتياب من **حقّهم في السعادة**. بُعداً لهــذا "العالم المقلوب"[4]! تبّاً لهذا التنعّم المخجل للشــعور! عــلى المرضى **ألاّ** يجعلوا الأصحّاء مرضى - وهل يكــون هــذا إلاّ ذلك النحو مــن التنعّم- هذا أمر يجــب أن يكون هو وجهة النظر العليا على الأرض:- بيد أنّ ذلك يقتضي قبل كلّ شيء أن يظلّ الأصحّاء **مفصولــين** عن المرضى، بل حتى محميّين من رؤية المــرضى، أنّ عليهم ألاّ يختلطوا مــع المرضى. أم أنّ مهمّتهم هي بوجه ما أن يكونــوا ممرّضين وأطبّاء؟... غير أنّه لــن يمكنهم أن يجهلــوا المهمّة التي **تخصّهم** أو يتنكّروا لها على نحو أســوء من ذلك أبدا، - لا **يجب** على الأعلى أن ينحطّ إلى أداة للأسفل، إنّ الشعور بالمسافة[5] إنّــما **يجب** أيضا منذ أبد الآبدين أن يفصل بين المهــمات فصلا بعيدا! إنّ حقّهم في أن يكونــوا، وكذا هو فضل الجرس الذي له صوت رخيم على الذي به نشــاز وتصدّع، لهو أكبر آلاف المرات: إنّهم هم وحدهم **كفالة** المستقبل، هم وحدهم **عليهــم واجبٌ** ما إزاء مســتقبل البــشر. إنّ ما يمكن لــهم وما يجب عليــهم، لا ينبغــي أبدا أن يكون ممكنا للمــرضى أو واجبا عليهم: بيد أنّه **حتى** يمكن لهم ذلك الذي عليهم **هم** وحدهم يجب، أنّى يجوز لهم من بعدُ أن يجعلوا من أنفسهم بمثابــة الطبيب والمعزّي و"منقذ" المرضى؟... لذا اطلبوا الهواء النقيّ! الهواء النقيّ! وعلى كلّ حال انأوا بأنفسكم عن مجاورة بيوت المجانين ومستشفيات الحضارة!

1 - قارن: **ما وراء الخير والشر**، § 251.

2 - Menschen

3 - Erdreich

4 - عالم صنعته ظواهر "الضغينة" و"الضمير الشقي"، والمثل العليا النّسكية، التي هي أحداث خيالية وروحانية. قارن: المقالة I، § 7، والمقالة II، § 18.

5 - قارن: المقالة I، § 2؛ **ما وراء الخير والشر**، § 257.

ولذا اطلبوا الصحبة الجيّدة، صحبتنا **نحن**! أو الوحدة، إن لزم الأمر! ولكن انأوا على كل حال بأنفسكم عن الأبخرة الكريهة للفساد الباطني والدود الخفي الذي يأكل المرضى!... حتى نستطيع نحن أنفسنا، يا أصدقائي، أن ندافع عن أنفسنا، على الأقلّ لبعض الوقت، ضدّ أسوأ وباءين من المحتمل أنّه تمّ ادّخارهما لنا خصّيصاً، [372]- ضدّ **الاشمئزاز الكبير من الإنسان**! ضدّ **الشفقة الكبرى على الإنسان**!...

.15

هل تصوّر المرء بكلّ عمق - وأنا أشترط على المرء أن **يأخذ** الأمر **عميقاً**، أن يتصوّر عميقًا- بأيّ وجه **لا** يمكن البتة أن تكون من مهمّة الأصحّاء أن يمرّضوا المرضى، أن يجعلوا من المرضى أصحّاء، إذن سيكون عليه أن يتصوّر أيضا ضرورةً أخرى، - ضرورةَ أن يوجد أطبّاء وممرّضون، **يكونون مرضى هم أنفسهم**: وها نحن الآن نتوفّر ونقبض على معنى الكاهن المتنسّك بكلتا يدينا. إنّما شأن الكاهن المتنسّك أن يسوغ عندنا بوصفه المخلّص المبعوث، الراعي والحامي للقطيع المريض: بذلك فحسب نحن نفهم رسالته التاريخية المهيبة. **السيطرة على المعذّبين** هي مملكته، عليها دلّته غريزته، وفيها يجد **فنّه الأخصّ**، سيادته وشكل السعادة الذي من شأنه. ينبغي أن يكون هو ذاته مريضا، ينبغي أن يكون في أعماقه على قرابة مع المرضى والخاسرين حتى يستطيع أن يفهمهم، - حتى يستطيع أن يتفاهم معهم؛ بيد أنّه عليه أيضا أن يكون قويّاً، سيّدا على نفسه أكثر ممّا هو على غيره، سليماً على الخصوص في إرادته للاقتدار، حتى يحصل على ثقة المرضى وعلى خوفهم، حتى يمكنه أن يكون لهم سنداً، مقاومةً، غطاءً، إلزاماً، مؤدّباً، طاغية أو إلهاً. إنّ عليه أن يدافع عن قطيعه- ضدّ من؟ ضدّ الأصحّاء؛ إنّ عليه أن يكون خصماً **ومحتقرا** بالطبع لكلّ ما هو صحّة ومقدرة[1] غاشمة، جارفة، منفكّة من كلّ قيد، وعرة، عنيفة كالحيوانات المفترسة. إنّما الكاهن هو أوّل شكل من الحيوان الذي بات **أكثر رقّة ولطفا**، الذي لا يزال أيسر عنده أن يحتقر من أن يكره. لن يكون بإمكانه أن يتجنّب خوض الحرب ضدّ الحيوانات المفترسة، حرباً في المكر (في "الروح"[2]) أكثر منها في العنف، كما الأمر من

Mächtigkeit – 1

2 – عن "الروح" كمصطلح نشط ومفكّر، انظر: ما وراء الخير والشر، § 44؛ **أفول الأصنام**، "تسكّعات "غير موافق للعصر""، § 14. وكذلك المقالة I، § 7.

نفسه [373] يُفهَم، - لذلك سيكون عليه في بعض الحالات أن ينشئ في نفسه تقريبا نمطا جديدا من الحيوان المفترس، أو على الأقلّ أن يأخذ الأمر بهذا **المعنى**، - نحوا جديدا من مخافة الحيوان، حيث يظهر الدبّ الأبيض والنمر المرقّط الصبور المرن البارد الجفن والثعلب وهو ليس بأقلّهم قد اجتمعوا في وحدة رائعة بقدر ما هي مريعة. ومتى دفعته الحاجة، فإنّه يتقدّم مُجدّاً كالدبّ، مُهاباً، حذراً، باردا، مستعلياً على نحو زائف، بشيراً على فمه تنطق القوى الخفية، بين ظهرانيّ ذلك الضرب الآخر من الحيوانات المفترسة ذاتها، عاقداً العزم على أن يبذر على هذه التربة ما أمكنه من ألم وشقاق وتناقض مع النفس، ومن فرط ثقته بفنّه، أن يصبح على **المعذّبين** في كلّ وقت سيّداً. إنّه يحمل معه المرهم والبلسم، ليس في ذلك من شكّ؛ بيد أنّه عليه أوّلا أن يجرح حتى يكون من بعدُ طبيبًا؛ ومن حيث ما يسكّن الألم، الذي يحدثه الجرح، هو **يسمّم الجرح في نفس الوقت** – ذلك قبل كلّ شيء ما حذقه حذقا خاصا، هذا الساحر ومروّض الحيوانات المفترسة، الذي في جواره يصبح كلّ صحيح بالضرورة مريضاً وكلُّ مريض بالضرورة مُدجَّنا ومطيعا. هو في الواقع يدافع جيّدا بما فيه الكفاية عن قطيعه المريض، هذا الراعي المتوحّد، - هو يدافع عنه أيضا ضدّ نفسه، ضدّ اللؤم[1] والخبث وسوء النية[2] الكامن في صلب القطيع ذاته وكلّ ما هو خاصّ تماما بالمدمنين والمرضى فيما بينهم، هو يجاهد في حذر وشدّة وخلسة ضدّ الفوضى وضدّ الانحلال البادي داخل القطيع في كل لحظة، حيث ما فتئت **الضغينة**، هذه المادة الناسفة المتفجّرة، تتراكم وتتراكم على الدوام. أن يفرّغ[3] هذه المادة الناسفة بحيث هي لا تفجّر القطيع ولا الراعي، تلك هي براعته، كما فائدته القصوى؛ ومتى أراد المرء أن يستجمع قيمة الوجود الكهنوتي في صيغة مختصرة، إذن حسبه أن يقول: إنّ الكاهن هو **مغيِّرُ اتّجاه** الضغينة. كلّ معذّب إنّما يبحث بالغريزة عن علّة ما لعذابه؛ وعلى نحو أدقّ، عن فاعل ما، وبشكل أكثر تعيينا، [374] عن فاعل **مذنب** مستعدّ للعذاب، - باختصار، عن أيّ كائن حيّ اتفق، عليه يمكن، فعلاً **أو تمثيلا**[4]، متعلّلا بأيّ تَعلّة كانت، أن يفرّغ مشاعره[5]: ذلك بأنّ تفريغ المشاعر

1 – Schlechtigkeit

2 – Böswilligkeit

3 – entladen. فرّغ السلاح من ذخيرته.

4 – in effigie. في صورة أو تمثال.

5 – die Affekte

إنّـما هو محاولة التخفيف- بل محاولة **التخدير** الكبرى للمعذّب، مخدّره المطلوب عـن غير قصد ضدّ أيّ وجع من هذا النوع. في هذا فحسـب، حسـب تقديري، يكون علينا أن نعثر على الأسباب الفزيولوجية الفعلية للضغينة، للثأر ولما هو من جنسـه، في رغبة ما إذن نحو **تخدير الأوجاع بالمشاعر**: - عنها يبحث المرء عموماً، وهو مخطئ في ذلك جدّا، حسبما يبدو لي، في ضربـة دفاعيّة، في تدبير وقائي لردّ الفعـل، في "حركة انعكاسـية" في حالة عدوان أو تهديد خاطف بأيّ شـكل اتفق، على شاكلة ما يمكن لضفدع بلا رأس أن يقوم به، حتى يتخلص من مادة حمضيـة حارقة. إلاّ أنّ الفرق بين الأمرين ضارب في العمق: ففي إحدى الحالتين، يريـد المرء أن يمنع إمكانيـة أن يصبح العطب أكثر اتسـاعاً؛ أمّا في الأخرى، فيريد المرء أن **يخدّر** ألماً موجعاً، خفيّا، صار ممّا لا يُحتَمل، وذلك بواسـطة انفعال أكثر حدّة من أيّ نوع اتّفق، وأن يبعده من الوعي على الأقلّ في تلك اللحظة، - وهو أمر يحتاج فيه المرء إلى مشـاعر، هي من أكثر المشـاعر توحّشاً، ومن أجل إثارتهـا، إلى أوّل ذريعـة جيّدة. "ينبغي على أحدهـم أن يكون مذنبا عن كوني أشـعر بالسوء"- هذا النحو من الاسـتنتاج هو أمر خاصّ بكلّ المرضى، وذلك بقدر ما يظلّ السبب الحقيقي لشعورهم بالسوء[1]، أي السبب الفزيولوجي، محجوبا عنهـم (ربّ سـبب يمكن أن يكمـن في مرض الـ nervus sympathicus أو في إفـراز مفرط للمرارة، أو في فقر الدم من البوتاسـيوم الكبريتي والفسـفوري أو في غازات في البطن تسـدّ دورة الدم، أو في تشـوّه المبيض وما شـابه). إنّ شأن المعذّبـين كافة أن يكونوا على قدر من الاسـتعداد المفزع لاختلاق الذرائع في خدمة مشاعرهم المؤلمة؛ بل هم لا يتورعون عن التمتّع بوسائسهم وبإغراق الفكر في [375] الخبائـث وكلّ ما يكـدّر الصفو في الظاهر، وهم يقلّبون في أحشـاء ماضيهم وحاضرهم عن قصص مريبة مظلمة، حيث يمكن لهم أن ينغمسـوا في شكوكهم الموجعة وأن يثملوا بالسموم المنبعثة من خبثهم الخاص- هم يفتحون أقـدم الجروح، وينزفون من الندوب التي مضى على التئامها زمن طويل، ويجعلون مـن كلّ من يحيط بهم، صديقـا كان أو امرأة أو طفلا، جناةً وأشراراً. "أنا أتألّم: إذن لابـدّ أن يكون أحدهم[2] هو المذنب والمتسـبّب[3] في ذلـك"- كذا تفكّر كلّ شـاة مريضة. لكنّ الراعي، الكاهن المتنسّك، يقول لها: "أنت على حقّ،

1 - das Sich-Schlecht-Befinden

2 - Jemand

3 - an etwas schuld sein

يا شاقي! إنّ أحدهم[1] لابدّ وأن يكون هو المذنب والمتسبّب في ذلك: لكنّك أنت هي أحدهم هذا[2]، أنت وحدك هي المذنبة في ذلك- **أنت وحدك هي المذنبة في حقّ نفسك**!"... هذا قول متمادٍ بما فيه الكفاية، باطل بما فيه الكفاية: لكنّ شيئا واحدا هو بذلك على الأقلّ قد تحقّق، أنّ وجهة الضغينة، كما قلنا، هي بذلك- قد **تغيّرت**.

.16

إنّ المرء يحرز منذ الآن ما هو الأمر الذي كانت الغريزة الاستشفائية للحياة على الأقلّ، حسب رأيي، **تطمح** إليه عبر الكاهن المتنسّك ولأيّ غرض كان عليه أن يستخدم الطغيان المؤقت لهذا النوع من المفاهيم المتناقضة والمغالطة من قبيل "الذنب" و"الخطيئة" و"النزوع إلى الخطيئة"[3] و"الفساد" و"اللعنة": أن يجعل المرضى **غير مضرّين** إلى حدّ معيّن، ومن لا شفاء لهم يدمّرون أنفسهم بأنفسهم، والأخفّ مرضاً يولّون وجوههم نحو أنفسهم بكلّ صرامة، ويوجّهون ضغينتهم ضدّ أنفسهم ("إنّ شيئا واحدا لا بدّ منه"[4]-) ومن ثمّ **أن يستفيد** من الغرائز الرديئة لكلّ المعذّبين بهدف ضبط النفس ومراقبة النفس ومجاوزة النفس. لا يمكن أبدا، كما هو مفهوم من نفسه، أن يتعلّق الأمر مع "تطبيب"[5] من هذا النوع، مجرّد تطبيب عاطفي، بضرب حقيقي من **الشفاء** في المعنى الفزيولوجي [376]؛ ولا يحّق للمرء حتى أن يزعم يوما ما أنّ غريزة الحياة هي بذلك وبأيّ شكل اتفق قد أملت في الشفاء أو كان لها مقصدا. ضرب من الحشد والتنظيم للمرضى من جهة أولى (- وإنّ لفظة "كنيسة" هي الاسم الأكبر شعبية لهذا الأمر)، وضرب من التأمين المؤقت على من كانوا في صحّة جيّدة وعافية موفورة من جهة أخرى، ومن ثمّ فتحُ **هوّة** ما بين الصحة والمرض- ذلك كان كلّ شيء لأمد طويل! وكان شيئا كثيرا! كان شيئا **كثيرا جدّاً**! [أنا أذهب في هذه المقالة، كما ترون، من فرضية ليس عليّ أن أبرّرُها بالنسبة إلى نوع القراء الذين

1 – irgend wer

2 – dieser Irgend-Wer

3 – Sündhaftigkeit

4 – عبارة إنجيلية متواترة لدى نيتشه. قارن: إنجيل لوقا، 10: 42. وكذلك: التصدير، § 8؛ المقالة III، 16.

5 – "Medikation"

أحتاج إليهم: أنّ "النزوع إلى الخطيئة" هو في الإنســان ليس بالأمر الواقع، بل على الأرجح هو تأويل فحسب لأمر واقع، نعني لضرب من الخلل الفزيولوجي، - هو بــدوره منظــور إليه من منظور أخلاقي-ديني لم يعد لــه عندنا أيّ طابع إلزامي. - أنّ أحدا **يشـعر** بأنّــه "مذنب" أو "ارتكب خطيئة"[1]، هو أمر لا يبرهن بعدُ إطلاقاً على أنّه محقّ في هذا الشـعور؛ كما أنّ أحدا لا يمكن أن يكون في صحّة جيّدة لمجرّد أنّه يشـعر بأنّــه في صحة جيدة. على المرء أن يذّكر المحاكمات الشــهيرة للساحرات: ففي ذلك الوقت لم يكن القضاة الأشدّ فطنة والأكثر محبّة للنوع البشري يشــكّون في أنّ الشيء الذي كان تحت أيديهم هو ذنبٌ وإثمٌ؛ لم تكن "الساحرات" **ذاتها تشـّك في ذلـك**، - وعلى ذلك كان الذنب منعدما.- كي نعبّر عن هذه الفرضية بشــكل أوســع نطاقا نقول: إنّ "ألم النفس"[2] ذاته لا يسوغ عندي على العموم بوصفه أمرا واقعا، بل بوصفه تأويلا[3] فحســب (تفسيرا سببيّا[4]) لوقائع لم تُصَغْ إلى حدّ الآن على نحو دقيق: ومن ثمّ بوصفه شيئا ما لا يزال يتأرجح تمامــا في الهــواء وغير ملزم من الناحية العلمية، - كلمــة بدينة، في حقيقة الأمر، أخذت فقط مكان نقطة اســتفهام نحيلة. إذا لم يتغلّب أحدهم على ما يعتريه من "ألم النفس"، فإنّ ذلك، متى تكلّمنا بشــكل فظّ، ليس راجعا إلى "نفسه"[5]؛ بل هو راجع أكثر على الأرجح إلى بطنه (حتى نتكلّم بشكل فظّ، كما قلنا: على أنّ ذلك لا يعبّر أبدا عن الرغبة في أن نُفهَم أيضا بشــكل فظّ، [377] أو نُســمَع بشكل فظّ...) إنّ إنسانا قويّا وسويّ الخلقة إنّما شأنه أن يهضم تجارب حياته[6] (ما فعله وما لم يفعله أيضا) كما يهضم وجبات غذائه، حتى وإن كان عليه أن يبتلع لُقــماً يشرق بها ويغَــصُّ[7]. فإذا هو "لم يفرغ" من تجربة ما، فإنّ هذا النحو من ســوء الهضــم هو فزيولوجي مثل أيّ أمــر آخر- وعلى الأكثر هو في واقع الأمر واحدة من نتائج الآخر. - بهذا النوع من التصوّر، لنقل ذلك فيما بيننا، يمكن للمرء أن يكون وأن يظلّ دوما العدوّ اللدود لكلّ ماديّة...]

1 - sündig

2 - der seelische Schmerz

3 - Auslegung

4 - Causal-Auslegung

5 - die Seele

6 - seine Erlebnisse

7 - قا: المقالة II، § 1.

.17

ولكن هل أنّ هذا الكاهن المتنسّك هو **طبيب** حقّاً؟ - لقد فهمنا بعدُ بأيّ وجه يكاد يكون من غير المسموح أن يُسمَّى طبيبا، وإن كان يشعر عن طيب خاطـر بأنّه "مخلّص"، ويقبل أن يُبجَّل بوصفه "مخلّصا". إنّ الألم ذاته وغمّ المتألّم هو فقط ما يقوم بمحاربته، و**ليس** علّته، وليس الكينونة المريضة[1] في حقيقتها، - هذا أمر ينبغي أن يمنحنا الاعتراض الأساسي الأكبر ضدّ التطبيب الكهنوتي. بيد أنّه لو وضعنا أنفسنا مرة واحدة ضمن المنظور الذي يعرفه الكاهن ويختصّ به دون غيره، فإنّه لن يكون من السهل على المرء أن يكفّ عن التعجّب من كلّ هذه الأشياء التي رآها من خلاله وبحث عنها ووجدها. **تسكين** الألم و"المواساة" من كلّ نوع، - ذلك ما ينكشف بوصفه عبقريّته الخاصة بعينها: كم كان ماكرا في فهم مهمّة المساواة التي تميّز بها، كم كان غير متحرّج وجريئا في اختيار الوسائل المطلوبة لتلك المهمة! إنّ المسيحية على الخصوص إنّها يحقّ لنا أن ندعوها مخزنا كبيرا لوسائل العزاء الروحي الأكثر ثراءً، كم من الأشياء المنعشة والمسكّنة والمخدّرة قد تراكمت فيها، كم من الأشياء الخطيرة والجريئة قد غامرت بها لهذا الغرض، وعلى أيّ نحو متلطّف، على أيّ نحو مهذّب، مهذّب كأهل الجنوب، كانت قد حزرت على الخصوص المشاعر المؤثرة[2] التي بها يمكن الانتصار، ولو لبعض الوقت، على الانهيار العصبي العميق والكلل الثقيل والحزن الأسود للمكبوتين فزيولوجياً[3]. [378] إذ يمكن القول بعامة: إنّ الأمر في كلّ الأديان الكبرى قد تعلّق في الأساس بمحاربة ضرب معيّن من الكلل والثقل الذي تحوّل إلى وباء. ويمكن للمرء أن يثبت بديّاً كأمر جدُّ محتمل أنّه من وقت إلى آخر وفي مواقع معيّنة من الأرض وبشكل يكاد يكون لازما إنّها ينبغي أن يسود **شعور بالكبت الفزيولوجي** على جموع واسعة النطاق، هو على ذلك، ونتيجة نقص في المعرفة الفزيولوجية، لا يبلغ بها هو كذلك إلى حيّز الوعي، بحيث أنّ "العلة" المسببة له والدواء الذي من شأنه لا يمكن أيضا أن يُبحث عنهما أو أن يُجرّبا إلاّ على صعيد نفساني وأخلاقي (- هذه هي معادلتي العامة فيما يتعلق بهذا الذي يُسمى على الجملة "**دينا**"). ويمكن لهكذا

1 - das Kranksein

2 - die Stimulanz-Affekten

3 - Physiologisch-Gehemmten

شعور بالكبت أن يتأتّى من أصول[1] شتى: على سبيل المثال بوصفه نتيجة للتقاطع بين أعراق غريبة عن بعضها البعض[2] (أو طبقات[3]- فالطبقات إنّما تعبّر أيضا على الدوام عن الاختلافات في الأصول والأعراق: فإنّ "الكآبة"[4] الأوروبية و"تشاؤميّة" القرن التاسع عشر هي في جوهرها نتيجة ناجمة عن مزج للطبقات مفاجئ وغير معقول)؛ أو مرتبط بهجرة معيبة- عرق ينزل في مناخ يتخطى قدرته على التأقلم (كما حالة الهنود في الهند)؛ أو أثر من الأسلاف وضرب من الكلل الذي أصاب عرقاً ما (التشاؤم الباريسي حوالي 1850)؛ أو حمية خاطئة (الإدمان على الخمر في العصور الوسطى؛ وعبث الـvegetarians[5] الذين يحتجون من غير شك بمكانة الشريف كريستوف لدى شكسبير[6])؛ أو من دم فاسد، ملاريا، سيفيليس[7]، وما شابه (اكتئاب[8] ألمانيا بعد حرب الثلاثين الذي لوّث نصف ألمانيا بالأمراض المعدية ومن ثمّ هيّأ الجسد للعبودية الألمانية والصَّغار[9] الألماني). في كلّ واحدة من هذه الحالات يخوض الناس، في كلّ مرة وبأضخم الأساليب، **صراعا مع شعور ما بالقلق**[10]؛ ولنقف بسرعة على أهمّ ممارساته وأشكاله. (وأنا هنا سأترك جانبا بالكلّية، كما هو من العدل، ذلك الصراع الحقيقي للفلاسفة ضدّ الشعور بالقلق، والذي كان يجري عادةً في نفس الوقت على الدوام [379]- هو[11] مثير للاهتمام كفاية، إلاّ أنّه جدٌّ عبثيّ، جدٌّ لامبالٍ على الصعيد العملي، جدٌّ واهٍ كنسج العنكبوت[12] وأشبه بمتسكّع، مثلاً أنّه يجب البرهنة على أنّ الألم لا يعدو أن يكون ضربا من الخطأ، بناءً على افتراض ساذج بأنّ الألم إنّما **ينبغي** له أن

1 - Abkunft

2 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 208.

3 - Ständen

4 - der "Weltschmerz". بالمعنى الحرفي هو: "ألم العالم".

5 - بالانجليزية في النص: "النباتيون"

6 - قارن: شكسبير، *Twelfth Night*/ليلة عيد الغِطاس، المشهد I، المقطع 3.

7 - Malaria, Syphilis

8 - Depression

9 - der Kleinmuth

10 - das Unlustgefühl

11 - er. الضمير يعود على "الصراع" (der Kampf).

12 - spinneweberisch

يزول بمجرّد ما تتمّ معرفة الخطأ الذي يحتوي عليه- ولكن يا للعجب! لقد كان على حذرٍ من أن يزول،...) يخوض المرء، **أوّلا**، صراعاً ضدّ هذا القلق الغالب بوسائل من شأنها أن تُنزل الشعور بالحياة بعامة إلى أدنى درجة. إذا أمكن عموما الكفّ عن أيّ إرادة، عن أيّ رغبة؛ تفادي كلّ ما يثير المشاعر، كلّ ما يصنع "الدم" (الامتناع عن أكل الملح: حِمية الدراويش الهنود[1])؛ ألاّ نحبّ ولا نكره؛ الاعتدال؛ ألاّ نثأر ولا نثرى ولا نعمل؛ بل نشحذ؛ وإذا أمكن لا مرأةَ أو أقلّ ما يمكن من المرأة: من ناحية روحية أن نأخذ بمبدأ باسكال "il faut s'abêtir"[2]. أمّا النتيجة، متى عبّرنا عنها بشكل نفساني وأخلاقي، فهي: "نكران الذات"[3] و"التقديس"؛ وأمّا إذا عبّرنا عنها على نحو فزيولوجي فهي: التنويم، - محاولة أن نبلغ إلى شيء يكون بالنسبة إلى الإنسان قريبا من **النوم الشتوي** لدى بعض الأنواع من الحيوان و**النوم الصيفي** لدى كثير من نباتات المناخات الحارة، حدٌّ أدنى من الاستهلاك وتبادل المادة[4]، معه لا تتعدى الحياة مجرد البقاء على قيد الحياة، دون أن تعود إلى الوعي. من أجل هذا الهدف كان قد استُخدم كمّ هائل من الطاقة البشرية - هل كان ذلك سدى؟... أنّ هؤلاء sportsmen[5] "القداسة"، الذين تعجّ بهم كلّ العصور وتقريبا كلّ الشعوب، هم في واقع الأمر قد وجدوا طريقهم إلى خلاص فعليّ ممّا كانوا يصارعون ضدّه بواسطة training[6] على هذا القدر من الصرامة، ذلك أمر لا ريب فيه، - لقد **تخلّصوا** فعلاً من ذلك الانهيار الفزيولوجي العميق في حالات شتى، وذلك من خلال الاستعانة بمنظومتهم عن وسائل التنويم: ولهذا فإنّ منهجيّتهم إنّما تُعدّ من الوقائع الإتنولوجية الكونية. كذلك لا يجوز أبدا أن نعتبر أنّ هذا النوع من القصد إلى تجويع البدن والرغبة هو في ذاته عارض على الجنون (كما يودّ أن يفعل رهط

1 - der Fakir. الدرويش أو الناسك الهندي.

2 - بالفرنسية في النص الألماني: "على المرء أن يتحامق". هذا تلخيص لكلام باسكال وليس شاهدا دقيقا، يعود إلى الفكرة 418 (كتاب الفِكَر، نشرة Lafuma). قارن: الفجر، § 192.

3 - Entselbstung

4 - Stoffwechsel. تحوّل الغذاء إلى طاقة.

5 - بالانجليزية في النص الألماني: "الرياضيون"، "أبطال المصارعة".

6 - بالإنجليزية في النص الألماني: "التدريب". - علينا أن نرى هنا اجتهاد نيتشه في إعادة المثل "النسكيّة" إلى مصدرها "الرياضي" أو "الأسكيطيقي" (asketisch) من "askêtês" باليوناني أي "الرياضة" و"التدريب". قارن: المقالة III، 21؛ المسيح المضادّ، § 51.

غـير لبق مـن "المفكّريـن الأحـرار"[1] آكلي البقـر المشـوي والأشراف من آل كريسـتوف [380]). لكـنّ الأمر الأوكد هو أنّ ذلـك يفتح أو يمكن أن يفتح الطريق نحو الاضطرابات العقلية بكلّ ألوانها، نحو "الأنوار الباطنية"[2] على سـبيل المثال، كما لدى الهازيشاسـت[3] من جبل أثوس[4]، نحو هلوسة الأصوات والأشـباح، نحو فيوضات الشـهوة ومواجـد الحس (قصة القديسـة تريزا[5]). أمّا التفسـير[6] الـذي يعطيه المصابون بهـذا النوع مـن الأحوال، فهـو دوما مهووس وخاطئ كأقصى ما يكون، ذلك أمر بيّن بنفسه: ولكن علينا ألاّ نتغاضى عن نبرة العرفان الجميل التي تتناهى إلى أسـماعنا حتى في صلب إرادة هكذا ضرب من التفسير. إنّ الحال الذي ليس فوقه حال، **الخلاص** بعينه، هذا التنويم الكامل والسكون الذي تمّ إدراكه في نهاية الأمر، إنّما يسوغ عندهم على الدوام بوصفه اللغز في ذاته، الذي عبارته تضيق حتى عن الرموز الأعلى شأواً، بوصفه ضربا من حطّ الرحال والعودة إلى الموطن الثاوي في أعماق الأشياء، بوصفه انعتاقا من كلّ وهـم أو هوس، بوصفه "معرفـة"، بوصفه "حقيقة"، بوصفـه "كينونة"، بوصفه تخلّصـا من كلّ هدف وكلّ أمنية وكلّ عمل، بوصفه أيضا ضربا من ما وراء الخـير والشر. "الخير والشر، كـذا يقول البوذيّ، - هما الاثنـان قيدان: وإنّما على الاثنين يكون الكامل سيّداً" ؛ "ما أنجز وما لم يُنجَز، كذا يقول معتقد الفيدانتا[7]، لا يُحدث له ألماً؛ وهل كان حكيماً إلاّ بأنّه أسـقط عن نفسـه الخير والشر؛ ليس ثمّـة من صنيع قد يقلقل مملكتـه ؛ فإنّما بما وراء الخير والشر، بما وراء ذيْنك معاً تعلّقـت همّته".- هذا تصوّرٌ شـائع في الهند كلّها، أكان ذلك لدى البراهمة أم لدى البوذيين. (لا في ذهنية الهنود ولا في ذهنية المسـيحيين يسـوغ هذا "الخلاص" بوصفه شـيئا **يمكن أن يُدرَك** بواسـطة الفضيلة، بواسطة إصلاح الخُلق، مهما كانـت القيمة التنويمية للفضيلة أيضا مقرّرة عندهـم: على المرء أن يذكر هذا

1 - Freigeister. علينا أن نأخذ هذا المصطلح في معنى ساخر، حيث يشير على الأرجح إلى شخصية "المتزندق" أو المتحرر بشكل فجّ أو الملحد العامي الذي لا يسلم هو بدوره من مبضع "تأويلات" نيتشه.

2 - zu "inneren Lichtern"

3 - die Hesychasten

4 - Athos

5 - Therese

6 - Auslegung

7 - Vedânta

الأمر بقوة، - إنّ هذا لا يعدو أن يكون مطابقا لأمر واقع فحسب. أن يبقى المرء من **أهل الحقّ** في هذا الأمر، إنّما ينبغي على الأرجح أن يُنظر إليه بوصفه أحسن أمارة على الواقعية في الديانات الثلاث الكبرى، التي أصابتها عدوى الأخلاق[1]، كما جرت العادة، إلى حدّ النخاع[2]. "بالنسبة إلى العارف ليس هاهنا من واجب"... "ليس من **زيادة** الفضائل [381] يأتي الخلاص: إذ هو يكمن في التوحّد مع البراهما[3] الذي لا يحتاج إلى مزيد كمال؛ ولا من **ترك** الرذائل: ذلك بأنّ البراهما، هذا الذي التوحّدُ معه هو ذلكم الأمر[4] الذي يصنع الخلاص، إنّما هو محضٌ طهورٌ[5] أبداً" -هذه المواضع من شرح السانكرا[6]، أوردها أوّل **عارف** حقيقي بالفلسفة الهندية في أوروبا، صديقي بول دويسن[7].) علينا إذن أن نحفظ شرف "الخلاص" في الديانات الكبرى؛ بيد أنّه سيكون من الصعب علينا بعض الشيء أن نأخذ بجدّ ذلك التقدير الذي حظي به **النوم العميق** لدى هؤلاء المتعبين من الحياة الذين صاروا متعبين إلى حدّ العجز عن الحلم- ذلك النوم العميق بوصفه فناءً في البراهما، بوصفه الـ unio mystica[8] التي **تحقّقت** مع الإله. "فإذا نام كليّةً - كما أشيع عن ذلك في أقدم "كتابة" وأقدسها- وبلغ من السكينة أقصاها، بحيث لا يمكن لأيّ رؤيا أن تلوح له، فإنّه عندئذ، يا عزيزي، قد اتّحد مع الموجود، وتغلغل في ذات نفسه، ملفوفًا في ذاته العارفة فلم يعد له أيّ وعي بما يوجد في الخارج أو في الداخل. ذلك جسر لا يجتازه ليلٌ ولا نهار ولا هرمٌ ولا موت ولا عذاب ولا عمل صالح ولا عمل طالح". "في النوم العميق، كذا يقول المؤمنون بهذه الديانة التي هي أعمق الديانات الثلاث الكبرى، ترتفع النفس خارج هذا البدن، تدخل في النور الأعلى وتبرز عندئذ في صورتها الخاصة: وهناك تكون هي الروح العليا ذاتها، التي تجول وهي تمرح وتلعب وتطرب، أكان ذلك مع النساء أو في المراكب أم في صحبة الأصدقاء، لم تعد تشغلها هذه

---

1 – vermoralisirt

2 – قارن: إنساني، مفرط في لإنسانيته I، § 141.

3 – Brahman

4 – Das ist, was mit dem Eins zu sein...

5 – rein

6 – *Çankara*

7 – Paul Deussen

8 – باللاتينية في النص: "الوحدة الصوفية".

الروابط بالبدن الذي شدّ إليه prâna[1] (نفس الحياة) كما دابة الجرّ إلى العربة." وعلى ذلك، علينا هنا أيضا، كما في حالة "الخلاص"، أن نجعل هذا الأمر حاضرا في الأذهان، ألا وهو أنّ ما يعبّر عن نفسه هاهنا، وإنْ كان ذلك في روعة المبالغة الشرقية، هو لا يعدو أن يكون في واقع الأمر غير عين التقدير الذي كان لدى الواضح، البارد، البارد على نحو يوناني [382]، ولكن المعذّب أبيقور[2]: الشعور بالعدم بوصفه منوّماً، سكينة النوم العميق، وباختصار **انعدام الألم**- ذلك ما يمكن أن يسوغ عند المعذّبين والمصابين في أعماقهم بوصفه هو الخير الأسمى، بوصفه قيمة القيم، ما **ينبغي** أن يُقدّر من قِبلهم بوصفه أمرا موجبا، بوصفه الأمر الموجب بحدّ ذاته. (وبمقتضى منطق الشعور ذاته فإنّ العدم في كلّ الديانات التشاؤمية إنّما يسمّى **الله**.)

.18

على نحو أكثر تواترا بالكلّية من هكذا خنق تامّ ومنوّم للحساسية وللقدرة على الألم، الذي يفترض بعدُ قوًى استثنائيةً، وقبل كلّ شيء شجاعةً وازدراءً للرأي السائد وضربا من "الرواقية العقلية"، تمّت محاولةُ training آخر ضدّ هذه الحالة من الانهيار العصبي، هو على كلّ حال أيسر وأخف مئونة: إنّه **النشاط الآلي**[3]. أنّه معه إنّما يتمّ الترويح عن كيان معذّب[4] على نحو ملموس، فذلك أمر لا تتطرّق إليه ذرّة من الشك: والمرء اليوم يسمّي هذه الواقعة، على نحو لا يخلو من خداع، "نعمة العمل". ويتمثّل الترويح في هذا، أنّه يصرف اهتمام المعذّب كلّيةً عن عذابه، - أنّ فعلاً واحدا ثمّ فعلاً واحدا فقط إنّما يبرز في الوعي باستمرار، وبالتالي لا يبقى من مكان للعذاب إلاّ قليلا: ذلك بأنّها **ضيّقة**، حجرة الوعي الإنساني هذه! إنّ النشاط الآلي وما يدخل في نطاقه –من قبيل الانتظام المطلق والطاعة الدقيقة وغير المشروطة ونمط حياة محدّد مرة واحدة وبلا رجعة وملأ الوقت وطلب الإذن بشكل ما، أجل نحو من التربية على "انعدام الشخصية"[5]، على نسيان الذات، على

1 – "البرانا". لفظة سنسكريتية (لغة هندية قديمة) تعني "طاقة حيوية".

2 – قارن: **المسيح المضاد**، § 30.

3 – *die machinale Thätigkeit*

4 – ein leidendes Dasein

5 – “Unpersönlichkeit”

الـ"incuria sui"[1] -: كم كان الكاهن المتنسّك جذريّا، كم كان متلطّفا في معرفة كيف يستخدم كلّ ذلك في صراعه مع الألم! وتحديدا حينما يكون له شأن مع المعذّبين من الطبقات الدنيا، مع العبيد أو المساجين (أو مع النساء[2]: اللاتي كنّ غالباً ذينك الأمرين معاً، عبيداً وسجينات)، فهو لم يكن في حاجة إلاّ إلى قليل من فنّ [383] تبديل الأسماء وإطلاق الأسماء[3]، حتى يجعل الأشياء الكريهة تبدو لهم من بعدُ وكأنّها نعمة ووجهٌ من السعادة:- إنّ تذمّر العبيد من سوء حظّهم هو بأيّة حال **لم يكن** من صنع الكاهن.- ثمّة وسيلة أخرى محمودة أيضا في الصراع ضدّ الاكتئاب هو التوصية بـ**بهجة صغيرة**[4] تكون في المستطاع بالهيّن من الجهد ويمكن أن تُتّخذ قاعدةً وسيرة؛ وفي الأغلب يستخدم المرء هذه الوصفة[5] في اتصال مع تلك التي تكلّمنا عنها قبلُ. إنّ الصيغة الأكثر تواترا حيث توصف البهجة باعتبارها أداة استشفاء هي بهجة **صنع** البهجة (في شكل حسنة وهديّة وتخفيفٍ وعونٍ ونُصح ومواساة وثناء ومراعاة)؛ إنّ الكاهن المتنسّك، من حيث يوصي بـ"محبّة ذوي القربى"[6] هو في واقع الأمر يوصي بإثارة الغريزةِ الأكثر قوة والأشدّ إثباتًا للحياة، وإنْ كان ذلك بجرعة جدّ محترسة، - **إرادة الاقتدار**. إنّ سعادة "التفوّق الأصغر"، كما يحملها معه كلُّ إحسان ومعروف وعون ومراعاة، هي وسيلة العزاء الأكثر مثوبة التي يعنى المعاقون فزيولوجيا باستخدامها، متى فرضنا أنّهم قد وجدوا النصيحة الجيّدة: أمّا في ما عدا ذلك، فإنّهم يؤذون بعضهم بعضا، وبالطبع في طاعة تلك الغريزة الأساسية عينها. ولو بحث المرء في بدايات المسيحية داخل العالم الروماني، إذن لرأى كيف نشأت جمعيات للتآزر المتبادل، جمعيات للفقراء والمرضى ودفن الموتى، انبثقت من الطبقة السفلى من مجتمع ذلك العصر، حيث تمّ بكلّ وعي الاعتناءُ بهذه الوسيلة الكبرى ضدّ الانهيار، البهجة الصّغيرة، بهجة الإحسان المتبادل، - هل كان ذلك، ربما، شيئا جديدا عندئذ،

---

1 - باللاتينية في النص: "إهمال الذات".

2 - die Frauen

3 - die Umtaufung. يلمّح نيتشه هنا من طرف خفي إلى معنى "taufen" أي عمّد بالمعنى المسيحي. ومنه "der Taufname" - الاسم الشخصي. بين التسمية والتعميد هناك صلة سابقة إلى الفهم ينبغي استلماحها في عبارة "Umtaufung" - تبديل الاسم بعد التعميد.

4 - بعض تقنيات الكاهن: 1. تبكيت الحواس؛ 2. النشاط الآلي؛ 3. الترويح عن النفس.

5 - Medikation

6 - "Nächstenliebe". هو ما تشير إليه العبارة الإسلامية: "صلة الرحم" و"صلة ذوي القربى"...حيث لا يقع التركيز على معنى "المحبة" المسيحي.

اكتشـافًا حقيقيا؟ في صلب "إرادة المعاملة بالمثـل"، التي انبعثت على هذا النحو، إرادة تكويـن القطعان و"الجماعـات والطوائف"[1] و"النـوادي"[2] كان ينبغي مرة أخرى أن تبلـغ إرادة الاقتدار هذه، وإن كأضعف ما يكون، إلى انفجار جديد وحافـل تماماً: إنّ **تكويـن القطعان** هو، في الصراع ضـدّ الانهيار، خطوة عملاقة وضرب من النصر. وإنّما بنشأة الجماعة يتعزّز أيضا عند الفرد نحوٌ جديد [384] من الاهتمام، من شـأنه في الأغلب أن يرفع عنه الجانب الأكثر شخصيّة في فتور همّته ونفوره من نفسه (شيئا من قبيل "despectio sui"[3] غولينكس[4]). إنّ كلّ المرضى والحاملـين للمرض[5] إنّما يتطلّعـون، رغبةً منهم في التخلّص من الكآبة الخرسـاء ومن الشـعور بالضعـف، إلى تنظيم القطيـع: وإنّ الكاهن المتنسّـك يحزر هذه الغريزة ويشـجّعها: فحيثما يكون ثمّة قطيع، توجد غريـزة الضعف التي أرادت القطيع وحكمة الكاهن التي نظمته. على المرء ألاّ يغفل عن ذلك: فكما يتطلّع الأقويـاء بحكم الطبيعة إلى **الافـتراق** عن بعضهم، يتطلّع الضعفاء إلى **التوحّد** مع بعضهـم البعض؛ وإذا ما ارتبـط الأُول برابطة ما فإنّما ذلك أملاً في عمل هجوميّ شـامل وإشـباع كامل لإرادة الاقتـدار التي تحدوهم، مع مقاومـات عديدة من الضمير الفردي[6]؛ أمّا الآخرون فإنّهم يتنظّمون في جماعة مع **الاسـتلذاذ** تحديدا بهذا التنظّم الجماعي، - إنّ غريزتهم قد أُشبعت على هذا النحو، مثلما أنّ غريزة الذين هم بالولادة "أسياد" (نعني ذلك النوع من الوحوش الضارية من بني الإنسان) هي في قرارها يسـتفزّها التنظيم ويزعجها. في ثنايا كلّ أوليغارشية -والتاريخ عن ذلك عبرة كلّه- تكمن شـهوة **الطغيان** متخفّيةً؛ كلّ أوليغارشـية إنّما شأنها أن تهتزّ دون انقطاع بسبب التوتّر الذي يحويه كلّ فرد بالضرورة في قلبه، بأنّ عليه أن يظلّ على هذه الشهوة سيّدا. (كذا كان الأمر مثلاً عند **الإغريق**: إنّ أفلاطون ليشهد بذلك في مائة موضع، أفلاطون[7]، الذي كان يعرف نوعه - ونفسه...)

1 - "Gemeinde"

2 - "Cönakel". قاعات العشاء السري.

3 - باللاتينية في النص الألماني: "احتقار النفس"

4 - Geulinx. هو فيلسوف أخلاقي هولندي من القرن السابع عشر.

5 - krankhaften

6 - das Einzel-Gewissen

7 - قارن: أفلاطون، الجمهورية، الكتاب الثامن (550ج-576ب).

.19

إنّ أدوات الكاهن المتنسّك التي اهتدينا إليها إلى حدّ الآن - التثبيط التام للشعور بالحياة والنشاط الآلي والبهجة الصغيرة ولاسيما بهجة "محبة ذوي القربى" وتنظيم القطيع وإيقاظ شعور الجماعة بالاقتدار، بحيث يختفي استياء المرء من نفسه في ثنايا استمتاعه بازدهار الجماعة - إنّما هي، متى قيست بمقاييس حديثة، أدواته **البريئة** [385] في صراعه مع الشعور بالضيق: لنلتفت الآن إلى الذين هم أكثر مثارا للاهتمام، للـ"مذنبين". فعند هؤلاء لا يتعلق الأمر إلاّ بأمر واحد: **تهييج المشاعر**[1] بأيّ شكل اتفق، - من حيث أنّ هذا يصلح بوصفه وسيلة فعّالة ضدّ حالات الألم[2] الطويلة التي تُشلّ وتقبّض النفس؛ لهذا فإنّ نبوغ الكاهن لا ينفد متى تعلق الأمر بانتحال هذا السؤال الأوحد: "**ما الشيء الذي به نحدث تهييج المشاعر؟**"...إنّ وقْع هذا الأمر لشديد: قد يكون بلا ريب وقعا حسنا وعلى الأرجح شيئا تستسيغه الأذن، لو أنّني قلت مثلا "إنّ الكاهن المتنسّك قد أفلح دوما في الاستفادة من **الحماس** الكامن في كلّ عاطفة قوية". ولكن لِمَ نربّت بحنوّ على الآذان المدلّلة لمخنّثينا المحدثين؟ لِمَ نتقدّم **من جانبنا** ولو خطوةً واحدة نحو رياء الكلمات في أفواههم؟ بالنسبة إلينَا نحن النفسانيين، يوجد بعدُ ههنا نحوٌ من رياء **الأمر الواقع**؛ فضلا عن الاشمئزاز الذي يسبّبه لنا. إنّ أيّ عالم نفس إنّما يكشف اليوم، إزاء أيّ أمر اتفق، عن **ذوقه الرفيع**[3] (وغيرنا قد يودّ أن يقول: عن نزاهته)، بقدر ما ينفر من طريقة الكلام **الملوّثة أخلاقياً**[4] على نحو مفضوح، التي أخذت تلقي بمخاطها في الآونة الأخيرة على كلّ أحكامنا الحديثة على الإنسان أو على الأشياء. على المرء ألاّ ينخدع إزاء هذا الأمر: إنّ ما يصنع الميزة الكبرى للنفوس الحديثة والكتب الحديثة، ليس الكذب، بل **البراءة**[5] الكبرى المتأصّلة في الأكذوبة الأخلاقوية. أنّ علينا أن نكتشف هذه "البراءة" مرة أخرى في كلّ مكان- ذلك ما يشكّل على الأرجح المقطع المقيت من عملنا، من كلّ هذا العمل الذي لا يخلو من حرج، الذي

---

1 – Ausschweifung. علينا أن نضع في الاعتبار: -1 معنى هيّج المشاعر وجعلها جيّاشة ؛ ولكن أيضا، -2 معنى الفجور والتهتّك. ولا يتعلق الأمر بمجرد إثارة المشاعر بل بإثارتها حتى تتجاوز الحد وتخرج عن الطور.

2 – Schmerzhaftigkeit

3 – *guter Geschmack*

4 – *vermoralisirt*

5 – die Unschuld. بالمعنى الحرفي: "عدم الذنب".

حقيــقٌ بأيّ عالم نفســانيٍ أن يخوض فيه؛ إنّه جزء من الخطــر الكبير **الخاص بنا**، إنّه طريق، ربما يقودنا رأســاً إلى الاشمئزاز الكبير... أنا لا أشكّ أبدا في الأمر الوحيد **الذي له** تصلح الكتب الحديثة (متى فرضنا أنّه سيُكتب لها الدوام، وهو بلا ريب أمرٌ لا ينبغي أن نخشــاه، وأنّه ســيوجد يوما ما خلَفٌ يكون له ذوق أكثر صرامة وأشدّ صلابةً **وأوفر صحّة**)- في الأمر الذي يستحقّ أن يصلح له **كلّ** ما هو حديث [386] بعامــة في نظــر هذا الخلَف ومــا يمكن أن يصلح: أن يبعــث على القيء، - وذلك بسبب تحليته السَمِجة وزيفه الأخلاقي، بسبب أنثويّته المتغلغلة، التي تسمّى نفســها عن طيب خاطر "مثالية" أو تؤمن على أيّــة حال بأنّها مثالية. إنّ مثقّفينا اليوم، إنّ "خيّرينــا" لا يكذبون – هذا صحيح؛ لكنّ هذا **لا** يمنحهم شرفاً! إنّ الكذب الحقيقي، الكذب "الشريف" الحازم الأصيل (الذي يجدر بالمرء أن يسمع أفلاطون[1] متحدّثا عن قيمته) إنّما سيكون بالنسبة إليهم شيئا شديدا عليهم، جدٌّ صارما وجدٌّ قويّا؛ سوف يتطلّب ما لا **يحق** وما لا يمكن للمرء أن يطلبه منهم، أن يفتّحوا أعينهم على أنفســهم، أن يعرفوا كيف يميّزون عند ذات أنفسهم بين "الصواب" و"الخطأ". فليس يناسبهم إلاّ **الكذب غير الشريف**؛ كلّ طرف[2] يشعر اليوم بأنّه "إنسان خيّر" هــو غير قادر بالكلّية عن أن يرى إلى أمــر ما مهما كان إلاّ كما إلى **أكذوبة غير شريفة**، أكذوبة بعيدة الغور، ولكن أكذوبة بريئة، أكذوبة ســاذجة، أكذوبة ذات عيون زرقاء[3]، أكذوبة فاضلة. أولاء "البشر الخيّرين"- هم الآن جميعا قد تلوّثوا أخلاقياً[4] قلبا وقالباً[5] وبالنســبة إلى الشرف هم وقعوا في العار وضاعوا إلى الأبد: فمن منهم لازال يتحمّل **حقيقة** واحدة "حول الإنسان"!... أو، متى سألنا على نحو ملموس أكثر: من منهم قد يحتمل ســيرةً[6] **حقيقيّة**! ... ها بعض الأدلة: إنّ اللورد بيرون[7] قد دوّن بعض الأشــياء الخاصة جدّا عن نفسه، لكنّ توماس مور[8] كان "حليماً جدّا"[9]

1 – قارن: أفلاطون، الجمهورية. الكتاب الثالث، 389ج.

2 – was

3 – في معنى أنّها "ساذجة" و"غريرة". قارن: ما وراء الخير والشر، § 244.

4 – vermoralisirt

5 – in Grund und Boden

6 – Biographie

7 – Lord Byron

8 – Thomas Moore

9 – “zu gut”

حيال ذلك: لقد أحـرق أوراق صديقه. وعلى ما يبدو فإنّ الدكتور غفينار[1]، منفّذ وصية شـوبنهاور، قد اقترف الأمر نفسـه: ذلك بأنّ شوبنهاور أيضا قد دوّن بعض الأشـياء حول نفسـه وربما ضـد نفسـه ("εἰς ἑαυτόν"). وإنّ تايار[2] الأمريكي البارع، كاتب سـيرة بيتهوفن، قد توقّف ذات مرة عن عمله: ما إن بلغ عند نقطة من هذه الحياة المهيبة والسـاذجة، حتى لم يطق مع الأمر صبرا... هي الأخلاق: فأيّ رجل رزين حكيم[3] ما زال يمكنه أن يكتب اليوم كلمة شريفة حول نفسـه؟- اللّهم إلاّ أن ينتمي إلى رابطة الجسارة المقدّسة. ولقد وعدونا بسيرة ذاتية[4] عن ريتشارد فاغنر: فمن [387] يشـكّ في أنّها سـتكون سيرة ذاتية **رزينة حكيمة**؟... لنذكر أيضا الفزع المضحك الذي أثاره الكاهن الكاثوليكي يانسـن[5] بسبب الصورة الوديعة والخرقاء بكلّ المعاني، التي رسـمها عن حركـة الإصلاح الألماني؛ ماذا عسـاه يحدث لو أنّ أحدا قصّ علينا أمر هذه الحركة يوما ما **على نحو مغاير**، لو أنّ عالما نفسـانيّاً حقيقيّا سرد علينا قصّة لوثر حقيقيّ، لم تعد تُحكى بالسذاجة المتخلّقة لواعظ قرويّ، ولا بالاحتشام المتكلّف والمترفّق للمؤرخين البروتستانت، وإنّما على سـبيل المثال بجرأة تان[6] التي لا تهاب أحدا، التي تصدر عن **قوّة النفس**[7] وليس عن تسـاهل حكيم مع هذه القوة؟... (إنّ الألمـان، لنقل ذلك دون إلحاح، قد أفلحوا أخيرا على نحو واضح كفاية في اكتشاف النمط الكلاسيكي لهذا الضرب من التساهل، - إنّه يحقّ لهم أن ينسبوه لأنفسهم وأن يفخروا به: نعني في صاحبهم ليوبولد رانكه[8]، هذا الـ advocatus[9] الكلاسـيكي الذي وُلد للدفاع عن كلّ causa[10] fortior، هذا الحكيم الأكثر حكمة من بين كلّ "الواقعيين"[11].)

---

1 - Gwinner

2 - Thayer

3 - klug

4 - Sebstbiographie

5 - Janssen

6 - Taine. - قارن: ما وراء الخير والشرّ، § 254.

7 - die *Stärke der Seele*

8 - Leopold Ranke. مؤرخ ألماني (1795-1886).

9 - باللاتينية في النص: "المحامي"، "المدافع". قارن: ما وراء الخير والشر، § 34.

10 - باللاتينية في النص: "قضية أقوى" في معنى "قضية رابحة".

11 - "Thatsächlichen"

.20

علـى أنّ المـرء قد فهمني بعدُ: - أليس صحيحا أنّ ذلك سـبب كاف، متى أخذنـا الأمر في جملته، لأنْ يلازمنا، نحن النفسـانيين في هـذه الأيام، **احتراسٌ ما من ذات أنفسـنا**؟... وأغلب الظنّ أنّنا نحن أيضا لا نزال "طيّبين جدّا"[1] بالنسبة إلى حرفتنـا، أغلب الظنّ أنّنا نحن أيضا لا نزال ضحايا، فريسـةً، مرضى هذا الذوق الملوّث أخلاقياً[2]، مهما شعرنا أيضا بأنّنا له مزدرون- أغلب الظنّ أنّه قد أصابنا **نحن** أيضا بعـدواه[3]. ولكن ممّا يحذّر هذا الدبلوماسي حين خاطب نظراءه؟ "لنحترس قبل كلّ شيء، يا سـادتي، من خلجاتنا الأولى! كـذا يقول، إنّها **تكاد تكون دوما حسنة**"[4]... كذا أيضا يجب على كلّ عالم نفساني أن يخاطب اليومَ نظراءه... ومـن ثمّة نحن نعود القهقرى نحو المشـكل الذي يخصّنا، الـذي يتطلّب منّا في الواقع صرامةً معيّنة، [388] احتراسـاً ما على الخصـوص من "الخلجات الأولى". إنّه **المثل الأعلى النُّسُـكي في خدمة نيّة تهييج المشـاعر**:- مـن يذّكر المقالة الفائتة، بإمكانه بعدُ من حيث الجوهر استباق المحتوى الموجز في هذه الكلمات الجديدة لما ينبغي علينا إظهاره منذ الآن. أن نفكّ النفس البشريّة يوما ما من كلّ عُراها حتى تصدّع وتخرج عن طورها[5]، أن نُغرقها في الذعر والصقيع واللظى والشغف، بحيـث تفلت، كما بصاعقة، مـن كلّ صغائر الأمور التي تدفع على الشـعور بالضيق والانقباض وتعكّر المزاج: أيّة سبل تقود إلى **هذه** المرامي؟ وأيّ منها هي الأكثر أمناً؟... في واقع الأمر، كلّ العواطف الكبيرة لها قدرة ما على ذلك، شريطة أن تتفجّر بغتةً، أكانت غضباً أو خوفاً أو شهوةً أو ثأراً أو أملاً أو نصراً أو يأسـاً أو قسـاوة ؛ وبالفعل فإنّ الكاهن النُّسُكي قد أخذ في خدمته، دونما حرج يُذكر، **كلَّ** رهط الكلاب المتوحشـة التي في الإنسان وتارة يطلق هذا وطورا يُطلق ذاك، ودوماً من أجل هدف بعينه، أن يوقظ الإنسان من حزنه الطويل، أن

---

1 - تعبير ساخر ولا يمثل نمط النبيل. قارن: الفقرة الأولى من هذه المقالة.

2 - vermoralisirt

3 - inficirt. إنّ إقحام معنى "الإصابة بالعدوى" أو "التلوّث" هنا يساعدنا أيّما مساعدة على أخذ فعل "vermoralisieren" في معنى التلويث الأخلاقي. ولذلك حقيق علينا ترجمة "vermoralisirt" في معنى "ملوّث أخلاقيا".

4 - يثبت الشرّاح أنّ هذه عبارة قالها Talleyrand ووصلت إلى نيتشه عن طريق كتاب ستوندال، **مذكّرات سائح**.

5 - aus allen ihren Fugen zu lösen

يردّ ألمه الدفين وبؤسه المتردّد على أعقابه ولو لبعض الوقت، وذلك على الدوام تحتِ تأويل و"تبرير"[1] ديني. كلّ تهييج للمشاعر من هذا النوع سوف **يدفع** المرء **ثمنه** لاحقا، ذلك أمر يُفهم من نفسه؛ إنّه يجعل المريض أشدّ مرضاً-: ولهذا السبب فإنّ هذا النوع من دواء الألم، متى قيس بالمقاييس الحديثة، هو نوع "مذنب"[2]. وعلى ذلك فإنّ على المرء، حتى يكون منصفا، أن يؤكّد خصوصا على أنّه قد تمّ استخدامه بـ**ضمير نقيّ**[3]، وأنّ الكاهن النُّسُكي قد أمر به بناءً على إيمان عميق بجدواه، بل باعتباره شيئا لا غنى عنه، - بل أنّه أمام الشقاء الذي خلقه قد كاد في عديد المرات أن يدمّر نفسه؛ كذلك أنّ الانتقامات الفزيولوجية الكاسحة لهكذا زيادات مفرطة، وربما حتى اختلالات عقلية، هي في واقع الأمر لا تناقض على وجه التخصيص المعنى العام لهذا النوع من العلاج: باعتباره، كما تبيّن لنا قبلُ، لم يكن من أجل الشفاء [389] من الأمراض، بل من أجل مكافحة القلق الناجم عن الانهيار، من أجل التخفيف منه، من أجل تخديره. وإنّما **بهذه الطريقة** تمّ البلوغ إلى هذا الهدف. إنّ المجازفة الكبرى التي سمح بها الكاهن النُّسُكي لنفسه حتى يطلق في أرجاء النفسِ البشرية رنين هذا النوع من الموسيقى الكاسرة والأخّاذة، قد تمّت بهذا-وكلٌّ يعرف ذلك-، أنّه اهتدى إلى وجه الاستفادة من **الشعور بالذنب**. وكانت المقالة السالفة قد كشفت باختصار عن أصله- بوصفه جزءً من علم النفس الحيواني، ليس أكثر: فقد ألفينا الشعور بالذنب هاهنا بوجه ما كما في حالته الخام.إنّه فقط ما بين يديّ الكاهن، هذا الفنان الحقيقي في الشعور بالذنب، هو قد اتخذ هيئته – آه وأيّ هيئة! إنّ "الخطيئة" – إذْ هكذا ينصّ التفسير الكهنوتي لدلالة[4] "الضمير المعذّب" الحيواني (القساوة التي انقلبت ضدّ نفسها)- إنّما هي إلى حدّ الآن الحدث الأكبر في تاريخ النفس المريضة: إذ نحن نتوفّر فيها على الحركة السحرية الأشدّ خطرا والأكثر شؤما للتأويل[5] الديني. الإنسان، المتألّم من ذات نفسه على صعيد ما، فزيولوجي بلا ريب، مثل حيوان محبوس في قفص، لم يتبيّن له لماذا ولا من أجل ماذا؟ تحدوه الرغبة في أن يعرف الأسباب- فالأسباب تخفّف عنه-، متلهّف أيضا لما يسكّن وما يخدّر،

1 – "Rechtfertigung"

2 – تلميح إلى بداية الفقرة 19.

3 – mit *gutem Gewissen*

4 – die priesterliche Umdeutung

5 – Interpretation

فينتهـي إلى طلب النصح من واحد، يعرف حتى مـا يختبئ المجهول- وما كذب الفـؤاد مـا رأى[1]! لقد حصل على إشـارة، لقد حصل من سـاحره، من الكاهن النُّسُـكي على الإشـارة **الأولى** حول "علة" عذابه: يجب عليـه أن يبحث عنها في **ذاتـه**، في **ذنـب** ما، في مقطع مـن ماضيه، يجب عليه أن يفهـم عذابه بوصفه **حالة عقاب**...لقد سـمع، لقد فهم الشـقيُّ: إنّ أمره الآن مثل الدجاجة التي أُحيط بها بخـطّ. لن يخرج عن هـذه الدائرة من الخطوط مرة أخرى: مـن المريض تمّ صنع "مرتكـب الخطيئة"... ومنذئذ لم يتخلص المرء من منظر هذا المريض الجديد، من "الخطّاء"، لمدة ألفيْ سـنة، - هل سـيتخلص المرء من ذلك يوما ما؟- أينما وليّنا وجوهنا، في كلّ مكان ثمّة النظرة المنوِّمة للخطّاء، التي هي على الدوام في عين الاتجـاه [390]تتحرك (في اتجاه "الذنب"، باعتباره سـببية العذاب[2] **الوحيدة**)؛ في كل مـكان يوجد الضمير المعذّب، هذا "الحيوان الشـنيع"، حتى نتكلم مثل لوثـر؛ في كل مكان يوجد الماضي المعاد مضغُه، الفعل المشـّوه والمموّه، "العين الحانقة" على كلّ فعل؛ في كل مكان ثمّة إرادة سـوء فهم للعذاب تحوّلت إلى معنـى للحياة وفحوى لها، ثمّة تأويل لدلالة[3]العذاب في مشـاعر الذنب والخوف والعقاب؛ في كل مكان يوجد السـياط والمسوح والجسد النحيل والانكسار؛ في كل مكان لا يفتأ الخطّاء يعذّب نفسـه في الـدولاب المروّع للضمير الجزوع المريـض النهـم؛ في كل مكان ثمّة اللوعة الخرسـاء، الخـوف الذي لا يضاهيه خوف، احتضار القلب الشهيد، الحركات المصطنعة[4] لسعادة مجهولة، وصرخات "الخـلاص". وفي الواقـع فإنّه مع هـذه المنظومة من الإجـراءات إنّما تمّ من حيث الأسـاس **تجاوز** الانهيار القديم والثقل والتعب، وإذا بالحياة قد صارت مرة أخرى **جدُّ** مثيرة للاهتمام: متهجّدا، متهجّدا أبدا، يقيم الليل[5]، متوهّجا، ممحوقا، مستنفدا وعلى ذلك لا يكلّ ولا يتعب- كذا يظهر الإنسان، "الخطّاء"، الذي اطّلع على **هذه** الأسرار. هذا السـاحر الكبير القديم في صراع مع الشعور بالقلق، كاهن التنسّك- كان قد انتصر بشكل مبين، وكان ملكُه قد حلّ زمانه[6]: إنّ المرء

1 – und siehe da!

2 – die Leidens–Causalität

3 – Umdeutung

4 – die Kämpfe

5 – übernächtig

6 – عبارة إنجيلية سبق أن وردت في المقالة I، §§ 14–15.

قد كفّ بعدُ عن رفع شـكواه **ضـدّ** الألم، بل هو **يلهـث** وراء الألم؛ "مزيداً من الألم! مزيداً من الألم!" كذا كانت شـهوة حوارييه ومريديه تصرخ طيلة مئات السـنين. كلّ تهييج للمشـاعر، من النوع الذي يحدث وجعـاً، كلّ ما يكسر كسراً ويقلب قلباً ويسـحق سـحقاً ويغشي غشـيا ويجذب جذبـاً، سرُّ أماكن التعذيب، مكر الجحيم ذاته- كلّ ذلك قد وقع منذئذ اكتشـافه واستشعاره واستغلاله، كلّ ذلك كان في خدمة الساحر، كلّ ذلك أخذ يساعد من هنا فصاعدا على نصر مثله الأعلى، المثل الأعلى التنسّـكي... "إنّ مملكتي ليست من **هذا** العالم"[1]- كذا كان يقول من قبلُ ومن بعدُ: هل مازال بالفعل يملك الحق في أن يتكلّـم عـلى هذا النحو؟... لقد زعم غوته أنّه ليس ثمّة إلاّ سـتة وثلاثون موقفـا تراجيديا: لابـدّ أنّ المرء قد حزر، إن لم يكن يعـرف بعدُ، أنّ غوته ليس بكاهن متنسّك. إذ أنّ هذا- يعرف أكثر...

[391]

.21

فيـما يتعلق **بهذا** النوع مـن التطبيب الكهنوتي برمّته، النـوع "المذنب"، كلّ كلمة نقد إنّما هي نافلة. أنّ هكذا تهييجا للمشـاعر، مثل الذي تعوّد الكاهن النُّسُـكي من دهره أن يوصي بـه لمريضه (تحت أقدس الأسـماء، كما يُفهَم من نفسه، وكذلك مشحوناً بقداسة مقصده)، قد كان على نحو من الأنحاء **مفيدا** بالفعل لواحد من المرضى، من تراوده الرغبة في أن يرفع ادعاء من هذا النوع؟ على الأقـلّ قد يجب علينا أن نتفق حول لفظة "أفـاد"[2]. هل يريد المرء بذلك أن يقول أنّ هذا النوع من منظومة العلاج قد **حسّـن** من الإنسـان وجعله **أفضل**[3]، هذا أمر لا أناقضه: إلاّ أنّني أضيف فحسـب، أنّ "حسّـنه" إنّما يعني عندي- شيئا من قبيل "دجّنه"، "أضعفه"، "ثبّط همّته"، "رقّقه"، "ليّنه"، "خصاه"[4] (وهكذا تقريبا شيئا مثل **أضرّ بـه**...[5]). ولكن إذا ما تعلق الأمر رأسـاً بالمرضى والمتأفّفين والمكتئبين، فإنّ

---

1 – لا يوجد الدين إلاّ من خلال افتعال نزاع يجعل "الإنسان ضدّ العالم". قارن: **المعرفة المرحة**، § 346.

2 – nützen

3 – verbesseren

4 – entmannt. أزال الرجولة والفحولة.

5 – أضرّ بقدرته على الحياة. ولا يفهم نيتشه "عمل الأخلاق" (Vermoralisierung) على نحو آخر: هي تلويث الغرائز بقيم مضادة للحياة.

هكذا منظومة، حتى لو فرضنا أنّها تجعل المريض "أحسـن حالا"، هي من شأنها أن تجعله **أشدّ مرضا**؛ فليسأل المرء أطبّاء المجاذيب إلامَ يؤدي الاستخدام المنهجي لعذابـات التكفير عـن الذنب وانكسـارات النفس واختلاجـات الخلاص. وليسـتخبر التاريخ أيضا: في كل مكان، حيثما فرض الكاهن النُّسُـكي هذا النـوع من علاج المرضى، إنّما ازدادت الحالة المرضية في كل مرة عمقاً واتسـاعاً بسرعة غير مألوفة. ماذا كانت "النتيجة"[1] على الدوام؟ جهاز عصبي محطّم، يُضاف إلى مـا كان مريضـا من قبـل؛ وذلك في أعظم الأمور كـما في أصغرها، لدى الأفـراد كما لدى الجماهير[2]. نحن نعثر، كاسـتتباع للـ training[3] على الكفّارة والخـلاص، على أوبئة صرعيّة هائلة، من أكبر ما عرفه التاريخ، مثل شـطحات[4] القديس فايت[5] والقديس يوحنا[6] في القرون الوسـطى؛ نحن نعثر، كشكل آخر من عواقبـه، على حالات رهيبة من الكسـاح والاكتئابـات المزمنة، معها، في بعض الأحايين، ينقلب مزاج[7] شعب ما أو مدينة ما (جنيف، بازل) انقلابا تاما إلى ضدّه؛- في هذا الباب أيضا تدخل [392] هستيريا الساحرات، في شيء من القرابة مع الرّوبصة[8] (ثمانية أوبئة كبيرة قد تفشّت ما بين 1564 و1605 فقط)- ؛ نحن نعثر كذلك، كاستتباع له، على ذلك النوع من هذيان الجماهير المدمنة على الموت، الذي سُـمع صدى صرخته المفزعـة "evviva la morte"[9] في كلّ أرجاء أوروبا، تتخللهـا ردود فعل فطرية[10] تارة شـهوانية وطورا تخريبية: مثـل التقلّب العاطفي عينه، الذي لا يزال يُلاحَظ اليوم أيضا في كل مكان بتقطّعاته وطفراته عينها، في كل حالة تحقّق فيها نظريةُ الخطيئة النسـكيّة نجاحا ما مرة أخرى (إنّ العصاب

---

1 – Erfolg – النتيجة في معنى "المكسب" أو "النجاح".

2 – die Massen

3 – بالانجليزية في النص الألماني.

4 – هو حسب نيتشه رقص ارتكاسي لا علاقة له بالرقص الحيوي في أعراس ديونيزوس، كما وصفها نيتشه في مولد التراجيديا، § 1.

5 – St. Veit

6 – St. Johann

7 – das Temperament

8 – Somnambulismus

9 – بالإيطالية في النص الألماني: "يحيى الموت!".

10 – Idiosynkrasien

الديـني[1] إنّما **يظهر** بوصفـه ضربا من "الصَرْع"[2]: ليس في ذلك من شـك. فماذا هي؟ Quaeritur[3].) وعلى الجملة فإنّ المثل الأعلى النّسـكي وشـعائره الأخلاقية الرائعة[4]، هذا التنسـيق الأثرى روحا والأقلّ تحرّجا والأكثر خطرا لكلّ وسائل تهييج المشاعر تحت حماية النوايا المقدسة، هو قد سجّل نفسه بطريقة مهيبة لا تُنسى في تاريخ البشر برمّته؛ ومع الأسف **ليس** في تاريخه **فحسب**... أكاد لا أعرف شيئا إلى حدّ الآن يستحقّ الذكر قد أضرّ إلى هذا الحدّ إضرارا مدمّرا **بالصحة** وصلابة الأعراق، لاسـيما لدى الأوروبيين، مثلما فعل هذا المثل الأعلى؛ ويحقّ للمرء، دون أيّة مبالغة، أن يسمّيه **المصيبة الحقيقية** في التاريخ الصحي للإنسان الأوروبي. وعلى الأكثر فإنّ تأثيره هو أقرب لأنْ يُماثَل مع التأثير الجرماني تخصيصاً: أعني بذلك تسـميم أوروبـا بالكحول، الذي ظلّ إلى حدّ الآن يخطو حـذو النعل بالنعل مع الثقل السـياسي والعرقـي الغالب للجرمان (- فحيثما لقّحـوا دماءهم، هم لقّحوا رذائلهـم أيضـا).- في المرتبة الثالثة من القائمة قد يتوجّب أن نسـمّي أيضا مرض الزهري- magno sed proxima intervallo[5].

.22

إنّ الكاهـن المتنسّـك قـد أتلف الصحة النفسـية أينما نجح في أن يبسـط سلطانه، وبالتالي هو قد [393] أتلف **الذوق** أيضا in artibus et litteris[6]، - وهو لا يزال يتلفه على الدوام. "وبالتالي"؟- أنا آمل أن يقبل المرء مني "بالتالي" هذه دون قيد أو شرط؛ على الأقلّ أنا لن أقيم الدليل عليها. ها إشارة وحيدة: إنّها تنطبق على الكتاب الأسـاسي للآداب المسيحية، على نموذجها الصميم، "الكتاب في ذاته" الذي يخصّها. والناس لا يزالون في رحاب الروعة اليونانية-الرومانية، التي كانت

1 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 47.

2 - das "böse Wesen". بالمعنى الحرفي: "الماهية الشريرة". ورغم أنّ هذا مصطلح طبّي، فإنّ نيتشه يستثمره ساخرا في نطاق سلّم التقويم الذي على أساسه يؤوّل معنى الدوافع النفسانية: إنّ "المرض" شرّ في معنى أنّه ناجم عن إرادة "شرّيرة" غير قادرة على محبة الجسد في براءته. إرادة مريضة تنتج جسدا مريضا.

3 - باللاتينية في النص: "للمرء أن يتساءل"

4 - sublim-moralisch

5- باللاتينية في النص الألماني: "على مسافة بعيدة وعلى ذلك هو أقرب ما يكون". هو مقطع مستقى من إنيادة (Énéide) فرجيل، النشيد الخامس، البيت 320.

6 - باللاتينية في النص الألماني: "في الفنون والآداب"

روعـةً في الكتب أيضا، وجهًا لوجه مع كتابات العالم القديم وهي بعدُ لم تذبل جذوتها ولم تنكسر شـوكتها، في زمن لا يزال يمكن فيه للمرء أن يقرأ بعض الكتب التي من أجل امتلاكها هو لا يتردد في أن يدفع بدلا لها نصف ما لدينا اليوم من آداب، تجرّأت بعدُ بلاهةُ وخيلاءُ المشـاغبين المسـيحيين- الذين يسمّيهم المرء آباء الكنيسـة- على الإعـلان: "نحن أيضا نملك آدابنا الكلاسـيكية، **نحـن لا نحتـاج إلى آداب اليونـان**"، - ومن ثمّ يشـير المرء بـكلّ فخر إلى كتب أسـاطير وخطابات رسـولية ومصنّفات أبولوجية[1] صغيرة، تقريبا كما هو الحال اليـوم مع "جند الخـلاص" الانجليزي[2] الذي يخوض صراعه، مسـتعملا أدبا من نفس الجنس، ضدّ شكسـبير و"الوثنيين" الآخرين. أنا لا أحبّ "العهد الجديد"[3]، على المرء أن يحرز ذلك سلفا؛ أكاد أخشى أن أراني وحيدا مع ذوقي بإزاء هذا الكتاب المبجّل تماما، الذي يُفرط في تبجيله (فإنّ ذوق ألفي سـنة يقف **ضدّي**): ولكن ما جدوى ذلك! "ها أنا ذا، ولا أملك أن أكون على نحو آخر"[4]، - أنا لي الشجاعة على ذوقي الرديء. إنّ العهد **القديم**- أجل إنّه لشيء مغاير كلّيةً: فقفا إجلالا للعهد القديم! إذ فيه أنا أجد أناسـًا عظاماً، مشهدا بطوليا[5] وشيئا من أندر الأشـياء على الأرض، السذاجة الفريدة **للقلب الكبير**؛ بل أكثر من ذلك، أنا أجد شعباً. أمّا في الجديد فليس ثمّة سوى تدبير النِّحل الصغيرة، سوى زخارف[6] النفس، سـوى المنمّق والكثير الزوايا والغريب الأطوار، سوى رائحة الجمعيات السرية، دون أن ننسى نفحة ما من الطلاوة الرعوية بين الحين والآخر، هي تنتمي إلى العصر (وإلى الأقاليم الرومانية) وليسـت يهودية بقدر ما هي هلّنستية[7]. الخنوع والعُجب متراصّان الواحد بجانب الآخر؛ هراء [394] المشـاعر الذي يكاد يصمّ الآذان؛ تهيّمٌ ولا هُيام[8]؛ إيمائيّة مرهقة؛ ومن الغنيّ عن البيان أنّ الأمر يخلو هاهنا من أيّ تربيـة جيّدة. هل يحقّ للمـرء أن يُطنب في الحديث عن نقائصه الصغيرة، كما

1 – apologetisch

2 – قارن: ما وراء الخير والشر، § 252.

3 – das "neue Testament". قارن: ما وراء الخير والشر، § 52.

4 – كلمات مقتبسة من أقوال لوثر على منتقديه.

5 – قارن: ما وراء الخير والشر، § 52.

6 – das Rokoko

7 – hellinistisch. "هلّينستي" وليس "هلّيني" (hellinisch)، وعلى الأغلب ما هو خاص بثقافة اليونان بعد الإسكندر الكبير.

8 – Leidenschaftlichkeit, keine Leidenschaft

يفعل هؤلاء الرجال الصغار الصالحين! لا أحد يكترث بذلك[1]؛ فكيف بالإله. بل يبلغ بهم الأمر أن يطمعوا في نيل "تاج الحياة الأبدية"[2]، كلّ هؤلاء الناس البسطاء من الأقاليم؛ ولكن لماذا؟ وعلامَ؟ لا يمكن للمرء أن يبلغ في التكبّر إلى أبعد من ذلك. بطرس "خالد": من بإمكانه تحمّل **ذلك**؟ إنّ لهم طموحا يحمل على الضحك: **الذي** ما فتئ يلوك شؤونه الخاصة جدا وحماقاته وأحزانه وهمومه التافهة، كأنّ الأشياء-في-ذاتها[3] ملزمة بأن تعبأ بها؛ **والذي** لا يتعب من زجّ الإله ذاته في أصغر أسًى قد يقع فيها. وهذا التخاطب النّد للنّد الذي لا ينقطع مع الربّ، الذي ينمّ عن ذوق رديء! هذه الصفاقة اليهودية، وليس اليهودية فقط، إزاء الإله في لَيِّ الشِّدْق وضرب الحافر... ثمّة "شعوب وثنية" صغيرة حقيرة في شرق آسيا، منها كان يمكن للمسيحيين الأوائل أن يتعلموا شيئا جوهريًّا، شيئاً من **أدب**[4] الإجلال؛ فأولاء لا يجيزون لأنفسهم، كما يشهد بذلك المبشّرون النصارى، حتى أن يضعوا اسم إلههم على ألسنتهم. هذا أمر يبدو لي محرجا كفايةً ؛ ومن المؤكّد أنّه ليس بالنسبة إلى المسيحيين "الأوائل" فحسب هو جدّ محرج: بل على المرء، متى أراد أن يشعر بالفارق، أن يتذكّر لوثر[5]، هذا البدوي "الأكثر فصاحة" والأقلّ تواضعا من بين كلّ الذين احتضنتهم ألمانيا، ونوع النغمة اللوثرية التي كانت محبّبة إلى قلبه دونما منازع لاسيما في أحاديثه مع الربّ. إنّ مقاومة لوثر ضدّ وسطاء الكنيسة القدّيسين (وبخاصة ضدّ "خنزير الشيطان، ضدّ البابا") إنّما كانت في آخر المطاف، ليس في ذلك من شكّ، مقاومةَ جِلْفٍ أزعجته **مراسيم اللياقة**[6] الكنسيّة، ذاك النوع من مراسيم الإجلال ذي الذوق الكهنوتي، التي لا تقبل في قدس الأقداس إلاّ أقدس المقدّسين والصَموت من الصامتين وتنغلق دون الأجلاف. فهؤلاء لا يجب أبدا ولاسيما هاهنا أن تكون لهم كلمة، - لكنّ لوثر، البدوي، [395] أراد الأمر على نحو آخر تماما، إذ لم يكن **ألمانيًّا** كفايةً بالنسبة إليه: كان يريد قبل كل شيء أن يتكلّم رأساً، أن يتكلّم بنفسه، "بغير

1 – kein Hahn kräht darnach. بالمعنى الحرفي: "لم يصح أيّ ديك بسبب ذلك".

2 – قارن: **إنجيل يوحنا**، 1 : 12.

3 – das An-sich-der-Dinge

4 – der Takt

5 – عن لوثر، قارن: المقالة I، § 16 والمقالة II، § 2؛ **إنساني، مفرط في إنسانيته I**، § 237؛ **المعرفة المرحة**، §§ 129، 146، 359؛ **المسيح المضاد**، § 53.

6 – die *gute Etiquette*

ما كلفةٍ" مع إلهه... حسنٌ، لقد فعلها. -إنّ المثل الأعلى النسكي، ولابدّ أنّ المرء قد استشعر ذلك، لم يكن أبدا في أيّ مكان مدرسة للذوق الرفيع، ناهيك بآداب اللياقة[1]، - لقد كان في أحسن الأحوال مدرسة لآداب الكهنوت-: ذلك بأنّه يحمل في صلبه شيئا يجعله عدوّا لدودا لكلّ آداب اللياقة، - سوء في التقدير، نفور من التقدير، بل هو ذاته "non plus ultra"[2].

.23

إنّ المثل الأعلى النسكي لم يفسد الصحة والذوق فحسب، بل هو قد أفسد أيضا شيئا ثالثا ورابعا وخامسا وسادسا- سوف أتحاشى أن أقول **كم** هي في الجملة (هذا إذا كان يمكن أن آتي عليها!). ليس ما **فعله** هذا المثل الأعلى، هو ما يجب أن أكشف النقاب عنه؛ بل بالأحرى ما **يعنيه** فحسب، ما يجعلنا نستشعره، ما يقبع مستتراً وراءه، تحته، فيه، ما يعبّر عنه تعبيراً مؤقّتا، غامضا، مثقلاً بضروب شتى من الاستفهام وسوء الفهم. وإنّما من زاوية **هذا** الغرض فحسب أنا لم أستطع أن أبخل على قرّائي بإطلالة على الأمر العظيم الذي في مفاعيله، بل في مفاعيله الأكثر شؤما: لاسيما حتى نهيّئهم للمنظر الأخير والأكثر فزعاً الذي أراه في السؤال عن دلالة هذا المثل الأعلى. أيّة دلالة إذن **للسلطان**[3] الذي يتمتع به هذا المثل الأعلى، أيّة دلالة **لعظمة**[4] سلطانه؟ لَمَ أُفسِحَ له كلّ هذا القدر من المكان؟ لَمَ لَمْ تتمّ مقاومتُه على نحو أفضل؟ إنّ َالمثل الأعلى النسكي إنّما يعبّر عن إرادة مَا: فأين هي الإرادة المضادة، التي يعبّر فيها **مثل أعلى مضادّ** عن نفسه؟ إنّ المثل الأعلى إنّما له **هدفٌ** ما، - وهو كونيٌّ إلى حدّ بحيث أنّ كلّ مصالح الكيان الإنساني إنّما تبدو بالقياس إليه صغيرة وضيّقة؛ إنّه يتأوّل العصور والشعوب والبشر بلا هوادة بالنظر إلى هذا [396] الهدف الوحيد، إنّه لا يقبل بأيّ تأويل آخر، ولا يسوغ عنده أيّ هدف آخر، وهو لا يرفض أو ينفي أو يثبت أو يؤكد أمراً إلاّ في معنى التأويل الذي **يخصّه** (- وهل وُجدت يوما ما منظومةُ

---

1 - die gute Manieren

2 - باللاتينية في النص الألماني: "ليس أبعد من ذلك" والأغلب أن نترجمه في معنى: "ما يفوق كلّ تقدير".

3 - *Macht*

4 - das *Ungeheure*

تأويل أكثر إحكاماً؟)؛ إنّه لا يخضع لأيّ سلطان[1]، بل هو يؤمن على الأرجح بميزته على كلّ سلطان **وبُعدِ مرتبته** المطلق بالنظر إلى كلّ سلطان، - هو يؤمن بأنّه ليس هناك على الأرض من سلطان لا يستمدّ منه أوّلا معناه وحقّه في الوجود وقيمة ما، بوصفه أداة لعمله، بوصفه طريقا ووسيلة نحو هدفه، نحو هدف واحد وحيد... فأين هو **الضدّ المقابل** لهذه المنظومة المترابطة إرادةً وهدفاً وتأويلاً؟ لماذا كان الضدّ المقابل **مفقودا**؟... أين هو "الهدف الوحيد" **الآخر**؟ ... وعلى ذلك قد يقول قائل، إنّه **ليس** مفقودا، وهو ليس فقط قد خاض صراعا طويلا مع ذلك المثل الأعلى وأبلى فيه بلاءً حسنا، بل هو في الأمور الرئيسة جميعاً قد نجح بعدُ على الأرجح في بسط سيادته عليه: إنّ **علمنا** الحديث[2] برمّته لهُوَ شاهد على ذلك، -هذا العلم الحديث الذي، من حيث هو ضرب أصيل من فلسفة الواقع، هو لا يؤمن على نحو جليّ إلاّ بنفسه، وعلى نحو جليّ هو يملك الشجاعة على أن يكون ذاته ويملك إرادة أن يكون ذاته، وأنّه إلى حدّ الآن قد نجح في البلوغ إلى مراده من دون إله ولا آخرة ولا فضائل سلبية. لكنّ المرء بهذا النحو من الضجيج وهراء المشاغبين لن يفوز منّي بطائل: إنّ الذين اتخذوا من الواقع بوقا ونفيراً هم موسيقيون سيّئون، إنّ أصواتهم، كما نسمع ذلك جيّدا، **لا** تأتي من الأعماق، وإنّ هاوية الضمير العلمي **لا** تتكلّم عبرهم – إذ أنّ الضمير العلمي هو اليوم ضرب من الهاوية-، إنّ لفظة "العلم" هي في أفواه هكذا أبواق مجرّد بغاء وتعسّف وفُحش. لكنّ الحقيقة هي بعين الضدّ ممّا يزعمون: فإنّ العلم اليوم[3] **ليس** له أيُّ إيمانٍ بنفسه، ناهيك بمثل أعلى **أرفع** من ذاته[4]، - وحيثما هو على العموم لا يزال حماساً ومحبّة وحرارة وعذابا، هو ليس بالضدّ من ذلك المثل الأعلى النسكي، بل على الأرجح هو [397] **صورته الأقرب عهدا والأكثر وجاهة**. هل لهذا وقع غريب؟... أجل ثمّة، حتى من بين علماء اليوم، جمعٌ كريم ومتواضع من العمّال[5]، أعجبه الركن الصغير الذي يقبع فيه، ولأنّه فرح بها عنده، هو في بعض الأحيان يرفع صوته بعض الشيء في نحو من التكبّر، مطالباً بأنّ المرء **يجب** أن يكون على العموم راضياً، ولاسيّما في العلم، - فهاهنا تحديدا ثمّة

1 – قارن: القديس بولس، رسالة رومة، 13 : 1 . وكذلك المقالة I، § 14 .

2 – في الفقرات 23–27 سوف يكشف نيتشه عن خضوع العلم لوطأة المثل النسكية.

3 – قارن: **ما وراء الخير والشر**، § 207 .

4 – *über* sich

5 – قارن: **ما وراء الخير والشر**، § 211 .

عدد جمّ من الأشياء المفيدة ينبغي فعلها. هذا رأي لا أخالفه؛ وليس لي أدنى رغبة في أن أفسد على هؤلاء العمّال الشرفاء ما يجدون من لذّة في صناعتهم: ذلك أنّني مسرور بهذا العمل. ولكن أنَّ في العلم الآن ثمّة من يعمل بكدّ وأنّ هناك عاملا قد وجد في ذلك مرْضاته وراحته، فهذا **ليس** حجّة أبدا على أنّ للعلم في كلّيته يملك اليوم هدفاً وإرادةً ومثلا أعلى وحماسة الإيمان العظيم. إنّ الأمر، كما قلنا، هو بعين الضدّ: فحيثما لا يظهر بوصفه الشكل الأحدث عهدا من المثل الأعلى النسكي، - يتعلق الأمر بحالات جدّ نادرة وجدّ نبيلة وجدّ مختارة بحيث لا يمكن أن نبدّل من الحكم العام شيئا- فإنّ العلم هو اليوم **غطاء**[1] لكلّ ضرب من الضجر وعدم الإيمان ودبيب الندامة وdespectio sui[2] والضمير المعذّب، - هو **الانزعاج** من الافتقاد أصلاً إلى مثل أعلى والتألّم من **غياب** الحب الكبير والتذمّر من قناعة **إجبارية**. آه كم من الأشياء لا يخفيها العلم اليوم! كم من الأشياء قد **يجب** على الأقلّ أن يخفيها! إنّ كفاءة أفضل علمائنا ومثابرتهم إلى حدّ الإغماء ورؤوسهم التي تنفث الدخان ليلا ونهارا وفنّ الاحتراف ذاته التي يحدوهم- كم أنّ كلّ ذلك إنّما يجد معناه الأصيل في أنّ المرء يمنع نفسه من أن تصبح له بعض الأشياء جليّةً! العلم بوصفه وسيلة تخدير للنفس: **هل تعرفون هذا؟**... إنّ المرء – ومن عاشر العلماء له عن ذلك خبر- ليجرحهم بالهيّن من اللفظ جرحاً يخالط اللحم والعظم، وإنّه ليحمل سخط رفقائه من العلماء في اللحظة التي يظنّ أنّه يُنيلهم شرفاً، وإنّه ليدفعهم إلى الخروج عن طورهم لمجرّد أنّه قد تهاون في تخمين مع منْ منِ الناس كان له شأن، مع **المعذّبين**، الذين لا يريدون الاعتراف لأنفسهم [398] بما يكونون[3]، مع المخدَّرين والمغمى عليهم، الذين لا يخشون إلاّ شيئا واحد: **أن يعودوا إلى الوعي**[4]...

.24

-والآن لينظر المرء على الضدّ من ذلك إلى تلك الحالات النادرة التي تحدثت عنها، إلى آخر المثاليين الذين يوجدون اليوم ما بين الفلاسفة والعلماء : لعلّ المرء واجدٌ فيهم **الخصوم** المبحوث عنهم للمثل الأعلى النسكي، **المثاليين المضادّين** له؟ في

1 – قارن: ما وراء الخير والشر، § 6.

2 – باللاتينية في النص الألماني: "احتقار النفس". سبق أن وردت هذه العبارة في الفقرة 18.

3 – was sie sind

4 – عن نفسية العلماء، قارن: ما وراء الخير والشر، §§ 206 و207.

الواقع، هم يعتقدون أنّهم كذلك، هؤلاء الذين "لا عقيدة لهم" (وإنّهم لكذلك جميعا)؛ ويظهر أنّ ذلك تحديدا هو الفصل الأخير من إيمانهم، أن يكونوا خصوم هــذا المثل الأعلى، وبقدر هالة الجدّ التي تعلوهــم في موقفهم هذا، بقدر ما تصبح كلماتهم وحركاتهم هاهنا تحديداً حارّة جارفة:- هل كان ذلك ضروريّا حتى يكــون ما يؤمنون به **صحيحا**؟... نحن "طلاب المعرفة" قد بتنا آخر الأمر في ريبة من كلّ أنواع المؤمنين؛ إنّ ريبتنا قد درّبتنا شــيئا فشيئا على أن نستنتج بالعكس ممّا كان المرء يفعل قبلُ: أنّه في كلّ مكان حيثما تبرز قوّةُ إيمانٍ ما إلى الصدارة، علينا أن نســتنتج ضعفاً معيّنا في إمكانيــة البرهنة عليها، بل حتى **عدم مصداقية**[1] موضوع الإيمان. نحن أيضا لا ننكر أنّ الإيمان "يمنح الخلاص": **وإنّما لهذا السبب** نحــن ننكر أنّ الإيمان **يبرهن** عــلى أيّ شيء، - إنّ إيمانا قويّا، يمنح الخلاص، لهُو تهمةٌ ضدّ ما يؤمن به، إذ هو لا يؤسّس "حقيقةً"، بل يؤسّس مصداقيّة معيّنة- **للوهم**. والآن كيف هو الأمر في الحالة التي تهمّنا؟ - هؤلاء المكذّبون[2] والواقفون اليوم على حدة، هؤلاء الذين لا يقبلون قيدا ولا شرطا في شيء واحد ووحيد، في مطلب النزاهة الفكرية، هاته العقول الشديدة على نفسها، الصارمة، الممسكة المتعفّفة، البطوليــة، التي تمثّل موضــع الفخر في عصرنــا، كلّ أولاء الملاحدة بلا لون ولا طعم، المضادّون للمســيحية[3]، المعادون للأخــلاق[4]، العدميون، الريبيون، المعلّقون الحكم[5]، الذين ضربت حمّى المسلول[6] في أرواحهم (والأمر الأخير يشتركون فيه كافّة ودون استثناء، بمعنى أو بآخر)، هذا الرهط الأخير من مثاليّ المعرفة، الذين فيهــم وحدهم اليوم [399] يجد الضمير الفكري[7] موطنا والذين فيهم وحدهم قد تجسّد، - هم يعتقدون بأنفسهم في واقع الأمر أنّهم قد تخلّصوا كأقصى ما يكون التخلّــص من المثل الأعلى النســكي، هاتــه "الأرواح الحرة، الحرة **جــدّا**"[8]: وعلى

1 – *Unwahrscheinlichkeit*

2 – die Verneinenden. بالمعنى الدقيق: "النافون" من النفي: يجيبون بـ"لا" النافية.

3 – Antichristen.

4 – Immoralisten

5 – Ephektiker. من "ephexis" – تعليق الحكم. هم "الإِفِكْتيقيون": "المعلّقون الحكم".

6 – Hektiker. "الهِكْتيقيون" – مصطلح طبّي يعني "متواصل"، ويشير إلى نوع من الحمّى التي تأخذ المريض بالسل. وددت أن أقول: "ضربت حمّى المتنبي في عقولهم" (لولا فضول التراجم).

7 – عن الضمير في الأمور الفكرية، قارن: **المعرفة المرحة**، §§ 2 و335.

8 – وضع نيتشه هذه العبارة بين هلالين تحفّظاً وتهكّماً. وهذا مثال حيّ على اللغة المضاعفة التي يكتب بها نيتشه: أن يستعمل نفس العبارة تارة في معنى موجب وإثباتي أي أرستقراطي (مثلا

ذلك، وحتى أكشف لهم عمّا لا يستطيعون هم أنفسهم رؤيته - إذ هم يقفون جدُّ قريباً من أنفسهم- إنّ هذا المثل الأعلى هو بالتحديد أيضا مثلهم الأعلى، فهُمْ بالذات، ولا أحد آخر على الأرجح، يمثّله اليوم، إنّهم هم أنفسهم صنيعته الأكثر روحانية، كتيبته الحربية والاستطلاعية الأكثر تقدّماً، شكله الإغرائي الأكثر مزالق، الأكثر تلطّفاً، الأكثر استعصاء على الإمساك:- لو كنت بأيّ شكل اتفق قارئا للألغاز، إذن لأردت أن أكون ذلك **بهذه** القولة!... إنّهم لا يزالون بعيدا عن أن يكونوا أرواحاً حرة: **إذ لا يزال لديهم إيمان بالحقيقة**[1]... عندما حدث للصليبين النصارى أن اصطدموا في الشرق مع فرقة الحشاشين[2] التي لا تُقهر، هذه الفرقة من العقول الحرة par excellence[3]، حيث كان الأدنون درجة يعيشون في ضرب من الطاعة، لم تبلغ إلى مثله أيّة فرقة من الرهبان، هم قد أخذوا أيضا على أيّ نحو اتفق إشارة ما إلى ذلك الرمز والحرف المنقوش الذي كان حكرا على الأعلين درجة بمثابة Secretum[4] محفوظ فيما بينهم: "لاشيء حقيقيّ، كلّ شيء مباح"... حسنٌ، ذلك كان ضربا من **حرية** العقل، **وبهذا أُعلن عن إلغاء**[5] الإيمان بالحقيقة نفسها... هل سبق لعقل حر أوروبي، مسيحي، أن تاه يوماً وتحيّر في هذه القولة **وتوابعها** المتشعبة؟ هل عرف مينوتروس[6] هذا الكهف عن **تجربة**؟... أنا أشكّ في ذلك، بل أكثر من ذلك، أنا أعرف أنّ الأمر يجري على نحو آخر:- لاشيء أبدا أكثر غربةً عن هؤلاء المتعلّقين دون قيد أو شرط بشيء واحد ووحيد، عن هاته "الأرواح الحرة" **المزعومة**، من الحرية والتخلّص من القيود في كل معنى، ومن كل الوجوه هم ليسوا على وجه التخصيص أوثق قيدا ممّا هم في إيمانهم بالحقيقة تحديدا، كما لم يكن أحدٌ، على نحو راسخ ولا مشروط. وأنا على الأرجح أعرف كلّ ذلك عن كثب: هذا الامتناع الفلسفي الذي

وصف الفلاسفة بأنّهم "أرواح حرة") وطورا في معنى ساخر ومضادّ، أي في وصف العبيد والأنماط الارتكاسية (مثلا: وصف الكهان بأنّهم "أرواح حرة جدّا"). قارن: **ما وراء الخير والشر**، § 44 (حيث تطلق العبارة على الفلاسفة).

1 – قارن بخاصة: ما وراء الخير والشر، § 1.

2 – der Assassinen-Odren. تعني لفظة "der Orden" الطريقة أو الفرقة بالمعنى الديني.

3 – بالفرنسية في النص الألماني: "بامتياز".

4– باللاتينية في النص: "سرّ".

5 – *gekündigt*. هو "إعلان" (künden) دونما "إلغاء" (kündigen) حقيقي.

6 – der Minotauros. كائن خرافي نصف بشري ونصف حيواني (ثور) في الميثولوجيا اليونانية. قارن: **ما وراء الخير والشرّ**، § 29.

يستحق الثناء، الذي يستوجبه هكذا إيمان، هذا النوع من رواقية العقل[1]، الذي يمنع نفسه في آخر الأمر بنفس الصرامة من قول لا كما من قول نعم، هذا النحو من **إرادة** البقاء عند الوقائع، عند الـfactum *brutum*[2]، هذا الضرب من جبريّة الـ "petits faits"[3] (ce [400] petit faitalisme[4]، كما أسمّيه)، التي فيها أخذ العلم الفرنسي يبحث اليوم عن ضرب ما من الأولويّة الأخلاقية على العلم الألماني، هذا الامتناع عن القيام بأيّ تأويل بعامة (بأيّ عنف أو تعديل أو اختصار أو حذف أو سدّ للثغرات أو اختلاق أو تزييف وسائر ما يدخل في **ماهية** كلّ تأويل)- كلّ ذلك إنّما يعبّر، متى أُخذ في جملته، عن نُسُكيّة[5] الفضيلة، بنفس القدر الذي يعبّر به عنها أيُّ نفي لشهوة الحس (لا يتعلق الأمر في الأساس إلاّ بضرب[6] من هذا النفي). لكنّ ما **يُكره** عليها[7]، هذه الشاكلة من إرادة الحقيقة غير المشروطة، إنّما هو **الإيمان بالمثل الأعلى النّسكي ذاته**، حتى وإن كان ذلك في شكل أمر قطعي لا يعي به، على المرء ألاّ يغترّ في هذا الأمر، - إنّه الإيمان بقيمة **ميتافيزيقية**، قيمة ما **للحقيقة في ذاتها**، كما لا يمكن أن تُكفَل أو تُقنّن إلاّ في حضن هذا المثل الأعلى وحده (قيمة تقوم وتسقط مع هذا المثل الأعلى). ومتى أخذنا بالصرامة في ما نحكم، فإنّه ليس ثمّة أيّ علم "بلا فرضيات"[8]، إنّ فكرة من هذا النوع هي ممّا لا يمكن التفكير فيه، وأمر مجانب للمنطق: إنّه لابدّ أن يكون هناك قبلُ على الدوام "فلسفةٌ" ما، "عقيدةٌ" ما، حتى يمكن للعلم أن يأخذ منها وجهةً ما، معنًى ما، حدّاً[9]، منهجًا ما، و**حقّاً** ما في الوجود. (أمّا من يفهم الأمور عكسًا، من أعدّ العدّة على سبيل المثال لإرساء الفلسفة "على قاعدة علمية صارمة"، إنّما سيكون عليه أوّلا أن **يضع** ليس الفلسفة فحسب بل الحقيقة ذاتها أيضا **رأساً على عقب**: وهذا أقبح سلوك مشين يمكن أن يُقترف بإزاء امرأتين شريفتين بهذا القدر!) أجل،

1 – der Stoicismus des Intellekts

2 – باللاتينية في النص: "الواقعة الخام".

3 – بالفرنسية في النص: "الوقائع الصغيرة".

4 – بالفرنسية في النص الألماني: "الوقائعية الصغيرة".

5 – der Ascetismus

6 – modus

7 – الضمير يعود على "نُسُكيّة الفضيلة".

8 – “voraussetzungslos”

9 – eine Grenze. الحدّ بالمعنى المكاني.

ليس ثمّة من شكّ - وفي هذا أنا أترك الكلمة لكتابي "المعرفة المرحة"، قارن الكتاب الخامس، ص 263[1]- "إنّ الصادق، بهذا المعنى الجريء والتام على النحو الذي يفترضه الإيمان بالعلم، إنّما **يثبت بذلك عالماً آخر** غير عالم الحياة والطبيعة والتاريخ؛ ومن جهة ما يثبت هذا "العالم الآخر"، كيف؟ أليس عليه بذلك - أن ينفي الطرف المقابل، هذا العالم، عالمنا؟...[2] إنّ **إيماناً ميتافيزيقياً ما** هو ما عليه على الدوام كان ومازال يقوم إيماننا [401] بالعلم، - نحن أيضا، عارفي اليوم، نحن الذين لا إله لهم[3] والمضادّين للميتافيزيقا، نحن أيضا لازلنا نأخذ شرارت**نا** من هذا الحريق الذي كان أشعله إيمان له من العمر ألف سنة، هذا الإيمان المسيحي، الذي كان أيضا إيمان أفلاطون، بأنّ الإله هو الحقيقة، أنّ الحقيقة **إلهية**...ولكن ماذا لو أنّ هذا الإيمان بالتحديد ما فتئ يصير أكثر فأكثر غير خليق بأن يؤمن به، لو تبيّن أن لاشيء إلهيٌّ، إلاّ أن يكون الخطأ والعمى والكذب، - لو تبيّن أنّ الإله ذاته هو **كذبتنا الأطول أمداً**؟"- - عند هذا الموضع حقيق علينا أن نتوقّف وأن نتمعّن في ذا الأمر طويلا. إنّ العلم ذاته **يحتاج** منذ الآن إلى ضرب من التبرير (على أنّ ذلك لا يعني أبدا أنّه يتوفّر على هكذا تبرير). ولينظر المرء من جهة هذا السؤال إلى الفلسفات الأقدم كما الأحدث عهدا: إنّها جميعا لا تعي إلى أيّ مدى تحتاج أوّلا إرادة الحقيقة ذاتها إلى تبرير، ههنا توجد ثغرة في كلّ فلسفة، من أين تأتّى ذلك؟ لأنّ المثل الأعلى النّسكي قد بسط **سيادته** إلى الآن على الفلسفة، لأنّ الحقيقة قد وُضعت وضعاً بوصفها كينونة، بوصفها إلهاً، بوصفها الهيئة العليا ذاتها، لأنّ الحقيقة لا **يحقّ**[4] لها أبدا أن تكون مشكلا. هل فهم المرء "يحقّ" هذه؟ - فمنذ اللحظة التي يُنفى فيها الإيمان بإلهِ المثل الأعلى النّسكي، **ثمّة أيضا مشكل جديد**: إنّه ذاك الذي يخصّ **قيمة** الحقيقة.- إنّ إرادة الحقيقة إنّما تحتاج إلى نقد- ولنعيّن بذلك مهمّتنا الخاصة-، إنّه ينبغي مرة واحدة وعلى سبيل التجربة **وضع** إرادة الحقيقة[5] **موضع سؤال**... (أمّا من بدا له هذا القول مقتضبا، فإنّ عليه أن يعيد قراءة تلك الفقرة من "المعرفة المرحة" التي تحمل عنوانا لها: "بأيّ وجه نحن أيضا

---

1 - يحيل نيتشه هنا على طبعة المعرفة المرحة (§ 344) التي ظهرت سنة 1887 مزيدة بكتاب خامس هو المشار إليه هنا.

2 - يقوم نيتشه هنا بحذف جملة صغيرة من هذا الشاهد المقتطف من كتاب **المعرفة المرحة**، الفقرة 344.

3 - Gottlosen

4 - dürften. هذا فعل خطير منذ كانط الذي استعمله في صياغة سؤاله النقدي الثالث: "ماذا يحقّ لي أن أرجو؟". راجع أيضا الفقرة 1 من المقالة الثانية.

5 - قارن بخاصة: ما وراء الخير والشر، § 1.

لازلنا أتقيـاء" ص 260 وما بعدها[1]، والأفضل أن يأتي على جملة الكتاب الخامس من المؤلَّف المذكور، وكذلك على تصدير "الفجر".)

[402]

.25

كلاّ! عـلى المرء ألاّ يأتيني بالعلم، حينـما أبحث عن المعارض الطبيعي للمثل الأعلى النّسكي، حينما أسأل: "أين هي الإرادة المعاكسة التي من خلالها سيعبّر **المثل الأعلى المعاكس** عن نفسـه؟" هذا أمـر لازال العلم بعيدا عن أن يعتمد فيه على نفسه كفاية، فهو يحتاج قبلُ من كل الجوانب إلى مثل أعلى للقيم، إلى قدرة خلاّقـة للقيم، في **خدمتها** فحسـب **يحقّ** له أن **يؤمن** بذات نفسـه، - إذ هو ذاته لم يكـن أبـدا خلاّقا للقيم. إنّ علاقته بالمثل الأعلى النّسـكي هي لا تزال في ذاتها بريئـة تماما من أنحاء المعارضة؛ بل هو في الأسـاس يمثّل حتـى القوة التي تدفع تشكّله الداخلي قُدُماً. إنّ معارضته وكفاحه لا يتعلّقان، متى تُقُصّي الأمر، بهذا المثـل الأعلى أبدا، وإنّما فقط بتأثيره الخارجـي وما يتّخذه من لبوس وما يلعبه من أقنعة، وفي بعض الأحيان بتحجّره وتخشّبه[2] وتحوّله إلى عقائد جامدة[3]- إنّه[4] ما يجعل الحيـاة فيه[5] حرة مرة أخرى، وذلك بأن ينفي ما هـو دخيل عليه. هذان الاثنان، العلم والمثل الأعلى النّسكي، إنّما هما قائمان على أرضية واحدة- ذلك أمرٌ قد بات مفهوماً-: نعني تحديدا على نفس الإسراف في تقدير الحقيقة (بشـكل أصحّ: على نفـس الإيمان بأنّ الحقيقة شيء **لا** يُقدّر، شيء **لا** يقبل النقد)، إنّهما بذلك حليفان **ضرورةً**، - بحيث لو فرضنا أنّ ثمة مدعاة لخوض حرب ضدّهما، فإنّه لا يمكن دوما محاربتهما أو وضعهما موضع سؤال إلاّ سويّة. إنّ أيّ تقدير لقيمة المثل الأعلى النّسـكي إنّما يجرّ أيضا وراءه على نحـو لا مردّ له تقديرا ما لقيمة العلم: هذا أمر على المرء أن يتسـلّح له للتوّ بعيون ثاقبة وآذان حادة! (إنّ **الفنّ**، حتى نقول ذلك اسـتباقاً، إذْ أنّني سـوف أعود إلى هذا الأمر في وقت ما على نحو أكثر إسهابا، -

1 – المعرفة المرحة، § 344.

2 – Verholzung

3 – Verdogmatisirung

4 – الضمير يعود على "العلم".

5 – الضمير يعود على "المثل الأعلى".

الفنّ الذي فيه بالتحديد صار **الكذب** مقدّساً، وتوفّرت **إرادة الخداع** من جانبها على ضمير نقيّ السريرة، إنّها يقف ضدّ المثل الأعلى النّسكي على نحو أرسخ وأعمق ممّا يفعله العلم بكثير[1]: إنّ ذلك هو ما استشعرته غريزة أفلاطون، هذا العدوّ الأكبر للفنّ، الذي أنتجته أوروبا إلى حدّ الآن. أفلاطون **ضدّ** هوميروس[2]: هذا هو التعارض التام، الأصيل[403]- هناك، "الأخرويّ" الذي تحرّكه أفضل إرادة، المجدّف الكبير على الحياة، وهنا، مؤلّهها غير المتعمّد، الطبيعة **الذهبية**. إنّ استغلال الفنان في خدمة المثل الأعلى النّسكي هو لذلك أكبر نوع من **الفساد** الذي يمكن أن يصيب الفنان يوما، ومن المؤسف أنّه من بين الأكثر شيوعا: ذلك بأنّه لاشيء أكثر قابليّة للفساد من فنّان.) وكذا الأمر أيضا متى فحصناه على نحو فزيولوجي، فإنّ العلم والمثل الأعلى النّسكي إنّها يقفان على الأرضية عينها: إنّ **تفقيرا** معيّنا **للحياة** هو الشرط السابق هنا كما هناك، - المشاعر التي صارت فاترة، السرعة المتباطئة، الجدل[3] في مكان الغرائز، **الجِدّ** الذي يعلو الوجوه والحركات (الجدّ، هذه الأمارة التي لا يمكن أن نخطئها عن ذلك الشكل الشاقّ من التغذّي[4] الذي تعاني منه الحياة العاملة التي تكافح جَهْدَ نفسها.) فلينظر المرء في العصور التي مرّت على شعب، حيث برز العالم إلى موقع الصدارة: إذن لألفاها عصور التعب، وفي أكثر الأحايين عصور الغَروب والأفول، - أمّا القوة الغامرة والثقة بالحياة والثقة بالمستقبل فقد صارت أثرا بعد عين. - إنّ غلبة المثقّفين المتنفّذين[5] لا تدلّ أبدا على شيء جيّد: ليس أقلّ من صعود الديمقراطية ومحاكم سلمية بدلا عن الحرب والمساواة في الحقوق مع المرأة وديانة الشفقة وكلّ ما هناك من أعراض الحياة الذاهبة إلى حتفها. (العلم مأخوذا بوصفه مشكلاً؛ ماذا نعني بالعلم؟- قارن في هذا الشأن مع تصدير[6] "مولد التراجيديا".)- كلاّ! هذا "العلم الحديث" - فلتفتحوا أعينكم على هذا!- إنّها هو الساعةَ **أحسن** حليف للمثل الأعلى النّسكي، وذلك تحديدا من أجل أنّه الحليف الأقلّ وعيًا بما يجري

1 - قارن: **المعرفة المرحة**، §§ 57-60.

2 - اشتغل نيتشه على هوميروس وهزيود نحو 1869. قارن: **مولد التراجيديا**، § 8.

3 - قارن: **أفول الأصنام**، فصل "مشكلة سقراط".

4 - der Stoffwechsel. مصطلح فزيولوجي يعني تحوّل الغذاء إلى طاقة.

5 - der Mandarin. لفظة شهيرة تعني "وزير صيني". ثمّ شاعت لتشير إلى "المثقّف المتنفّذ" في بلده، كما كان حال "علماء" الملة.

6 - هو النص الذي كتبه نيتشه سنة 1886 تحت عنوان: "محاولة في النقد الذاتي".

والأقلّ تعمّدا لما يفعل، الأكثر تكتّماً والأعمق غورا! هم قد لعبوا إلى حدّ الآن لعبة واحدة أولاء "فقراء الروح"[1] والمعارضون العلميون لهذا المثل الأعلى (وليحذر المرء، لنقل ذلك دون إلحاح، من أن يظنّ أنّهم على النقيض من هذا المثل الأعلى، كأنْ مثلاً **أغنياء** الروح:- هم **ليسوا** كذلك، وقد سمّيتهم أولئك الذين ضربت حمّى المسلول أرواحهم[2]). تلك **الانتصارات** الشهيرة لهؤلاء: دون شك، هي انتصارات- ولكن على ماذا؟ إنّ المثل الأعلى النّسكي هو [404] لم يُنتصر عليه فيها أبدا ولا بوجه من الوجوه، بل هو قد ازداد بذلك قوّة أعني قد صار أكثر فأكثر يُطلب فلا يُدرَك، روحيّاً أكثر ومُربكاً أكثر، وذلك كلّما تعرّض سور من أسواره أو واجهة أضافها إلى بنائه وأدخلت بعض **الخشونة** على مظهره، إلى هجوم من قِبل العلم نقض أسسه بلا رحمة. هل يظنّ المرء بالفعل أنّ هزيمة الفلك اللاهوتي مثلاً تعني هزيمة هذا المثل الأعلى؟...هل صار الإنسان بذلك ربّما **أقلّ حاجة** إلى حلّ أخرويّ للغز كيانه من قِبل أنّ هذا الكيان قد أخذ يبدو منذئذ أكثر اعتباطاً وأكثر انزواءً وأكثر خصاصة في النظام **المنظور** للأشياء؟ أليس تصغير الإنسان لنفسه **وإرادة** تصغير نفسه بخاصة أمراً في تقدّم لا مردّ له منذ كوبرنيك؟ آه، إنّ الإيمان بكرامته وفرادته وكونه لا يُعوّض في سلّم الكائنات، هي أمور قد ولّت، - لقد صار **حيواناً**، حيوانا، بلا صورة[3] ولا قيد ولا تحفّظ، هو، الذي كاد يكون في إيمانه السابق هو الله ("ابن الله"، "الإنسان-الإله")... منذ كوبرنيك يبدو الإنسان وكأنّه على بساط مائل، - إنّه يبتعد دوما عن مركزه بشكل أسرع فأسرع من ذي قبل- إلى أين؟ إلى العدم؟ إلى "الشعور **الثاقب** بالعدم"؟... حسنٌ! إنّ هذا قد يكون هو الطريق المستقيم- نحو المثل الأعلى **القديم**؟ **كلّ** علم (وليس الفلك وحده إطلاقاً، هذا الذي عن تأثيره المُهين والمُنزل إلى الحضيض، كان كانط قد سجّل اعترافا جديرا بالملاحظة، "هو يقضي على أهمّيّتي"[4]...)، كلّ علم، أكان طبيعيّاً أو **غير طبيعيّ**- كذا أسمّي النقد الذاتي للمعرفة- إنّما همّه اليوم أن يجرّد الإنسان ممّا يملكه من احترام أمام ذاته إلى حدّ الآن، كأنّ هذا الاحترام ما كان إلاّ نزوة وغرورا؛

1 - قارن: **إنجيل متى**، 5: 3.

2 - die Hektiker des Geistes. راجع: الفقرة 24.

3 - das Gleichnis. يبدو لنا أنّ نيتشه يستعمل هذه اللفظة مع الإيحاء بالمضمر التالي: "nach dem Gleichnis Gottes" - في معنى "خلق آدم على صورة الربّ".

4 - يعرّض نيتشه هنا بمقطع من خاتمة **نقد العقل العملي**.

بـل قد يمكن للمـرء أن يقول إنّه قد وضع كبرياءه وشـكله الخاص المرّ من السـكينة[1] الرواقيـة في هذا، أن يُبقي عـلى هذا النحو من **عدم احترام الإنسـان لنفسه**، الذي لم يبلغ إليه إلاّ بشقّ الأنفس، بوصفه المطلب الأخير والأكثر جدّية عن الاحترام لذاته (وهو على حقّ، في [405] واقع الأمر: إذْ أنّ الذي لا يحترم هو على الدوام لا يزال شخصاً "لم ينسَ أصول الاحترام"...) هل أنّ ذلك **يعمل** حقّا **ضدّ** المثل الأعلى النّسـكي؟ هل مازال المـرء بالفعل يظنّ بكلّ ما أوتي من جدّ (كـما تخيّل علماء اللاهوت في وقت ما)، أنّ **انتصـار** كانط[2]، مثلا، على العقيدة المفهوميّة للاهـوت ("إله"، "نفس"، "حرية"، "خلود") قد أدّى إلى انكسـار هذا المثـل الأعلى؟- لا يجب أن يهمّنا الآن مـا إذا كان كانط ذاته قد كان في نيّته أصلا شيء من هذا القبيل.ما هو مؤكّد هو أنّ كلّ أنواع الترنسـندنتاليين[3] هم منذ كانط قد كسبوا اللعبة من جديد، - لقد تحرّروا من اللاهوتيين: يا لحظّهم السـعيد!- فهو قد كشـف لهم عن ذلك الممرّ السرّي الذي من خلاله يحقّ لهم منذ الآن أن يتبعوا "رغبات قلوبهم" من تلقاء أنفسهم وبحسب أفضل السلوكات العلميـة. كذلك: من بمقدوره حقّـا أن يؤاخذ اللاّأدريين[4]، حين يعمدون، هم عُبّاد المجهول والـسر المكنون في ذاته، إلى عبادة **علامة الاستفهام ذاتها** بوصفها إلهـاً؟ (تكلّم كسـافير دودان[5] ذات مرة عـن les *ravages*[6] التـي خلّفتها "عادةُ **الإعجاب** باللامعقول بدل البقاء عند المجهول فحسـب"[7]؛ وهو يعتقد أنّ القدماء قـد أفلحوا في تفـادي ذلك.) ولو فرضنا جدلاً أنّ كلّ ما "يعرفه" الإنسـان لا يلبّي رغبته، بل هو على الأرجح يُضادّها ويحملها على أن تقشـعرّ منه، فأيّ مخرج إلهي يسـمح لنـا بالبحث عن الذنب الناجم عن ذلك ليـس في "الرغبة" وإنّما في "المعرفـة"!... "ليس ثمّة معرفة: **إذن**- ثمّة إله": أيّ ضرب جديد من الـ elegantia syllogismi! وأيّ **انتصار** للمثل الأعلى النّسكي!

---

1 - Ataraxie

2 - قارن: **المسيح المضاد**، §§ 10-11؛ **الفجر**، التصدير§ 3.

3 - die Transcendantalisten

4 - die Agnostikern

5 - Xaver Doudan. سياسي وكاتب فرنسي من النصف الثاني من القرن التاسع عشر.له: **متفرّقات ورسائل** (1876)

6 - بالفرنسية في النص الألماني: "الأضرار المدمّرة"

7 - هذا الشاهد أورده نيتشه بالفرنسية دون أن يترجمه.

.26

- أم أنّ الكتابة التاريخية الحديثة برمّتها قد كشفت عن موقف أكثر ثقة بالحياة، أكثر ثقة بالمثل الأعلى؟ إنّ مطلبها الأكثر نبلا هو الآن أن تكون **مرآة**؛ إنّها تستهجن كلّ غائيّة؛ ولم تعد تريد أن "تبرهن" على أيّ شيء؛ إنّها [406] تأبى أن تلعب دور القاضي، وتجد في ذلك آية على ذوقها الرفيع، - إنّها لا تثبت ولا تنفي إلاّ قليلا، هي تعاين و"تصف"...كلّ ذلك إنّما هو على درجة عالية من التنسّك؛ إلاّ أنّه في نفس الوقت على درجة عليا أيضا من **العدميّة**، على المرء ألاّ يخدع نفسه حول هذا الأمر! يرى المرء إذ يرى نظرةً حزينة، حادة، ولكنْ ذات حزم واعتزام، - عيناً **تحدّق إلى بعيد**، كما يحدّق مسافر متوحّد في القطب الشمالي (ربما حتى لا يحدّق إلى الداخل؟ حتى لا يحدّق إلى الوراء؟...) هنا يوجد ثلجٌ، هنا الحياة قد صمتت؛ والغربان الأخيرة التي ستبعث بأصواتها ههنا إنّما تسمّى "ما الفائدة؟"، "لا جدوى!"، "Nada!"[1]- ما عاد هاهنا شيءٌ لِينمو أو لِينبت، اللّهمّ إلاّ ميتابوليطيقا بيترسبورغ[2] و"شفقة" تولستوي[3]. أمّا ما يخصّ ذلك الصنف الآخر من المؤرخين، صنف ربّما هو "أكثر حداثة"، صنف مُتَعِيّ، شهوانيّ، مغازلٌ للحياة تماما كما للمثل النّسكي، يستخدم كلمة "فنّان" كما قفّاز ويستأثر اليوم لنفسه كلّيةً بتقريظ التأمّل: آه أيّ ظمأ متنسّكين ومناظر شتويّة يثيره هؤلاء الظرفاء أنفسهم! كلاّ! لِيذهب هذا الشعب "المتأمّل" إلى الجحيم! وكم أحبّ إليّ أن أهيم مع أولاء المؤرّخين العدميين عبر أجواء الضباب الباردة، الأكثر عبوساً والتي تدفع على الفزع! - أجل، ليس لي أن أهتمّ، متى فرضنا أنّه عليّ أن أختار، حتى لو أنّني أطرقت السمع للاّتاريخيين، للمضادين لكلّ ما هو تاريخي (مثل ديهرينغ هذا؛ الذي سُحر بطنينه في ألمانيا الراهنة نوعٌ لازال إلى حدّ الآن خجولا وغير معتَرَف به من "النفوس الجميلة"، الـ Species anarchistica[4] داخل البروليتاريا المثقّفة). إنّ "التأمّليين" أسوأ مائة مرة-: فأنا ما عرفت شيئا يدفع على التقزّز من هكذا كراسٍ "موضوعية"، من طالب متعة متعطّر يكتب التاريخ، نصف

1 - بالإسبانية في النص الألماني وتعني: "لا شيء". عن السباق نحو العدم، قارن: المسيح الضاد، §§ 4-6.

2 - Metapolitik Petersburger. قارن: المسيح المضاد، § 7.

3 - تعريض واضح بما آل إليه أدب تولستوي بعد 1882، من تحول ديني، يعتنق الدفاع عن نمط عيش يقوم على الطيبة والبساطة قريب من حياة المزارعين البسطاء.

4 - باللاتينية في النص: "النوع الفوضوي". وهو مصطلح يعود إلى تصنيفات علماء الطبيعة.

كاهن، نصف جنّي، من parfum رينان[1]، الذي من النشاز الحاد لتهاليله، يرشح بعدُ ما ينقصه، **أين** ينقصه، وأين عبثت يدُ القدر[2] في هذه الحالة بمقصّها القاسي آه! على نحو جراحيّ، جراحيّ جدًا! ذا أمر يمجّه[407] ذوقي ويُعيل صبري: فليطق صبراً أمام هكذا مناظر، من ليس له هاهنا ما يخسره، - أمّا أنا، فإنّ هكذا منظرا يقبض نفسي، إنّ هكذا "متفرّجين" يدفعون بي إلى السخط على "الفرجة" أكثر ممّا أسخط على ما نتفرّج عليه (التاريخ نفسه، لابدّ أنّكم فهمتم قصدي)، ومن حيث أدري ولا أدري شعرت بمزاج أنَكْريُونْطيقي[3]. يا لهذه الطبيعة التي أعطت الثور قرونا والأسد χάσμ' ὀδόντων[4]، لماذا أعطتني قدماً؟... - للركل، كما يقول أنكريون المقدّس! وليس فقط من أجل الهروب؛ لركل كلّ الكراسي المتداعية للسقوط والهدوء التأمّلي[5] الجبان وكتابة التاريخ بشهوة الخصيان ومغازلة المثل العليا النّسكيّة ورياء العدالة الذي يعتور العاجزين وكلّ ذي عنّة! كلَّ الاحترام للمثال النّسكي، **شريطة أن يكون جديرا بالاحترام!** شريطة أن يؤمن بنفسه وألاّ يكون بنا هازئا! بيد أنّني لا أحبّ كلّ هذا البقّ المتأنّق الذي يطمع بشكل نَهِم في أن يستنشق اللاّمتناهي إلى حدّ بحيث أنّ اللاّمتناهي يقبل في نهاية الأمر أن يستنشق البقّ؛ لا أحبّ الأضرحة المطليّة التي تحاكي الحياة؛ لا أحبّ المتعبين والمنهكين الذين يلتحفون بالحكمة وينظرون "بشكل موضوعي"؛ لا أحبّ المشاغبين المتزيّنين كالأبطال، الذين يضعون قبّعة سحرية[6] من المُثُل على مكنسة القشّ التي يحسبونها رؤوساً؛ لا أحبّ الفنّانين الطامحين الذين يريدون أن يمثّلوا النسّاك والكهّان وهم في واقع الأمر ليس سوى مهرّجين تراجيديين[7]؛ كذلك أنا لا أحبّهم، أولاء المضاربين الجدد في المثالية، المعادين للسامية، الذين زاغت أعينهم اليوم وقد ظهروا في مظهر الرجل-المسيحيّ-الآريّ-المُخْلص،

---

1 - Renan

2 - die Parze. بالمعنى الأدبي: يد الموت أو القدر. وفي الميثولوجيا، هي إحدى الربات الثلاث اللواتي ينسجن خيوط الحياة البشرية.

3 - anakreontische Launen. من اللاتينية "anacreonticus" من اليونانية "Anakreôn" و"ontos"، نسبةً إلى الشاعر Anacréon الذي اشتُهر حوالي 540 ق.م. وعُرف بأشعار غنائية.

4 - باليوناني في النص: chasm' odontôn، "شدق فاغر بأنياب معقوفة".

5 - Beschaulichkeit.

6 - die Tarnkappe. طاقيّة تُستعمل للاختفاء عن الأنظار.

7 - صورة العالم الحديث وقد أخذ هيئة الكاهن. ولذلك علينا أن نأخذ لفظة "تراجيدي" هنا في معنى ارتكاسي أو نفسي، وليس في المعنى الخلاّق للقيم.

وباستخدام سيّء لوسائل التحريض التي ينفد معها كلّ صبر أو أناة، للتصنّع الأخلاقي، هم يسعون إلى استثارة كلّ عناصر الشعب من ذوات القرون (- أنّ **كلّ ضرب** من تضليل الأرواح[1] في ألمانيا الحالية لا يبوء بالفشل، إنّما يرتبط بما وقع من **خراب** للروح الألماني على نحو صار لا جدال فيه بل وبات ملموسا، أنا أبحث عن أسبابه في غذاء محصور بشكل مفرط في الجرائد والسياسة والجعة وموسيقى فاغنر[2]، بالإضافة إلى ما[408] يمثّل الشرط المسبق لهذه الحمية: الانحصار والغرور القومي، والمبدأ القويّ ولكن الضيّق الأفق "ألمانيا، ألمانيا فوق كلّ شيء"[3]، ولكن أيضا ال paralysis agitans[4] للـ"الأفكار الحديثة"[5]. إنّ أوروبا اليوم هي غنيّة وخلاّقة ولكن بالأساس في وسائل الإثارة، ويظهر أنّه لاشيء أكثر ضرورة لها من الـ stimulantia[6] والمشروبات الحارقة: من هنا أيضا هذا التزييف الهائل في المُثُل، وهذه المشروبات الأكثر حرقاً للروح، ومنه أيضا هذا الهواء الكريه، المثير للغثيان، الكاذب، شبه الكحولي، المنتشر في كل مكان. وأنا أودّ أن أعرف كم من حمولة من المثالية المزيّفة[7]، من أزياء الأبطال والصفيح المجلجل بالكلمات الرنانة، كم من الأطنان من التعاطف الكحولي المحلّى بالسّكر (شركة: la religion de la souffrance[8])، وكم من عكاكيز من "السخط النبيل" لمساعدة الأقدام المسطّحة على صعيد الروح، كم من **كوميديٍّ** المثال الأخلاقي المسيحي قد ينبغي اليوم أن يُصدَّر خارج أوروبا حتى يفوح هواؤها من

1 - Schwindel-Geisterei. التضليل الفكري في مقابل "die Freigeisterei" -حرية التفكير الخاصة بالفلاسفة.

2 - موسيقى تعمل مثل الحماسة المدمّرة لذاتها، حماسة السكّير، ولذلك يحبّذ الألمان إدانة "الحماسة" كما فعل كانط. قارن: **الفجر**، § 207.

3 - من قصيدة الشاعر الألماني أوغست هاينريش فون فالرسليبن (Fallersleben)، يحمل عنوان "نشيد الألمان"، والذي صار فيما بعد هو النشيط الوطني.

4 - باللاتينية في النص: "شلل الارتعاش". وما صار يسمى في طب اليوم "مرض باركينسن".

5 - طريقة ساخرة لدى نيتشه في نقد قيم الحداثة، كما فعل ذلك في كتاب ما وراء الخير والشر. وهي أفكار يردّها نيتشه بالأساس إلى قرارات من هذا القبيل: 1. رفض التراتب بين الأنماط البشرية؛ 2. نبذ أيّ قيم تدافع عن المعاناة البشرية؛ 3. الدفاع عن قيمة المساواة الأخلاقية والسياسية؛ 4. الحس الديمقراطي؛ 5. الشفقة على المعذّبين... وهو يحكم عليها بأنّها تربة خصبة للعدمية: فقدان كلّ القيم صلاحيتها ومجيء "الإنسان الأخير"، الحيوان العدمي الذي لم يعد يحرّكه أيّ هدف كبير على الأرض.

6 - باللاتينية في النص: "المنبّهات"، "المؤثرات".

7 - nachmachen. في معنى تزييف العملة أو الحلي.

8 - بالفرنسية في النص الأصلي: "ديانة العذاب".

جديـد أكثر نقاءً... من البيّن أنّه توجد بالنسـبة إلى هذا الإنتاج المفرط إمكانية مفتوحـة لتطوير **تجارة** جديـدة، ومن البيّن أنّه يمكن أن نعقـد "صفقة" جديدة بواسطة أصنام مثالية صغيرة و"مثاليين" مناسبين- على المرء ألاّ يُغفل هذا التلميح! مـن له ما يفي من الشـجاعة على ذلك؟ نحـن نملك بين أيدينـا أن "نُؤَمْثِلَ"[1] الأرض برمّتها!...ولكـن ما لنا وللشـجاعة: ليس من حاجة هنا إلاّ لأمر واحد، اليد، تحديدا، يد غير مرتبكة، غير مرتبكة تماما...

.27

- كفـى! كفـى! دعونا من فضوليـات ومركّبات الـروح الحديثة، هذه، التي هي عندنا مدعاة للضحك كما للانزعاج: فإنّ المشـكل الذي **يخصّنا** إنّما يمكنه الاسـتغناء عنها، المشـكل الذي يتعلق **بدلالة** المثال النّسـكيّ، - ماذا عسـاه يفعل بالأمس واليوم! تلك أشـياء قد يجب عليّ أن أفحص عنها في سياق آخر على نحو أشدّ عمقا وأكثر حدّة (تحت عنوان "في تاريخ العدمية الأوروبية"؛ وأنـا أحيل حـول [409] هذا الأمر عـلى عمل أنا بصدد إعـداده: **إرادة الاقتدار، محاولـة في قلـب جميع القيم.**[2]) إنّ ما يهمّني فحسـب أن أكـون قد أشرت إليه هنا هو هذا: أنّ المثال التنسّكي مازال يملك الساعةَ حتى في الدائرة الأكثر تعلّقا بشؤون الروح نوعا واحدا على الدوام من الأعداء **والـمُضرّين** الحقيقيين: ألا وهمُ كوميديـو هذا المثل الأعلى، - وذلك لأنّهم يثيرون الارتياب. أمّا في أيّ مكان آخـر، حيثما يكون الروح اليوم منهمكا في عمله، صارما، مقتدرا وبلا تزييف، فهـو الآن في غنى عن المثال بعامة- والعبارة الشـعبية لهذا النحو من الإمسـاك هـي "الإلحاد"[3]-: **باسـتثناء إرادته للحقيقة.** لكنّ هـذه الإرادة، هذه البقية الباقية

---

1 - idealisiren

2 - عنوان كتاب صرنا نعرف اليوم أنّ نيتشه لم يكتبه بل ربما تخلى عن فكرة كتابته بعد أشهر قليلة من نشر **جنيالوجيا الأخلاق**. را:

– Mazzino Montinari, ''La Volonté de puissance'' n'existe pas (Paris : Édition de l'Eclat, 1996).

3 - der ''Atheismus'' . يبدو لنا أنّ استعمال الهلالين هنا للتأكيد على المعنى العامّي والشعبي ومن ثمّ غير النظري والخاطئ لهذا المصطلح: "الإلحاد" أو "الزندقة" أو "الكفر" بالمعنى اللاهوتي وكجزء من المعجم الديني نفسه. ولذلك يجدر بنا أن نبحث عن ترجمة أخرى، محايدة، غير لاهوتية، أي غير مشحونة بحكم قيمة ديني، لتأدية المعنى النظري والفلسفي لمصطلح Atheismus تحت قلم نيتشه ولاسيما حين يستخدمه من دون هلالين. وهو ما سيفعله بعد أسطر قليلة، حيث يكون

من المثال، إنّما هي، متى أراد المرء أن يصدّقني، هذا المثال ذاته في صياغته الأكثر صرامة والأكثر روحانية، الباطنيّة كلّيةً، المجرّدة من كلّ إضافة خارجية، بحيث هي ليست بقيّته بقدر ما هي **نواته**. إنّ الإلحاد غير المشروط والنزيه (- وإنّ هواءَهُ لهو الوحيد الذي نتنفّسه، نحن الأناس الأكثر روحانيّة من غيرنا في هذا العصر!) **لا** يقف بذلك في تعارض مع هذا المثل الأعلى، كما قد يظهر لنا؛ بل ما هو على الأرجح سوى واحد من الأطوار الأخيرة من تطوّره، وأحد أشكاله النهائية واستتباعاته الصميمة، - إنّه **الكارثة** التي تفرض الاحترام الناجمة عن ألفي سنة من التدريب على الحقيقة، أدّى في نهاية الأمر إلى الامتناع عن **أكذوبة الإيمان بالإله**. (نفس مسار التطوّر في الهند، بشكل مستقلّ تماما، ولهذا السبب هو دليل على شيء ما؛ نفس المثال الذي يجبر على استنتاج مماثل؛ وقد تمّ البلوغ إلى النقطة الحاسمة خمسة قرون قبل تقويم الزمن[1] الأوروبي، مع بوذا، على وجه الدقة: بل قبل ذلك مع فلسفة السانخايا[2] التي عمل بوذا من بعدُ على نشرها لدى جمهور الناس وجعل منها ديناً). **ما الذي**، متى سألنا بكلّ صرامة، قد **انتصر** حقّاً على الإله المسيحي؟ إنّ الجواب عن ذلك لموجودٌ في كتابي "المعرفة المرحة" ص 290 [3]: "إنّه الخُلق المسيحي ذاته، ومفهوم الصدق المأخوذ في معنى أكثر فأكثر صرامة، وتلطّف[4] الضمير المسيحي بين أيدي قساوسة الاعتراف، مترجَماً ومسموّاً به[5] في الضمير العلمي، في الاستقامة الفكرية بكلّ [410] ثمن. النظر إلى الطبيعة وكأنّما هي[6] دليل على رحمة إلهٍ ما ورعايته؛ وتأويل[7] التاريخ على شرف عقل إلهيّ ما، كشاهد دائم على نظام أخلاقي للعالم ومقاصد أخلاقية أخيرة؛ وتفسير[8] التجارب الخاصة في الحياة، كما كان فسّرها أناس متّقون منذ أمد

علينا أن نعيد المصطلح إلى عناصره الفيلولوجية الجذرية: أي "اللاّ-تأليه" أو "عدم التأليه". فهو معنى نظري محض يشير إلى التفكير "بلا إله". قارن: المقالة II، § 25.

1 - Zeitrechnung

2 - die Sankhyam-Philosophie. "سانخيام" (Sankhyam) واحدة من المدارس الروحية الست للبراهمة.

3 - يحيل نيتشه هنا على الطبعة التي كانت بين يديه، وعلى كلّ فهو يستشهد بمقطع من الفقرة 357.

4 - Feinheit. اللطافة في معنى الدقة والتلطّف في معنى التدقيق.

5 - sublimirt

6 - als ob. عبارة اشتهرت تحت قلم كانط.

7 - interpretiren

8 - auslegen

طويـل، كـما لو أنّ كلّ شيء مقـدّر، أنّ كلّ شيء إشـارة، أنّ كلّ شيء قد كان متصـوّرا ومرسَـلا حبّاً في خلاص النفس: هذا أمر هـو منذ الآن قد **تولى؛** إنّ الضمـير قد صار **ضـدّه،** ذلك ما تعدّه جميع الضمائر المتلطّفة أمرا غير مهذّب وغير شريف، أكذوبة ونزعة نسـويّة وضعفـاً وجبناً، - بفضل هذه الصرامة، إذا كان لابدّ أن ندين بذلك لجهة ما، إنّما نحن بالتحديد **أوروبيّون جيّدون**[1] وورثة التغلّـب على النفس[2] الأطول أمدا والأكثر جرأة الذي قامت به أوروبا"... كلّ الأشياء العظيمة من شـأنها أن تذهب بذاتها إلى العدم، بعمليّة هدم لذاتها: كذا يريد قانون الحياة، قانـون "التغلّب على النفس" **ضرورةً** الثاوي في ماهية الحياة، - أبداً يبلغ النداء في آخر الأمر إلى مشرّع القانون ذاته: "patere legem, quam ipse tulisti[3]". فعلى هذا النحو ذهبت المسـيحية **من حيث هي عقيدة** إلى العدم، بسبب أخلاقها الخاصة[4]؛ وعلى هذا النحو ينبغي الآن أيضا أن تذهب المسيحية **من حيث هـي أخـلاق** إلى العدم، - نحن نقف عـلى عتبة **هذا** الحدث.بعـد أن قام الصدق المسيحي بالاستنتاج تلو الأخر، فإنّه في النهاية سوف يأتي إلى **الاستنتاج الأشدّ قوّة،** استنتاجه **ضدّ** نفسه؛ لكنّ ذلك لن يحدث حتى يطرح السؤال:" **أيّ معنى لكلّ ضرب مـن إرادة الحقيقة؟**"... وها أنا أعود من جديد إلى المشـكل الذي يخصّني، إلى المشـكل الذي يخصّنا، يا أصدقائي **الذين لا أعرفهم** (-ذلك بأنّني لا **أعرف** أيّ صديق إلى حدّ الآن): أيّ معنى سـيكون لوجود**نا** برمّته، إنْ لم يكن، أنّه في ذات أنفسـنا إنّما تبلغ كلّ شـاكلة من إرادة الحقيقة إلى الوعي بنفسها **بوصفها مشـكلا؟**...أن تصبح إرادة الحقيقة واعية بنفسها، هذا أمر -وليس في ذلك من شـك- سـيقود الأخلاق **إلى العدم:** هذه المسرحية الكبيرة في مائة مشهد، التي تظـلّ ذخرا للقرنين القادمين[5] من أوروبا [411]، المسرحية الأكثر فزعا، الأكثر مدعاة للسؤال وربما الأوسع أملاً...

---

1 - gut. "جيّد" في معنى أنّه من "نمط" أخلاقي "كريم" في معنى كرم أو كرامة الروح الحرة. وليس في معنى الإيمان بـ"الأفكار الحديثة"، الصيغة المتعالية من القيم المسيحية.

2 - Selbstüberwindung. التغلّب على النفس هي طابع إرادة الاقتدار الإثباتية، تغلّبا من أجل هدف أكبر وأجلّ، وليس قمعاً (صادرا على إرادة اقتدار مريضة) لما تريده الحياة في طباعنا من طموح أوسع فأوسع نطاقا. قارن: **حدّث زرادشت قال**، الكتاب الثاني، حديث "التغلّب على النفس".

3 - باللاتينية في النص الأصلي: "عليك أن تتحمّل القانون الذي وضعته بنفسك" .

4 - قارن: **المعرفة المرحة**،§ 357.

5 - قارن: **ما وراء الخير والشر**، § 55.

.28

لو صرفنا النظر عن المثال النّسكي: إذن لما كان للإنسان، **للحيوان** البشري، أيّ معنى إلى حدّ الآن. إنّ وجوده على الأرض لا ينطوي على أيّ هدف؛ "لماذا الإنسان بعامة؟"- كان سؤالا بلا إجابة؛ كانت **الإرادة** التي تريد الإنسان والأرض مفقودة؛ وراء كلّ قدر إنساني عظيم ينبعث صوت كأنّه جواب[1] له قائلا على نحو أعظم منه "دون جدوى!" ذلك هو بالتحديد ما يعنيه مثال التنسّك: أنّ شيئًا ما **مفقودٌ**، أنّ نقصا هائلا يلفّ الإنسان، -إنّه لا يعرف كيف يبرّر نفسه، كيف يفسّر نفسه، كيف يوافق على نفسه، إنّه **يعاني** من المشكل المتعلق بمعناه. وهو يعاني أيضا فيما عدا ذلك، فهو بالأساس حيوان **مريض**: ولكن **ليس** المعاناة ذاتها هي المشكل عنده، بل أنّه يفتقد إلى الجواب عن صرخة السؤال "**لماذا** يعاني؟" إنّ الإنسان، الحيوان الأكثر جسارة والأكثر تعوّدا على المعاناة، **لا** يرفض المعاناة بحدّ ذاتها: هو **يريدها**، بل هو يفتّش عنها، شريطة أن نبيّن له أنّ لها معنى، أن نبيّن له **من أجل ماذا** نعاني. إنّ خلوّ المعاناة من المعنى، **وليس** المعاناة، هو اللعنة التي ألقت بظلالها على الإنسانية إلى حدّ الآن، - **وأعطى المثل الأعلى التنسّكي معنًى لها**! لقد كان إلى حدّ الآن هو المعنى الوحيد؛ أيّ معنى اتفق هو أفضل من ألاّ يكون ثمّة معنى أبدا؛ لقد كان المثال النّسكي بهذا الاعتبار الـ«faute de mieux" par excellence"»، الذي توفّر إلى حدّ الآن. فيه وجدت المعاناة **تفسيرها**؛والفراغ الهائل يبدو أنّه عثر على ما يملأه؛ إنّ الباب قد سُدَّ أمام أيّ عدمية انتحارية. إنّ التفسير- ليس في ذلك من شك- لَيحمل معه معاناة جديدة، أكثر عمقا، باطنيّة أكثر، مسمومة أكثر، وأكثر نهشاً للحياة: هو يحمل كلّ معاناة من منظور **الذنب**... ولكن على الرغم من كلّ ذلك- فإنّ الإنسان بذلك قد تمّ **إنقاذه**، لقد صار له **معنى**، إنّه لم يعد منذئذ ورقة في مهبّ الريح، لعبةً [412] للاّمعنى، للذي "لا معنى له"، إنّه يستطيع منذ الآن أن **يريد** شيئا ما، - سيّان عنده بادئ الأمر نحو ماذا، لماذا، بماذا هو قد أراده: **إنّ الإرادة ذاتها قد تمّ إنقاذها**. لا يمكن للمرء دون ريب أن يخفي عن نفسه **عما** تعبّر كلّ هذه الإرادة تحقيقاً، التي إنّما من المثل الأعلى التنسّكي هي قد أخذت وجهتها: هذا الكره إزاء الإنساني، وأكثر من ذلك إزاء الحيواني، وأكثر من ذلك إزاء ما هو مادّي، هذا التقزّز من الحواس، من العقل[2] ذاته، هذا الخوف

1 - بالمعنى الموسيقي: der Refrain

2 - Vernunft

من السعادة والجمال، هذه الرغبة في الابتعاد عن كلّ مظهر أو تغيّر أو صيرورة أو مـوت أو أمنية، وعن الرغبـة ذاتها- كلّ ذلك إنّما يعني، لنملك الجرأة على أن نفهم ذلك، ضربا من **إرادة العدم**، نفورا من الحياة، تمرّدا على الشروط الأساسية للحيـاة، لكنّ ذلك هو ويبقى ضربا ما مـن **الإرادة**!... و، حتى أقول في الخاتمة مـرة أخرى، ما قلتـه في البداية: لازال أحبّ إلى الإنسـان أن يريد **العـدم** من **ألاّ** يريد...

انتهى

جنيالوجيا الأخلاق

كتاب سجاليّ

إنّ المقالات الثلاث التي منها تتألّف هذه **الجنيالوجيا**، إنّما هي على الأرجح، بالنظر إلى العبارة والقصد وفنّ المفاجأة، من أكثر الأشياء رهبة، ممّا كان قد كُتب إلى حدّ الآن. إنّ ديونيزوس هو، كما نعرف ذلك، إله الظلام أيضا.- في كلّ مرة، بداية **يجب** أن تُضلّ القارئ، باردة، علميّة، بل حتى متهكّمة، في الصدارة قصداً، مُماطِلة قصداً. شيئا فشيئا قلقٌ أكثر؛ بروقٌ متقطّعة؛ حقائقُ جدُّ مزعجة يعلو صوتها **من بعيد** في دمدمة خرساء، - حتى نبلغ في النهاية إلى *tempo feroce*، حيث يندفع كلّ شيء إلى الأمام في توتّر هائل. وفي خاتمة المطاف، في كلّ مرة، تحت وابل انفجارات تُرجف الأوصال كلّيّةً، حقيقةٌ **جديدةٌ** تتراءى وسط غيوم داكنة. – أمّا حقيقة المقالة **الأولى** فهي دراسة نفسانية للمسيحيّة: مولد المسيحية من روح الضغينة، **وليس**، كما يُعتقَد غالبا، من "الروح"- حركة عكسيّة طبقا لماهيتها، أكبر تمرّد على سيادة القيم **النبيلة**. وأمّا المقالة **الثانية** فتقدّم دراسة نفسانيّة **للضمير**: فإنّ هذا ليس، كما يُعتقد غالباً، "صوت الربّ في الإنسان"- بل هو غريزة القساوة التي ارتدّت إلى الخلف، إذْ صارت لا تستطيع أن تضع حِملها في الخارج. القساوة بما هي إحدى أقدم خلفيات الثقافة والتي لا يُمكن أن تُتصوَّر من دونها[1]، قد تمّ رفع النقاب عنها لأوّل مرة.وأمّا المقالة **الثالثة** فإنّها تقدّم الإجابة عن السؤال: من أين يتأتّى **السلطان** الهائل للمثل الأعلى النّسكيّ، المثل الأعلى للكاهن، على الرغم من أنّه المثل الأعلى الضارّ par excellence، إرادة النهاية، المثل الأعلى للـ décadence؟. الجواب: ليس، لأنّ الربّ هو الذي يدبّر الأمر من وراء الكهّان، كما يُعتقد غالبا، بل faute de mieux- لأنّه كان المثل الأعلى الوحيد إلى حدّ الآن، لأنّه لم يكن له من منافس. "ذلك بأنّ الإنسان أحبّ إليه أن يريد العدم على **ألاّ** يريد"...-

---

unwegdenkbarsten – 1

وقبـل كلّ ذلك لأنّـه يُفتقَد إلى **مثل أعلى مضاد- إلى حدّ زرادشت**.- إنّ المرء قد فهمني. ثلاثة أعمال أوّلية حاسـمة لعالم نفسـاني من أجل قلب قيميّ[1] لجميع القيم.- إنّ ذا كتاب يحتوي على أوّل دراسة نفسانية للكاهن.

فريدريش نيتشه

هذا هو الإنسان، "جنيالوجيا الأخلاق"

1 - Umwertung

ثبت في مؤلفات نيتشه
المذكورة في الكتاب

ثبت في المصطلحات الأساسية
الواردة في الكتاب

(تشير الأرقام الرومانية إلى رقم المقالة والعربية إلى رقم الفقرة، أمّا التصدير فيُذكر بحرفه. وقد أثبتنا المقابلات الألمانية في مواضعها من الترجمة أو من هوامشها)

ثبت في أسماء الأعلام والشعوب والبلدان والمعتقدات

(تشير الأرقام الرومانية إلى رقم المقالة والعربيةُ إلى رقم الفقرة، أمّا التصدير فيُذكر بحرفه)

الفهرس

الإنجاز الفني
المركز الوطني للترجمة - تونس

الطباعـــة:
أوربيس للطباعة
1، نهج العربيّة السعوديّة ـ 1002، تونس
الهاتف: 229 280 71 (216+) - الفاكس: 231 280 71 (216+)
البريد الالكتروني: orbis@gnet.tn

في جنيالوجيا الأخلاق



علينا أن نحترس من أيّ فهم «أخلاقوي» لكتابات نيتشه: مثلا أن نعتبره معارضا يائسا للأنوار الحديثة أو داعيا خطيرا إلى البربرية أو عدوّا للسامية أو قوميا متعصّبا أو جماعويّا حزينا ضدّ المكاسب الحقوقية للدولة اللبرالية...تلك أفكار مسبقة أخرى، أو ضروب مريضة من الفضول. - إنّه فقط يمارس «أنوارا جديدة» يدفع بها بعيدا عن أيّ أنوار سابقة، بما فيها تلك التي سمّيت راهنا باسم «الأنوار الجذرية»، وهي ليست جذرية إلاّ بقدر ما تظنّ أنّ «الإلحاد» الحديث هو الطور الأعلى من كلّ «غريزة حرية». والحال أنّ نيتشه قد فضح حتى الإلحاد نفسه بوصفه لا يملك توضيحا جذريا حول قيمة الحرية التي يفاخرنا بها. إنّ الإلحاد لم يكن إلى حدّ الآن إلاّ إيمانا أو«مثالا نُسُكيّاً» مقلوبا: استيلاء صفيقا على مكان الإله الأخلاقي الذي صار شاغرا، في خلط مزر بين «الإنسان الأعلى»، الذي استولى على الأسماء الحسنى للإله التوحيدي، وبين الإقدام على الذهاب الجسور إلى «ما فوق الإنسان»، بوصفه مطلب الحياة الحرة، التي تتمتع بصحة ميتافيزيقية جيدة، والتي لا تطلب أقلّ من هذا: خلق «نمط بشري» من نوع جديد.

فريدريتش نيتشه (1844-1900)

فيلسوف ألماني اشتهر بكلماته الأساسية مفكرا للعدمية وإرادة الاقتدار والانسان الأعلى... من أمهات كتبه: **مولد التراجيديا** (1872/1871)، **حدّث زرادشت قال** (1884/1883)، **ما وراء الخير والشر** (1886)، **العلم المرح** (1887/1882).

فتحي المسكيني

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة في الجامعة التونسية. من مؤلفاته: **هيغل ونهاية الميتافيزيقا** (1995)، **فلسفة النوابت** (1997)، **الهويّة والزمان** (2001)، **نقد العقل التأويلي** (2005)، من ترجماته: **الكينونة والزمان** لمارتن هيدغر (2010).



9789973084392

20 د.ت.
20 دولار أو ما يعادلها